

صلاح

البيوت في جهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم

محمد علي محمد إمام

الجزء الأول

سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة

٤

البريد الإلكتروني: emam2030@gmail.com

ت : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشؤون الفنية

إمام / محمد على محمد

صلاح البيوت في جهد الرسول الجزء الأول

بقلم / محمد على محمد إمام ... مبيت غمر

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

عدد الصفحات (٤٥١)

المقاس (١٨ × ٢١ سم)

١) الأسرة في الإسلام

أ- العنوان

٢١٩/١

رقم الإيداع

(١٥٧٤٨)

تاريخ الإيداع

٢٠٠٩ / ٨ / ٦

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

البريد الإلكتروني: emam2030@gmail.com

ت : ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

ت : ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨



مُقَدِّمَةٌ

الطبعة الثانية

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونصلي ونسلم علي خير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:

أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة.. مع الجزء الرابع من السلسلة :

صلاح البيوت

في جهد الرسول صلي الله عليه وسلم

الجزء الأول

بفضل الله تعالى قد نفذت الطبعة الأولى من كتاب صلاح البيوت في جهد الرسول صلي الله عليه وسلم .. وقد قمت بتنقيح الكتاب، وإضافة بعض القصص

علي أبوابه، وأضفت عليه عدة مواضيع جديدة، وبعض المذكرات لمشايخنا الكرام في جهد النساء.

والذي يتصفح الكتاب يشعر بأنه في واحة تشتمل علي الصالحات من نساء الأنبياء السابقين ونساء النبي صلي الله عليه وسلم، ونساء هذه الأمة واللاتي أسهمن في إقامة هذا الدين ونشره.

وقد اجتهدت في البحث في المراجع عن حياة النساء المجتهدات، وهذا غيض من فيض من حياة النساء الصالحات من هذه الأمة، والكتب والمراجع ممتلئة بالكثير والكثير، والذي أبهم الله صالحهن كثير وكثير ولكن هذا الذي توفر لدي. ولما كبر حجمة جعلته في جزئين كبيرين، فمن اطلع علي الطبعة الأولى يحتاج إلي مطالعة الطبعة الثانية.

وبهذا يصبح الكتاب:

موسوعة للأحباب في جهد النساء

وما كان في هذا الكتاب من خير ونفع فهو من توفيق الله جل وعلا وما كان فيه من نقص وخلل فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء. ورجائي لكل من قرأ هذه الموسوعة أن يدعو لي وبأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذه السلسلة الدعوية المباركة وجميع المسلمين أجمعين.

أخوكم

محمد علي محمد (إمام)



إهداء

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده، وبعد:
 أهدي كتابي هذا إلي كل (أم.. أخت.. بنت) مؤمنة تريد أن تحيا الحياة
 الطيبة التي وعد الله عز وجل في كتابه فقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ
 ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

أهدي كتابي إلي كل مؤمنة تحب الله ورسوله وتريد أن تهتدي بهديهما
 وتسير علي نهجهما لتنال شرف الدنيا وكرامة الآخرة .
 أهدي كتابي هذا إلي كل مؤمنة تحب أن تحشر مع أمهات المؤمنين
 ونساء الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعين.
 وقد ذكرت لك من أخبارهن وصلاحهن ما يأخذ بقلبك وروحك إلي
 الاقتداء بهن والسير علي نهجهن.

فذكر الصالحين والصالحات يُزيد الإيمان، ويرفع الهمم، وحادي يحدو القلوب إلي حب الرب المعبود، وحادي يحدو الأرواح إلي بلاد الأفراح. ولقد منَّ الله عز وجل عليَّ وجمعت لك هذا الكتاب الطيب المبارك، المملوء بصفات، وأفعال، وأحوال النساء الأول: نساء القرن، الذي مدحه النبي ﷺ وبين خيريته، فعن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم سبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" متفق عليه^(١).

فكما أن رجال هذه القرون خير رجال، فكذلك نساءهم كن خير النساء.. وهم نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين وهن النسخة الأصلية التي وجب عليكن يا نساء القرن الحادي والعشرين أن تصحن حياتكن على حياتهن.. فقد رضي الله عن حياتهن، ومن تبعهن بإحسان فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

(١) مشكاة المصابيح - كتاب مناقب الصحابة ١/١٦٩٥ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١٠٠ .

وفى قوله " **اتَّبِعُوهُمْ** " دليل رضي الله عز وجل وجوب الأتباع لهم ..
 وإلا، لا يرضى الله ﷻ عن حياة إلا الحياة المماثلة لحياتهن، ولهذا بدأ الله ﷻ
 في كثير من الأحكام بذكرهن أولاً لأنهن قدوة لمن أتى بعدهن فقال: ﴿ يَا
 نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١)
 وفى آية الحجاب قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
 وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ
 فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢).

وعندما تقرأ في تاريخ الإسلام وتتصفح سير المؤمنات عبر القرون تجد
 عجباً أمر هذه الأمة؛ كما أخرجت رجالاً لا يُعرف لهم مثلٌ في تاريخ الأمم،
 أخرجت أيضاً النساء الفضليات القدوات التي لا تطاولهن نساء أمة من الأمم.
 وقد كتبت في كتابي هذا لكثير من فضليات الأمة ما تيسر لي أن أذكره ،
 وإلا فمنهم الكثيرات والكثيرات ، مما لم يطلعني الله عليهن .

وقد سميت هذا الكتاب بصلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ .. وأعنى بجهد
 الرسول ﷺ كل قول أو فعل قام به الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاما

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٥٩ .

إذا قامت به الأمة نساءً ورجالاً.. لأصبحت بيوتهم تحيا حياة السعادة والراحة والطمأنينة.

فالمراة وحدها هي الجو الإنساني لببيت زوجها، فمنهن من تدخل الدار تجعله روضة نضرة متروحة ساكنة، وإن كانت الدار قحطة ليس فيها كبير شيء، ومنهن من تدخل الدار فتجعله مثل الصحراء، برمالتها وقيلظها وعواصفها، وإن كانت الدار في رياضها ومتاعها كالجنة السندسية.. وصلاح المرأة بصلاح دينها.

أخوكم

أبو علي

محمد علي محمد إمام



مقصد خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَزَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ ، وَمَنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، بَلْ هُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).



(١) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

(٢) سورة الحجرات - الآية ١٣ .

أول من آمن بالله ورسوله

من هذه الأمة

(خديجة بنت خويلد رضي الله عنها)

وقد وردت الآثار بذلك:

فعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: خديجة أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه الطبراني .

وعن قتادة بن دعامة رضي الله عنه قال: توفيت خديجة (رضي الله عنها) قبل الهجرة

بثلاث سنين، وهي أول من آمن بالنبوي صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال. رواه

الطبراني.

وقال ابن شهاب: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن

تفرض الصلاة " المعجم الكبير للطبراني .

وقال أبو عمر بن عبد البر: اتفقوا علي أن خديجة (رضي الله عنها) أول من

آمن.

وقال أبو الحسن بن الأثير: خديجة أول خلق الله إسلاما بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة " في كتابه الكامل وأقره الحافظ الناقد أبو عبد الله الذهبي . (١).

قال ابن إسحاق:

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقته وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى (٢) .



(١) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - باب بعض فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام - باب إسلام خديجة ووقوفها بجانب النب صلى الله عليه وسلم .

السيرة العطرة

لأم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)

هي أول زوجات النبي ﷺ، وأمّ أولاده، وخيرة نسائه، وأول من آمن به وصدقته، أم هند، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، وأمها فاطمة بنت زائدة العامرية، قرشية من بني عامر بن لؤي.

قال الزبير بن بكار: كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة.

ولدت خديجة رضي الله عنها بمكة، ونشأت في بيت شرف ووجاهة، وقد مات والدها يوم حرب الفجار.

وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، من كثرة ذكر النبي ﷺ لها.

تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ باثنتين من سادات العرب، هما: أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي، وجاءت منه بهند وهالة، وأما الثاني فهو عتيق بن عائذ بن عمر بن مخزوم، وجاءت منه بهند بنت عتيق، ثم بعده النبي ﷺ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة.

ومن دوافع زواجها بالنبي ﷺ ما رواه سعيد بن جبني، عن ابن عباس: أن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب، فلم يتركن شيئاً من إكبار ذلك العيد إلا أتيته، فبينما هن عكوف عند وثن مثل لهن كرجل في هيئة رجل حتى صار منهن قريباً، ثم نادى بأعلى صوته: يا نساء تيماء، إنه سيكون في بلدكن نبي، يقال له: أحمد، يبعث برسالة الله، فأئماً امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل، فحصبته النساء، وقبحنه، وأغلظن له، وأغضت خديجة على قوله، ولم تعترض له فيما عرض فيه النساء (١).

فبسعة عقلها وكرم أخلاقها ما فعلت مثلهن بل تمنى أن تكون زوجة ذلك النبي.

وكان لخديجة رضي الله عنها حظ وافر من التجارة، فكانت قوافلها لا تنقطع بين مكة والمدينة، لتضيف إلى شرف مكانتها وعلو منزلتها الثروة والجاه، حتى عدت من تجار مكة المعدودين.

قال ابن إسحاق: تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة. وكانت خديجة وزيرة صدق. وهي أقرب إلى قصي من النبي ﷺ برجل، وكانت ممتولة، فعرضت على النبي ﷺ أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولها ميسرة، فلما قدم أخبرها الغلام بما رآه من أخلاق الرسول ﷺ وما لمسها من أمانته وطهره، وما أجراه الله على يديه من

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد «طبقات الكوفيين» تسمية النساء المسلمات والمهاجرات ...
«ذكر خديجة بنت خويلد بن أسد بن - رقم ٩٥٨٥.

البركة، وبَاعَتْ خَدِيجَةَ مَا جَاءَ بِهِ، فَأَضْعَفَ، فَرَعِبَتْ فِيهِ، فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا، وَأَصْدَقَهَا عَشْرِينَ بَكْرَةً .

وتمّ الزواج قبل البعثة بخمس عشرة سنة وللنبي ﷺ ٢٥ سنة، بينما كان عمرها ٤٠ سنة، وعاش الزوجان حياة كريمة هائلة، وقد رزقهما الله بستة من الأولاد: القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين .

وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب .

وكانت خديجة رضي الله عنها تحب النبي ﷺ حباً شديداً، وتعمل على نيل رضاه والتقرب منه، حتى إنها أهدته غلامها زيد بن حارثة لما رأت من ميله إليه .

وعند البعثة كان لها دورٌ مهم في تثبيت النبي ﷺ والوقوف معه، بما آتاه الله من رجحان عقل وقوة الشخصية، فقد أُصيب عليه الصلاة والسلام بالرعب حين رأى جبريل أول مرة ، فلما دخل على خديجة قال : (زملوني

زملوني) ، ولما ذهب عنه الفزع قال: (لقد خشيت على نفسي) ،

فطمأنته قائلةً : " كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم ،
وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين

على نواب الحق " رواه البخاري ، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل ليبشره باصطفاء الله له خاتماً للأنبياء عليهم السلام .

ولما علمت - رضي الله عنها - بذلك لم تتردد لحظة في قبول دعوته ، لتكون أول من آمن برسول الله وصدقته ، ثم قامت معه تسانده في دعوته ، وتؤانسه في وحشته ، وتذلل له المصاعب ، فكان الجزاء من جنس العمل ، بشارة الله لها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب ، رواه البخاري ومسلم .

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل ، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها ، فحزن لفقدائها حزناً شديداً ، ولم يزل يذكرها ويبالغ في تعظيمها والثناء عليها ، ويعترف بحبها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين فيقول: (إني قد رزقت حبها) رواه مسلم ، ويقول: (آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء) رواه أحمد .

حتى غارت منها أمانة عائشة رضي الله عنها غيرة شديدة ، قالت عائشة : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكَدْ يَسَامُ مِنْ ثَنَاءِ عَلَيْهَا

وَاسْتَعْفَارِ لَهَا ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا ، فَحَمَلْتَنِي الْغَيْرَةَ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ عَوَضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السَّنِّ . قَالَتْ : فَرَأَيْتَهُ غَضِبَ غَضَبًا . أُسْقِطْتُ فِي خَلْدِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اللَّهُمَّ إِنِ أَذْهَبْتَ غَضَبَ رَسُولِكَ عَنِّي لَمْ أَعُدْ أَذْكَرُهَا بِسُوءٍ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا لَقِيتُ ، قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَأَوْتَنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقْتُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحُرْمَتُمُوهُ مِنِّي قَالَتْ : فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا .

ومن وفائه ﷺ لها أنه كان يصل صديقاتها بعد وفاتها ويحسن إليهن، وعندما جاءت جثامة المزنية لتزور النبي ﷺ أحسن استقبالها، وبالغ في الترحيب بها ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ " ، فقال : (إنها كانت تأتينا زمن خديجة ؛ وإن حسن العهد من الإيمان) رواه الحاكم .

وكان ﷺ إذا ذبح الشاة يقول : (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة (رواه مسلم .

وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكر صوت زوجته فيرتاح لذلك ، كما ثبت في الصحيحين .

وقد بيّن النبي ﷺ فضلها حين قال: " أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين (رواه أحمد ، وبيّن أنها خير نساء الأرض في عصرها في قوله : (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد (متفق عليه .

وقد توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل معراج النبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة ، ودفنت بالحجون ، لترحل من الدنيا بعدما تركت سيرةً عطرة ، وحياة حافلة ، لا يُنسيها مرور الأيام والشهور ، والأعوام والدهور ، فرضي الله عنها وأرضاها .



آيات

وردت في الرجال والنساء

- قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).
- وقال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).
- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣).
- وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٤).
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

(١) سورة البقرة - الآية ٣٥

(٢) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

(٣) سورة النجم - الآية ٤٥

(٤) سورة الزمر - الآية ٦

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥﴾

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿١﴾

(١) سورة النساء - الآية ١،

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٨٩،

(٣) سورة الروم - الآية ٢١.

(٤) سورة النحل - الآية ٩٧.

(٥) سورة غافر - الآية ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣)

(١) سورة التوبة - الآية ٧١.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٩٥.

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٣٥.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٢).



(١) سورة الحديد - الآية ١٢.

(٢) سورة الحديد - الآية ١٨.

تكريم الله للمرأة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذِ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾

الله ﷻ يصطفى ويكرم علي الدين وحمل الأمانة، ويظهر هذا جليا في قول حنة بنت فاقوذ امرأة عمران، { إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { .أي أن هذا الجن الذي في بطني نذرت أن يكونا خادما لبيتك المقدس (المسجد الأقصى).

فلما وضعتها أنثى خافت أن لا يقبلها الله تبارك وتعالى، { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا صَدَقْتُ وَأَنَا صَادِقَةٌ }
فألذي يخدم دين الله، الله يعزه ويكرمه سواء كان رجل أو امرأة، فقبل الله نذرها ورفع وليدها، { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا } . فكان نبي الله زكريا عليه السلام يتفقدتها ويرعي شئونها، فإذا به - وهو المبعوث المرسل - يذهل كلما دخل المحراب على مريم ليَجدها جالسة وحولها من النعم ما لا وجود له في البلاد التي يقيم فيها، { كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا هَذَا } فيسألها مندهشا : { قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا } .!؟ فتجيبه بإيمانٍ عالٍ: { قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }

نبي الله زكريا عليه السلام يخشع ويتعلم من الصديقة مريم بنت عمران ويرزق بسرّ كلماتها المضئنة..

يا الله!.. أيّ علو بلغ مقام هذه المرأة المتبتلة؟! إنها تذكر النبي بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فيدعو ساعتها زكريّا ربه ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١)، ويستجيب الله تعالى لدعاء نبيّه ويرزقه بالنبي يحيى عليهما وعلى مريم بنت عمران السلام.. ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

ولم تقف مريم عليها السلام عند هذا الحد من السمو والرقى والتكريم عند الله، بل ملائكة الرحمن يتحدثون معها وتراهم وترد عليهم: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران - الآية ٣٨.

(٢) سورة آل عمران - الآية ٣٩.

(٣) سورة آل عمران - الآيتان ٤٢، ٤٣.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (٢).

هل كانت السيدة مريم هي المرأة الوحيدة التي أجلسها القرآن وضرب بها الأمثال؟.

وهل انفردت وحدها من بين النساء بالتخاطب مع ملائكة الرحمن؟
فهذه سارة زوجة إبراهيم عليه السلام.. يذكر لنا القرآن بأنها كانت ترى الملائكة وتسمع كلامهم، في بعض الأحيان عندما كانت تخاطب الملائكة إبراهيم عليه السلام، فلما جاءت الملائكة لهلاك قوم لوط، ولتبشيره بالولد، فجاءوا على صورة البشر ظن إبراهيم عليه السلام أنهم بشر، فقام إلي عجل وذبحه وقاما علي

(١) سورة آل عمران - الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة مريم - الآيات من ١٦ : ٢١.

خدمتهم هو وسارة، ولكن تفاجأ أنهم لا يأكلون، ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ * فَلَمَّا
رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا
أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ * وامرأته قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ
وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (١).

فردت سارة في غرابة: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي
شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢).

فخاطبتها الملائكة قائلة: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٣).

وهذه أم موسى عليه السلام: قال فيها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ
فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤). إن الإله العظيم يوحى إلى هذه الأم بأن تلقي

(١) سورة هود - الآيات من ٦٩ : ٧١.

(٢) سورة هود - الآية ٧٢.

(٣) سورة هود - الآية ٧٣.

(٤) سورة القصص - الآية ٧.

رضيعها في البحر، ويطمئنها ويطيّب خاطرها ويعدّها بأن صغيرها سيعود إليها
وسيكون مُرسلاً عظيم الشأن!..

يا إلهي.. كم في خطابك من الشفقة والرحمة، لتلك الأم المستضعفة في زمن
الفرعون الجبار!.. تفرق الدمع في عيني وأنا أقرأ الآية الكريمة: ﴿فَرَدَدْنَاهُ
إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ما أرحمك بعبادك يا الله!.. قرّت عينك وطابت بهبات الله لك يا أم
كليم الله!.

ومن تكريم الله ﷺ للصديقة بنت الصديقة عائشة المبرأة من فوق سبع
سموات، يُريها الروح الأمين جبريل عليه السلام بعد انتهاء غزوة الأحزاب، لما
رجع رسول الله ﷺ عن الخندق، والمسلمون وقد عضهم الحصار، فرجعوا
مجهودين، فوضعوا السلاح، ووضع رسول الله ﷺ ودعا بيت عائشة ودعا بماء
فأخذ يغسل رأسه - قال ابن عقبة قد رجل احد شقية. قال محمد بن عمر: غسل
رأسه واغتسل، ودعا بالمجمرة ليتبخر، فند صلى الظهر، قالت عائشة: فسلم علينا
رجل ونخن في البيت. قال محمد بن عمر: وقف موضع الجنائز، فنادى عذيرك من
محارب! فقام رسول الله ﷺ فزعا فوثب وثبة شديدة، فخرج إليه، وقمت في أثره
انظر من خلل الباب، فإذا هو دحية الكلبي فيما كنت أرى - وهو ينفذ الغبار عن
وجهه، وهو معتم، وقال ابن إسحاق: معتمر بعمامة، قال الماجشون - كما رواه
أبو نعيم عنها، سوداء من استبرق، مرخ من عمامته بين كتفيه، على بغلة شهباء

(١) سورة القصص - الآية ١٣.

- وفي لفظ: فرس - عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج - قال الماجشون:
 أحمر - على ثناياه لآثر الغبار، وفي رواية: قد عصب رأسه الغبار، عليه لامته،
 فاتكأ رسول الله ﷺ على عرف الدابة، فقال: يا رسول الله، ما أسرعتم ما حللتم،
 عذيرك من محارب ! عفا الله عنك، وفي لفظ غفر الله لك، أو قد وضعتم السلام
 قبل أن نضعه ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم قال: فو الله ما وضعناه، وفي لفظ: ما
 وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو. وما رجعنا الآن إلا من طلب القوم
 حتى بلغنا حمراء الاسد - يعني الاحزاب - وقد هزمهم الله تعالى، وإن الله -
 تعالى - يأمرك بقتال بني قريظة، وأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة لأزلزل
 بهم الحصون، فاخرج الناس).

قال حميد بن هلال: فقال رسول الله ﷺ: " فإن من اصحابي جهدا فلو

أنظرتهم أياما " قال جبريل: انهض إليهم، فو الله لأدقنهم كدق البيض على
 الصفا لاضعضعنها، فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق
 بني غنم من الأنصار. قال أنس - رضي الله عنه - فيما رواه البخاري: كأنني
 انظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم - مؤكب جبريل حين سار إلى بني
 قريظة. قالت عائشة: فرجعت، فلما دخل قلت يا رسول الله - من ذاك الرجل الذي

كنت تكلمه ؟ قال: " ورأيتَه " ؟ قلت نعم، قال ؛ (لمن تشبهت) ؟ قلت: بدحية بن خليفة الكلبى، قال: (ذاك جبريل أمرني أن أمضي إلى بني قريظة) (١).
ومن تكريم الله ﷺ لأُم المؤمنين أن يحمل لها لها الروح الأمين رسالة من الله تعالى فيبلغها للنبي ﷺ: يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك ، فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب " متفق عليه . (٢)

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرأ على خديجة السلام ، فقالت : إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام ، وعليه السلام ورحمة الله " (٣).

(١) رواه الإمام أحمد والشيخان - مختصرا - والبيهقي والحاكم في صحيحه مطولا عن عائشة، وأبو نعيم، والبيهقي من وجه آخر عنها، وابن عانذ عن جابر بن عبد الله، وابن سعد عن حميد بن هلال، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى والبيهقي وابن سعد عن الماجشون، والبيهقي عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وسعيد بن جبير وابن سعد بن يزيد بن الأصم، ومحمد بن عمر شيوخة (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - غزوة بني قريظة ٧/٥)
(٢) مشكاة المصابيح - باب مناقب أزواج النبي ﷺ ١٧٤٣/٣ .
(٣) رواه النسائي، والحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة - خديجة - وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

يا سلام!.. طوبى لك أم القاسم طوبى لك.. وأول من اعتنق الإسلام على وجه الأرض امرأة.. ومن سواها " خديجة " رضي الله عنها.. وأول شهيد في الإسلام كان أيضا امرأة.. إنها الشهيدة "سمية" رضي الله عنها..

و"هاجر" المكرمة زوجة أبو الأنبياء.. تسعى بمفردها في بقعة مقفرة بين الصفا والمروة.. فيجعل الله تعالى سعيها شعيرة من شعائر الحج.. وإذا بنا جميعا رجالا ونساء.. عصاة وأتقياء.. نتأسى بما قامت به سيدتنا هاجر في مسعاها ونقتفي خطاها صعودا وهبوطا.. وهل يكون سعينا بين الصفا والمروة سوى مذكرات سطرتهنا لنا امرأة عظيمة إسمها هاجر!؟..

ومن تكريم الله للمرأة أن يسمي سورة من كلامه في القرآن باسم النساء، وسورة أخرى باسم امرأة وهي مريم البتول رضي الله عنها.

ومن تكريم الله للمرأة أن ينزل في مخدع عائشة!.

ومن تكريم الله للمرأة أن ينزل قرآناً في براءة امرأة كما قالت عائشة: ويرأني الله من فوق سبع سماوات، وهي الصديقة بنت الصديق!.

ومن تكريم الله للمرأة أن يتولى الله بنفسه تزويج امرأة، وهي زينب بنت جحش فكانت تفتخر على أمهات المؤمنين فتقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات!.

لقد أراد الله تعالى للمرأة مكانة التكريم والتبجيل والاحترام.. لذلك لست أتفاجأ أبدا حين يحفظ الله تعالى نسل خاتم الأنبياء في امرأة.. لا يدهشني استمرار نسل الأنبياء في أبنائهم الذكور، في حين يحفظ الله تعالى نسل حبيبه المصطفى في ابنته الأنثى (فاطمة الزهراء) لا استغرب أن تكون الزهراء هي الكوثر الذي

يتدفق بنسل سيد الخلق إلى قيام الساعة.. لا أتعجب أن تكون البنت وأخواتها حجاباً للوالدين من النار إن أحسنا تربيتها، ولا أندش أن يجعل الله تربية البنت أعظم أجراً من تربية الولد.. لا أستغرب أبداً أن تكون جنة الأبناء وسعادتهم تحت أقدام الأمهات، فهذا الدين هو دين تكريم المرأة ومنحها حقوقها وكرامتها.

فما نعلم ديناً كرم المرأة، ورفع شأنها، وأنصفها، من أصحاب المثل الأخرى، إلا الإسلام، أنزل الله أحكاماً خاصة بالنساء، وأنزل سورة باسمها، وما ذاك إلا ليُعليَ من شأنها، ويرفع مكانتها ويُنصفها على أخواتها.

ما أجمل قول أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه : والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهنَّ ما أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم^(١).

وأكمل النساء تلك التي تنظر إلى الدنيا بعين متلئنة؛ بنور الإيمان، فالمرأة الحق هي تلك التي خلقت لتكون خلف الرجل، مادة الفضيلة والصبر والإيمان تكون له إلهاماً وعزاء وقوة، وزيادة في سروره ونقصاً من آلامه، ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، وهي أن تجعل زوجها أعظم منها، فنحن لا نعرف اسم زوجة الشافعي، ولا زوجة البخاري، ولا من تكون أم سفيان الثوري، فهذه المرأة وأمثالها اختفت خلف زوجها وصنعت منه رجلاً عظيماً.



(١) فتح الباري ٣٠١/١٠ ط السلفية..

المرأة والمساواة

الله ﷻ خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣)

(١) سورة النساء - الآية ١ .

(٢) سورة الزمر - الآية ٦ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٨٩ .

فإن الله ﷻ خلق آدم في الجنة ومع كل ما فيها من نعيم ولذة، استوحش.. وأراد الله أن يؤنسه، فلما نام آدم ^(١) أخذ الله ضلعا من جانبه الأيسر وخلق منه حواء.. والجانب الأيسر قريب من القلب لتكون قريبة من قلب آدم.. وكذلك من نفسه.. فالأصل واحد، ومن طينة واحدة، ومن جنب واحد، إذ الجنس إلي جنسه أكثر ميلاً.. وأنساً.. وقرباً.

(١) لم خلقت حواء من آدم وهو نائم!!! لم يخلقها الله من آدم وهو مستيقظ!! يُقال إن الرجل حين يتألم يكرهه، بعكس المرأة التي حين تتألم تزداد عاطفةً وحباً. فلو خلقت حواء من آدم عليه السلام وهو مستيقظ لشعر بألم خروجها من ضلعه وكرهها لكنها خلقت منه وهو نائم.. حتى لا يشعر بالألم فلا يكرهها.. بينما المرأة تلد وهي مستيقظة.. وترى الموت أمامها.. لكنها تزداد عاطفة.. وتحب مولودها.. بل تفيده بحياتها. وقيل: خلقت منه وهو نائم للستر الذي هو شأن النساء. نلعد إلى آدم و حواء.. خلقت حواء من ضلع أعوج، من ذلك الضلع الذي يحمي القلب. أتعلمون السبب؟ لأن الله خلقها لتحمي القلب.. هذه هي مهنة حواء.. حماية القلوب.. فخلقت من المكان الذي ستتعامل معه.. بينما آدم خلق من تراب لأنه سيتعامل مع الأرض.. سيكون مزارعاً و بناءً وحداداً و نجاراً.. لكن المرأة ستتعامل مع العاطفة.. مع القلب.. ستكون أما حنوناً.. وأختاً رحيماً.. وبناتاً عطوفاً.. وزوجةً وفيه الضلع الذي خلقت منه حواء أعوج!!!!. يُثبت الطب الحديث أنه لولا ذلك الضلع لكانت أخف ضربة على القلب سببت نزيفاً، فخلق الله ذلك الضلع ليحمي القلب.. ثم جعله أعوجاً ليحمي القلب من الجهة الثانية.. فلو لم يكن أعوجاً لكانت أهون ضربة تسبب نزيفاً يؤدي - حتماً - إلى الموت.. لذا... على حواء أن تفتخر بأنها خلقت من ضلع أعوج!!!.. وعلى آدم أن لا يحاول إصلاح ذلك الاعوجاج، لأنه و كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : إن حاول الرجل إصلاح ذلك الاعوجاج كسرهما.. ويقصد بالاعوجاج هي العاطفة عند المرأة التي تغلب عاطفة الرجل... فيا آدم لا تسخر من عاطفة حواء.. فهي خلقت هكذا.. وهي جميلة هكذا.. وأنت تحتاج إليها هكذا.. فروعها في عاطفتها.. فلا تتلاعب بمشاعرها.. ويا حواء، لا تتضايقي إن نعتوك بناقصة عقل.. فهي عاطفتك الرائعة التي تحتاجها الدنيا كلها... فلاتحزني أيتها الغالية : فأنت تكاد تكونين المجتمع كله ، فأنت نصف المجتمع، الذي يبني النصف الآخر.

فالسكون إلي الأزواج والأئس بهم مما ورثوه عن آبائهم، ولا يسكن الرجل إلي شيء كسكونه إلي زوجته المواتية ، الموافقة له، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

فالمراة : سكن .. ومودة.. ورحمة.. ولباس.. لزوجها، وزوجها لباس لها، قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ﴾ (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما النساء شقائق الرجال " (٣).

دل هذا الحديث علي أن النساء نظائر الرجال وأمثالهم لأنهن شققن منهم.. حيث أن المراة خلقت من الرجل.

(١) سورة الروم - الآيتان ٢٠ - ٢١.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٨٧.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٦/٦ والدرامي ٧٧١ ، ومُسَلَّم ١٧١/١ (ص ٦٣٥)، وأبو داود ٢٣٦

وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة، وليس مساواة النهار بالنهار والليل بالليل، ولكن مساواة الليل بالنهار في الأهمية، وفي عدم استغناء الحياة المثالية عنهما، كما أن اليوم الكامل لا يستغني عن النهار أو الليل. فالرجل والمرأة يشبهان الليل والنهار اللذان يؤلفان اليوم.. ومثل: التيار الموجب والسالب اللذين يؤلفان التيار الكهربائي الذي يبعث الحياة في كثير من الجمادات(١) .

ويقول د/ نعمان أبو الليل :

الرجل والمرأة مثل الليل والنهار ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (٢) فلا تداخل ولا هضم حقوق، ولا تعالي نوع علي نوع بل الاثنان

في تعاون وتناسق وتكامل.أ.هـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله تعالى) :

وهنا يجب أن نعرف أن من الناس من يستعمل بدل العدل المساواة وهذا خطأ، لا يقال: مساواة ؛ لأن المساواة تقتضي عدم التفريق بينهما، ومن أجل هذه الدعوة الجائرة إلى التسوية صاروا يقولون: أي فرق بين الذكر والأنثى ؟ سوا بين الذكور والإناث، حتى إن الشيوعية قالت: أي فرق بين الحاكم

(١) كتاب تساؤلات حول الإسلام وتعليقات د سعيد إسماعيل صيني - الناشر رابطة العالم الإسلامي.

(٢) سورة الليل الآيتان ١ ، ٢ .

والمحكوم؟ لا يمكن أن يكون لأحد سلطة على أحد حتى بين الوالد والولد ليس للوالد سلطة على الولد، وهلمَّ جرّاً.

لكن إذا قلنا بالعدل وهو إعطاء كل أحد ما يستحقه: زال هذا المحذور، وصارت العبارة سليمة، ولهذا لم يأت في القرآن أبداً: " إن الله يأمر بالتسوية " لكن جاء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (١)، ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ

بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٢)، وكذب على الإسلام مَنْ قال : إن دين الإسلام دين المساواة ، بل دين الإسلام دين العدل وهو الجمع بين المتساوين والتفريق بين المفترقين . أما أنه دين مساواة فهذه لا يقولها مَنْ يعرف دين الإسلام ، بل الذي يدلك على بطلان هذه القاعدة أن أكثر ما جاء في القرآن هو نفي المساواة : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (٤) ، ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا

(١) سورة النحل _ الآية ٩٠ .

(٢) سورة النساء _ الآية ٥٨ .

(٣) سورة الزمر _ الآية ٩ .

(٤) سورة الرعد _ الآية ١٦ .

وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢)، ولم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً إنما يأمر بالعدل، وكلمة العدل أيضا تجدونها مقبولة لدى النفوس فأننا أشعر أن لي فضلاً على هذا الرجل بالعلم، أو بالمال، أو بالورع، أو ببذل المعروف، ثم لا أَرْضَى بأن يكون مساوياً لي أبداً. كل إنسان يعرف أن فيه غضاضة إذا قلنا بمساواة ذكر بأنثى (٣).

ويقول العلامة الشنقيطي:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤).

(١) سورة الحديد - الآية ١٠.

(٢) سورة النساء - الآية ٩٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية ١ / ١٨٠.

(٤) سورة الحجرات - الآية ١٣.

ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا كَيْفِيَّةَ خَلْقِهِ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى الْمَذْكُورَيْنِ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَبَيَّنَّ أَنَّهُ خَلَقَ ذَلِكَ الذَّكَرَ الَّذِي هُوَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْأَطْوَارَ الَّتِي مَرَّ بِهَا ذَلِكَ التُّرَابُ ، كَصَيْرُورَتِهِ طِينًا نَازِبًا وَحَمَاءً مَسْتُونًا وَصَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ .

وَبَيَّنَّ أَنَّهُ خَلَقَ تِلْكَ الْأُنْثَى الَّتِي هِيَ حَوَاءٌ مِنْ ذَلِكَ الذَّكَرِ الَّذِي هُوَ آدَمُ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة النساء - الآية ١ ،

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٨٩ ،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تُصْرَفُونَ ﴿١﴾ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ خَلَقَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مُّخْتَلِفَةٍ:
الْأَوَّلُ مِنْهَا: خَلَقَهُ لَنَا مِنْ أُنْثَىٰ وَلَنَا مِنْ ذَكَرٍ وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَالثَّانِي: خَلَقَهُ مِنْ ذَكَرٍ بِدُونِ أُنْثَىٰ وَهُوَ حَوَاءُ .

وَالثَّلَاثُ: خَلَقَهُ مِنْ أُنْثَىٰ بِدُونِ ذَكَرٍ وَهُوَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيَّيَا الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامُ .

الرَّابِعُ: خَلَقَهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَهُوَ سَائِرُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَتِهِ
جَلَّ وَعَلَا .

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْأُولَىٰ كَانَتْ
وُجُودُهَا الْأَوَّلُ مُسْتَنَدًا إِلَىٰ وُجُودِ الرَّجُلِ وَقَرَعًا عَنْهُ .

وَهَذَا أَمْرٌ كَوْنِيٌّ قَدْرِيٌّ مِنَ اللَّهِ، أَنْشَأَ الْمَرْأَةَ فِي إِجَادِهَا الْأَوَّلِ عَلَيْهِ .
وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ الْكَرِيمُ الْمُنزَّلُ مِنَ اللَّهِ لِيُعْمَلَ بِهِ فِي أَرْضِهِ بِمُرَاعَاةِ هَذَا
الْأَمْرِ الْكَوْنِيِّ الْقَدْرِيِّ فِي حَيَاةِ الْمَرْأَةِ فِي جَمِيعِ النَّوَاحِي .

فَجَعَلَ الرَّجُلَ قَائِمًا عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُسْتَنْدَةً إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ شُنُونِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (١) فمحاولة استواء المرأة مع الرجل في جميع نواحي الحياة لا يمكن أن تتحقق ؛ لأن الفوارق بين النوعين كونًا وقدرًا أوًا ، وشرعًا منزلاً ثانيًا - تمنع من ذلك منعًا باتًا .

ولقوة الفوارق الكونية والقدرية والشرعية بين الذكر والأنثى، صح عن النبي ﷺ أنه لعن المتشبه من النوعين بالآخر .

ولما شك أن سبب هذا اللعن هو محاولة من أراد التشبه منهم بالآخر، لتخظيم هذه الفوارق التي لا يمكن أن تتخطم .

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال " .

(١) سورة النساء - الآية ٣٤ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ بِسَنَدِهِ فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَيْنَا هُنَاكَ أَنَّ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مَلْعُونٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَوْ كَانَتْ الْفَوَارِقُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى يُمَكِّنُ تَحْطِيمُهَا وَإِزَالَتُهَا لَمْ يَسْتَوْجِبْ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ اللَّعْنِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَلِأَجْلِ تِلْكَ الْفَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الْكُونِيَّةِ الْقَدْرِيَّةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَرَّقَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُمَا فِي الطَّلَاقِ، فَجَعَلَهُ بِيَدِ الرَّجُلِ دُونَ الْمَرْأَةِ، وَفِي الْمِيرَاثِ، وَفِي نِسْبَةِ الْوَالِدِ إِلَيْهِ .

وَفِي تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ دُونَ الْأَزْوَاجِ : صَرَّحَ بِأَنَّ شَهَادَةَ امْرَأَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ شَهَادَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (١) ، فَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمَا لَمْ يَشَكَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهِمَا، وَقَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ بِقِيَامِ الرَّجُلِ مَقَامَ امْرَأَتَيْنِ فِي الشَّهَادَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٢) ، أَيِ غَيْرِ عَادِلَةٍ لِعَدَمِ اسْتِوَاءِ النَّصِيبَيْنِ لِفَضْلِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى .

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة النجم - الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

وَلِذَلِكَ وَقَعَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ فِي مُشْكَلَةٍ لَمَّا وَلَدَتْ مَرْيَمَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهَا
 ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
 وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١).

فامرأة عمران تقول: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ ، وهي صادقة في
 ذَلِكَ بِلَا شَكٍّ ، وَالْكَفْرَةُ وَأَتْبَاعُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ سَوَاءٌ .
 وَلَا شَكَّ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ فِي صِدْقِ هَذِهِ السَّالِبَةِ وَكَذِبِ هَذِهِ الْمُوجِبَةِ .
 وَقَدْ أَوْضَحْنَا فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) . وَجَهَ الْحِكْمَةَ فِي جَعْلِ الطَّلَاقِ
 بِيَدِ الرَّجُلِ وَتَفْضِيلِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَىٰ فِي الْمِيرَاثِ وَتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، وَكَوْنِ
 الْوَالِدِ يُنْسَبُ إِلَى الرَّجُلِ ، وَذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى
 قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٣) ، وَبَيَّنَّا أَنَّ الْفَوَارِقَ الطَّبِيعِيَّةَ
 بَيْنَهُمَا كَوْنُ الذُّكُورَةِ شَرَفًا وَكَمَالًا وَقُوَّةَ طَبِيعِيَّةَ خُلُقِيَّةً ، وَكَوْنُ الْأُنْثَىٰ بَعَكْسَ
 ذَلِكَ .

(١) سورة آل عمران - الآية ٣٦ .

(٢) سورة الإسراء - الآية ٩ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٢٨ .

وَبَيْنَا أَنَّ الْعُقَلَاءَ جَمِيعًا مُطَبِقُونَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِذَلِكَ، وَأَنَّ مِنْ أَوْصَحِ
الْأَدِلَّةِ الَّتِي بَيْنَهَا الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ اتِّفَاقُ الْعُقَلَاءِ عَلَى أَنَّ الْأُنثَى مِنْ حِينِ
نَشَأَتِهَا تُحَلَّى بِأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ مِنْ حُلِيِّ وَحُلَلٍ ، وَذَلِكَ لِجَبْرِ النَّقْصِ الْجِبَلِيِّ
الْخَلْقِيِّ الَّذِي هُوَ الْأُنُوثةُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

يَتَمُّ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصْرًا

وَمَا الْحُلِيِّ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ قَيْصَةٍ

وَقَدْ بَيْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْصَحَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ
فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١)، فَأَنْكَرَ عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَعَ ادِّعَاءِ الْوَالِدِ لَهُ
تَعَالَى جَعَلُوا لَهُ أَنْقَصَ الْوَالِدِينَ وَأَضَعَفَهَا خِلْقَةً وَجِبَلَةً وَهُوَ الْأُنثَى .
وَلِذَلِكَ نَشَأَتْ فِي الْحِلْيَةِ مِنْ صِغَرِهَا ، لِتَغْطِيَةَ النَّقْصِ الَّذِي هُوَ الْأُنُوثةُ
وَجَبَرَهُ بِالزَّيْنَةِ ، فَهِيَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُبِينٌ .
لِأَنَّ الْأُنثَى لِضَعْفِهَا الْخَلْقِيِّ الطَّبِيعِيِّ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُبَيِّنَ فِي الْخِصَامِ إِبَانَةَ
الْفُحُولِ الذُّكُورِ، إِذَا اهْتَضَمَتْ وَظَلَمَتْ لِضَعْفِهَا الطَّبِيعِيِّ .
وَإِنْكَارُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَعَ ادِّعَائِهِمْ لَهُ الْوَالِدَ جَعَلُوا لَهُ أَنْقَصَ
الْوَالِدِينَ وَأَضَعَفَهَا - كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ

(١) سورة الزخرف - الآية ١٨ .

(٢) سورة الصافات - الآيتان ١٥٣، ١٥٤ .

بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١﴾ ،
 وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢) ، وَالآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

وَأَمَّا الذَّكَرُ فَإِنَّهُ لَا يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ، لِأَنَّ كَمَالَ ذُكُورَتِهِ وَشَرَفَهَا وَقُوَّتَهَا
 الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى التَّزْيِينِ بِالْحَلِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُنْثَى ،
 لِكَمَالِهِ بِذُكُورَتِهِ وَنَقْصِهَا بِأُنُوثَتِهَا .

وَمِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِذَا تَعَاشَرَا الْمُعَاشِرَةَ
 الْبَشَرِيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي لَا بَقَاءَ لِلْبَشَرِ دُونَهَا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَتَأَثَّرُ بِذَلِكَ تَأَثُّرًا
 طَبِيعِيًّا كَوْنِيًّا قَدْرِيًّا مَانِعًا لَهَا مِنْ مَزَاوَلَةِ الْأَعْمَالِ كَالْحَمْلِ وَالنَّفَاسِ وَمَا يَنْشَأُ
 عَنْ ذَلِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ .

بِخِلَافِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَثَّرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذِهِ الْفَوَازِقِ لَا يَتَجَرَّأُ
 عَلَى الْقَوْلِ بِمُسَاوَاتِهِمَا فِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ إِلَّا مُكَابِرٌ فِي الْمَحْسُوسِ ، فَلَا
 يَدْعُو إِلَى الْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ. أ.هـ.

والمرأة لها دور في الحياة تقوم به، والرجل له دور يقوم به ولا يستطيع
 كل منهما أن يقوم بدور الآخر .

(١) سورة الإسراء - الآية ٤٠ .

(٢) سورة الزمر - الآية ٤ .

وعندما تم التساوي بينهما في أمور معروفة (١) انتهت أخلاق الرجل والمرأة، وكان نتاج ذلك خروج أجيال من الطرفين في غاية الانحلال والانحطاط البشري.

لأنه عندما تم التساوي في أمور التخصص، ضاعت حقوق الأسرة الرجل والمرأة والأولاد .

أسباب دخول الدين في حياة الرجل، هو نفس دخول الدين في حياة المرأة، والله كرم الرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٢)

وقد مدحت النساء، فقال الثعالبي في استقبال مولود: أهلا وسهلا بعقيلة النساء.. وأم الأبناء.. وجالبة الأصبهار.. والأولاد الأطهار.

لفضلت النساء علي الرجال

ولو كان النساء كمثل هذى

(١) ومن المساواة التي ينادون بها ولم يقبلها أي مسلم :

- أ - أن تسوى في ولاية الزواج ، بمعنى رفع ولاية الرجل عنها .
 - ب - أن تسوى في الطلاق، على معنى أنه يسحب الطلاق من الرجل ويوضع لدى القاضي.
 - ج - المساواة في الميراث.
 - د - إسقاط حق الرجل في التفرد.
 - هـ - المساواة في الشهادة .
- (٢) سورة الإسراء _ الآية ٧٠.

ولا التذكير فخر للهلال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب

- والله يعرفك البركة في مطلعها، والسعيدة بموقعها.
- الدنيا مؤنثة: والناس يخدمونها، وذكورا يعمرونها.
- والأرض مؤنثة: وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان.
- والحياة مؤنثة: ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا تحرك الأنام.
- والجنة مؤنثة: وبها وعد المتقون، وفيها تنعم المرسلون.
- وخرج من بطون النساء (الأنبياء والمرسلون.. والصديقون.. والشهداء والصالحون.. والعباد والزهاد).



المساواة في التكليف

وليعلم أن إيمان النساء كإيمان الرجال سواءً بسواءٍ، وخطاب الله - تعالى - في القرآن يدلُّ على المساواة بين الذكر والأنثى في أغلب التكاليف الشرعية، وأول تكليف لآدم وحواء على حدٍ سواء: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وأخرج الحميدي في مسنده، والترمذي في السنن، وأبو يعلى في مسنده، وصححه الألباني من حديث أم سلمة (رضي الله عنها): قالت يا رسول الله، لا أسمع الله نكراً للنساء في الهجرة، فأنزل الله: ﴿أَنْتِي لَأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (٢).

سوى الشرع بين المرأة والرجل في كثير من العبادات والمعاملات: فمن ذلك أنها تتوضأ كوضوء الرجل، وتغتسل كغسله، وتصلي كصلاته، وتصوم كصيامه إلا أن تكون في حال حيض أو نفاس، وتزكي كما أنه يزكي، وتحج كحجه - وتخالفه في يسير من الأحكام - ويجوز البيع منها ويقبل، وكذا لو تصدقت جاز منها، ويجوز لها أن تعتق من عبيدها ما ملكت يمينها.

(١) سورة البقرة - الآية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٩٥.

لكن من رحمة الله بالمرأة أنه خفف عنها التكليف في بعض التشريعات
مراعاة لطبيعتها الخلقية والنفسية (١).
فالخلاصة:

أن المرأة تماثل الرجل في أمور وتفارقه في أخرى وأكثر أحكام الشريعة
الإسلامية تنطبق على الرجال والنساء سواء ، وما جاء من التفريق بين
الجنسين ينظر إليه المسلم على أنه من رحمة الله وعلمه بخلقه ، وينظر إليه
الكافر المكابر على أنه ظلم ، ويركب رأسه ليزعم المساواة بين الجنسين
فليخبرنا كيف يحمل الرجل جنيناً ويرضعه، ويركب رأسه وهو يرى ضعف
المرأة وما ينزل عليها من الدم حال الدورة الشهرية ، وهكذا يظل ركباً
رأسه حتى يتحطم على صخرة الواقع ، ويظل المسلم مطمئناً بالإيمان
مستسلماً لأمر الله: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (٢)(٣).

(١) مثل ترك الصلاة والصوم في الحيض والنفاس مع قضاء الصوم، وعدم قضاء الصلاة
لحصول المشقة، ليس عليهن جمعة ولا جماعة.

(٢) سورة الملك - الآية ١٤ .

(٣) هل الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة _ موقع سؤال وجواب.

المساواة في الموالاة

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

المساواة في الدماء

وساوت الشريعة بين الرجل والمرأة في الدماء، وقررت أن يقتل الرجل بالمرأة؛ قال جلّ وعلا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

المساواة

في الحدود والعقوبات

وإقامة الحد على المرتكب عقوبة مقررة من التشريع لصالح الجماعة والأمة، لحماية النظام العام والمجتمع، لذلك يتساوى في هذا المبدأ الرجل

(١) سورة التوبة - الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٧٨.

والمرأة - إن ارتكب أحدهما شيئاً من تلك المعاصي، وقد استوجب حداً كجنايات الزنا والقذف والسرقه.

جاءت نصوص من الشارع تؤكد إقامة الحد على المرتكب، وتبين كيفية إجرائها على الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (٢).

وعن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففرع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ فقال: " أتكلمني في حد من حدود الله " ، قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأنى على الله بما هو أهله، ثم قال: " أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت

(١) سورة المائدة - الآية ٣٨.

(٢) سورة النور - الآية ٢.

يَدَهَا " ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ ، فَقَطَعَتْ يَدَهَا ، فَحَسَنَتْ تَوْبَتَهَا
بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

المساواة في جزاء الآخرة

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
(٢).

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ
فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣).

فساوى ربُّ العِزَّة - سبحانه وتعالى - بين الرجل والمرأة في كثيرٍ من
الآيات في القرآن العظيم في الجزاء الأخرى، وإن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ
على أنَّ المرأة كالرجل، مكفَّلة بالتكاليف الشرعية، مأمورة بالواجبات إن

(١) صحيح البخاري « كِتَابُ الْمُغَازِي » بَابُ مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ رَقْمٌ ٣٩٩٢ ،

صحيح مسلم « كِتَابُ الْحُدُودِ » بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ _ رَقْمٌ ٣٢٠٣ .

(٢) سورة النحل - الآية ٩٧ .

(٣) سورة غافر - الآية ٤٠ .

فعلتها أثبتت، وإن تركتها عُوقبت، فإذا احتمل الرجل نارَ الهجير، واصطلى جمرَةَ الحرب، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائده مثقال حبة عن المرأة إذا وفّت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنّت القيام على أولادها^(١).

وعن أمّ سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يُذكر الرجال، قالت: فلم يرعني - أي: يفرعني ويفاجئني - منه يومئذٍ إلاّ ونداؤه على المنبر، قالت: وأنا أُسرح شعري فلففت شعري، ثم خرجتُ إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلتُ سمعي عند الجريد - معناه: أنها رفعت رأسها إلى جهة الجريد الذي هو سقف المسجد إذ ذاك لقرب النبي ﷺ منه وهو على المنبر؛ لكونه غير مرتفع عن المنبر كثيراً - فإذا هو يقول عند المنبر: " يا أيها الناس، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

(١) عودة الحجاب (٢/٨٢).

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ (٢).

ولذا حث رسول الله أخص أقاربه من النساء علي العمل وترك
الإتكال علي النسب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله
- عز وجل: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٣)، قال: " يا معشر قريش -
أو كلمة نحوها - اشترُوا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني
عبدمناف، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب، لا
أُغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، لا أُغني عنك
من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سَليني ما شئت من مالي، لا
أُغني عنك من الله شيئاً " ^(٤).

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (١٠/٢١٩ ٢١٣٤١)، والحاكم
مختصراً، وصححه علي شرط الشيخين، وأقره الذهبي (٤١٦/٢)

(٣) سورة الشعراء - الآية ٢١٤.

(٤) رواه البخاري (٣٨٦/٨) في تفسير سورة الشعراء: باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾،
ومسلم في الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾.

الأحكام

التي يتساوى فيها الرجل والمرأة

الحقوق الكسبية والهبة والوقف والوصية والحقوق القضائية من قصاص وقتل وسرقة وحدود.

وأخلاق مثل : (الصدق .. الأمانة .. العدل .. الوفاء بالعهد والوعد .. الخ).

والفقه في الدين، ومعرفة الأحكام الشرعية، وطلب العلم الشرعي وأحوال السلوك.

والرخص الشرعية مثل قصر الصلاة للمسافر، والجمع بين الصلاتين، والإفطار أيام الرخص والسفر.

والذمة المالية، وصحة العقود المالية والتجارية.

أحكام تخص الرجل

(١) القوامة (الصداق، والنفقة).

(٢) الطلاق.

(٣) الجهاد.

(٤) صلاة الجمعة.

أحكام تخص المرأة

- (١) أحكام الحيض والنفاس.
- (٢) الجهاد خلف الرجال.

الأحكام

المتفاوتة بين الرجل والمرأة

- (١) الميراث.
- (٢) الشهادة.



القواممة

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣)

أي ليسوا سواء في الجسم والعقل والتكوين، بل لكل منهم طبيعته التي تهيئه للقيام علي وظيفته.

(١) سورة النساء - الآية ٣٤.

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران - الآية ٣٦.

والمرأة عاطفية: وهي في حاجة إلى هذه العاطفة، في تربية أولادها، وتضميد جراح زوجها إذا رجع إليها وشكى إليها عناء السعي والعمل، فيسمع منها كلمة تكون سبباً لراحته، كما كانت تفعل أمنا خديجة رضي الله عنها مع النبي صلي الله عليه وسلم.

والرجل يغلب عقله عاطفته، وذلك ليحكم الأمور في البيت، وخارج البيت.

وعلي المرأة أن تفهم أن القوامة للرجل.. ومن قوامة الرجل للمرأة، أن يحافظ علي عرضها، وما لها، ودينها، وقد أشار الله إلى ذلك في كتابه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

يقول ابن كثير (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (٢) أي الرجل قيم علي المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت (٣).

(١) سورة التحريم - الآية ٦.

(٢) سورة النساء - الآية ٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٤٩١.

ويقول العلامة الشنقيطي:

أشار إلي أن الرجل أفضل من المرأة، وذلك لأن الذكورة شرف وكمال ،
والأنوثة نقص خلقي طبيعي، لأن الأنثى يجعل لها جميع الناس أروع الزينة
والحلي ، وذلك إنما هو لجبر النقص الخلقي الطبيعي، ولا عبرة بنوادر
النساء لأن النادر لا حكم عليه .(١)

أسباب القوامته:

- (١) **كمال العقل والتمييز:** قال الإمام القرطبي: إن الرجال لهم فضيلة في زيادة
العقل والتدبير، فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك .
- (٢) **كمال الدين:** لأن المرأة تحيض وتنفس، فلا تصلي ولا تصوم في هذه
الفترة بخلاف الرجل .
- (٣) **بذل المال:** مثل الصداق والنفقة، فهذا واجب علي الرجل دون المرأة..
ولذا قال الفقهاء: إذا امتنع الزوج عن النفقة علي المرأة، فلها الفسخ عن
طريق القضاء.

(١) أضواء البيان للشنقيطي ١/١٣٦

والخلاصة:

أن القوامة للرجل، فإذا أنفقت عليه وعلي نفسها وأولادها، فإنه يكون من الإحسان كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا * وَلَا تُوْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (١) (٢) .

فإذا نزعت القوامة من الرجل، وأصبحت القوامة للمرأة، نزعت البركة من البيت، وكثرت المشاكل، لمخالفة سنن الله عز وجل.



(١) سورة النساء _ الآيتان ٤ ، ٥ .

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ١٨٨/٢ تفسير القرطبي ١٦٩/٢ أضواء البيان للشنقيطي

١٣٦/١ أحكام القرآن لابن العربي ٥٣١/١ .

مناذج

من إيمان النساء بالغيب وتكذيب المشاهد

زوجة عبد الله بن رواحه

عن عكرمة رضي الله عنه قال : كان ابن رواحة رضي الله عنه مضجعا إلي جنب امرأته فقام إلي جارية له في ناحية الحجرة، فوقع عليها، وفزعت امرأته، فلم تجده في مضجعه ، فقامت، وخرجت، فرأته علي جارية، فرجعت إلي البيت فأخذت الشفرة، ثم خرجت، وفرغ فقام، فلقيها تحمل الشفرة فقال: مهيم ؟ فقالت: مهيم ؟ لو أدركتك حيث رأيتك علي الجارية ، فقال: ما رأيتني، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب، قالت: فقرأ ! فقال:

أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو كتابه كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يببت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر.. ثم غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فضحك حتى رأيت نواجذه. رواه الدار قطني. (١).

(١) حياة الصحابة (إيمان الصحابة بالغيب بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم - تكذيب التجربات والمشاهدات

هكذا الإيمان يجعل عندهن التسليم وإن كان خلاف المشاهدة، لأن المشاهد أنها رأتَه فوق الجارية، فلما قرأ الأبيات وظنت أنها قرآن فصدقته وكذبت بصرها.

زوجة جابر بن عبد الله

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَا ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : عَمَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ ، غَيْرُ جِدِّ سَمِينَةٌ . قَالَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ قَالَ : فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي ، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا ، وَدَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ - قَالَ : وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا ، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا ، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ ، فَأَحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ . قَالَ : فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِحًا فَصَرَخَ : أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ قَالَ : فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، قَالَ : فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ . قَالَ : فَبَرَكَ وَسَمَّى (اللَّهُ) ، ثُمَّ أَكَلَ ،

وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ
أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا. (١) .

ورواه البيهقي في (الدلائل) :.....لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام، قال
للمسلمين جميعاً: " قوموا إلى جابر " فقاموا، قال: فلقيت من الحياء ما لا
يعلمه إلا الله، وقلت: جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق، ودخلت على
امرأتي أقول: افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق
أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله
أعلم قد أخبرناه ما عندنا. قال: فكشفت عني غماً شديداً. قال: فدخل رسول
الله ﷺ فقال: ((خدمي ودعيني من اللحم)) وجعل رسول الله ﷺ يثرد،
ويغرف اللحم، ويخمر هذا، ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا
أجمعين، ويعود التنور والقدر أملاً ما كانا. ثم قال رسول الله ﷺ: ((كلي
وأهدي)) فلم تزل تأكل وتهدي يومها.

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا
ثمانمائة، أو قال ثلثمائة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام _ غزوة الخندق _ البركة في طعام جابر.

وفي قولها لزوجها: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا. قال: فكشفت عني غمًا شديدًا. دلالة علي قوة إيمانها بالغيب وتكذيب المشاهدات.

وعن سهل بن عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال: " أتى جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ ، فسلم عليه ، فردَّ عليه السلام ، قال : فرأيت وجه رسول الله ﷺ متغيرًا ، وما أحسب وجه رسول الله ﷺ تغير إلا من جوع ، فاتيت منزلي ، فقلت للمرأة: ويحك ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه ، فردَّ علي السلام ووجهه متغير ، وما أحسب وجهه تغير إلا من الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت: والله ما لنا إلا هذا الداجن وفضلة من زاد نعل بها الصبيان ، فقلت لها: هل لك أن نذبح الداجن وتصنعين ما كان عندك ، ثم نحمله إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت: أفعل من ذلك ما أحببت ، قال : فذبحت الداجن ، وصنعت ما كان عندها ، وطحنت وخبزت ، وطبخت ، ثم ثردنا في جفنة لنا ، فوضعت الداجن ، ثم حملتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعتها بين يديه ، فقال : ما هذا يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله ، أتيتك فسلمت عليك ، فرأيت وجهك متغيرًا ، فظننت أن وجهك لم يتغير إلا من الجوع ، فذبحت داجنًا كانت لنا ثم حملتها إليك ، قال: يا جابر ، اذهب فاجمع لي قومك ، قال : فاتيت أحياء العرب ، فلم أزل أجمعهم فاتيتهم بهم ، ثم دخلت ، فقلت : يا رسول الله ، هذه الأنصار قد أجمعت ، فقال: أدخلهم علي أرسالا ، فأدخلتهم عليه أرسالا ، فكانوا يأكلون منها ، فإذا شبع قوم

خَرَجُوا وَدَخَلَ آخَرُونَ ، حَتَّى أَكَلُوا جَمِيعًا ، وَفَضَلَ فِي الْجَفْنَةِ شَبِيهَ مَا كَانَ فِيهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : كُلُوا وَلَا تَكْسِرُوا عَظْمًا ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ الْعِظَامَ فِي وَسْطِ الْجَفْنَةِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا أَنِّي أَرَى شَفْتَيْهِ تَتَحَرَّكَانِ ، فَإِذَا الشَّاةُ قَدِ قَامَتْ تَنْفُضُ أُذُنَيْهَا ، فَقَالَ لِي : خُذْ شَاتَكَ يَا جَابِرُ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَأَخَذْتُهَا وَمَضَيْتُ ، وَإِنِّي لَتَنَازِعُنِي أُذُنُهَا ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهَا الْبَيْتَ ، فَقَالَتْ لِي الْمَرْأَةُ : مَا هَذِهِ يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ شَاتِنَا الَّتِي ذَبَحْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، دَعَا اللَّهُ فَأَحْيَاهَا ، قَالَتْ : أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (١).

وفي قولها: (أنا أشهد أنه رسول الله) دلالة علي قوة إيمانها وتصديقها

بالغيب.



(١) دلائل النبوة لأبي نعيم _ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني _ الفصلُ الثلاثون: في ذكرِ مُوَازاةِ الأنبياء... ، البداية والنهاية - ابن كثير ٦ / ١٢٠ ، سبيل الهدى والرشاد - الصالحي الشامي - ١٠ / ١٤ .

يقين المرأة المسلمة

هاجر المصرية

(زوجة الخليل إبراهيم .. وأم إسماعيل عليهما السلام)

(وجة خاتم النبيين ﷺ)

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ
النِّسَاءُ الْمِنْطِقَ مِنْ قَبْلِ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطِقًا لَتُعْفِي أَثَرَهَا
عَلَى سَارَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تَرْضِعُهُ حَتَّى
وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ
وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا
جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ
إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ
إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَنْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ اللَّهُ
الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذْنًا لَنَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ
فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ
بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ

ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّىٰ بَلَغَ يَشْكُرُونَ وَجَعَلْتَ أُمَّ
 إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا نَفَدَ مَا فِي
 السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ أَوْ قَالَ
 يَتَلَبَّطُ فَاَنْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ
 يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَّ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا
 فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَّ رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ
 سَعِيَ الْبِئْسَانَ الْمَجْهُودِ حَتَّىٰ جَاوَزَتْ الْوَادِيَّ ثُمَّ اتَّالَمْرُوءَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا
 وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا
 أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهْ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ
 فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ
 مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمَاءُ
 فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا
 وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ
 لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا
 تَخَافُوا الضِّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا
 يُضِيعُ أَهْلَهُ وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ

عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقٍ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَيْنِ فَإِذَا هُمُ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ فَقَالَتْ نَعَمْ وَلَكِنْ لَنَا حَقٌّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أُبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ فَلَمْ يَجِدِ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتُ إِلَيْهِ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَانَهُ أَنْسَ شَيْئًا فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ غَيْرُ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ

عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لَأَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَنْتِ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشِنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمْرِي أَنْ أُمْسِكَ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يُبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمْرِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعِ مَا أَمْرُكَ رَبُّكَ قَالَ وَتُعِينُنِي قَالَ وَأُعِينُكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمْرِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةٍ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِيوَ إِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ

الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قَالَ فَجَعَلَا
بَيْنَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ (١).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا كَانَ
بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا
مَاءٌ فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لِبَنِّهَا عَلَى صَبِيَّهَا حَتَّى قَدِمَ
مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ فَاتَّبَعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ
حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءَ نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا ، قَالَ : إِلَى اللَّهِ
، قَالَتْ : رَضِيتُ بِاللَّهِ ، قَالَ : فَارْجَعْتِ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لِبَنِّهَا عَلَى
صَبِيَّهَا حَتَّى لَمَّا فَنِيَ الْمَاءُ ، قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لِعَلِّي أَحْسُ أَحَدًا ، قَالَ :
فَذَهَبْتُ فَصَعِدْتُ الصَّفَا فَنَظَرْتُ وَنَظَرْتُ هَلْ تُحْسُ أَحَدًا فَلَمْ تُحْسُ أَحَدًا فَلَمَّا
بَلَغَتْ الْوَادِيَّ سَعَتْ وَأَتَتْ الْمَرْوَةَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ
فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ تَعْنِي الصَّبِيُّ فَذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَعُ
لِلْمَوْتِ فَلَمْ تُقْرِهَا نَفْسُهَا ، فَقَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لِعَلِّي أَحْسُ أَحَدًا فَذَهَبْتُ
فَصَعِدْتُ الصَّفَا فَنَظَرْتُ وَنَظَرْتُ فَلَمْ تُحْسُ أَحَدًا حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوْ
ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ فَإِذَا هِيَ بِصَوْتِ ، فَقَالَتْ : أَعِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ فَإِذَا
جَبْرِيلُ ، قَالَ : فَقَالَ : بَعِثْهُ هَكَذَا وَغَمَزْ عَقْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ : فَانْبَثَقَ الْمَاءُ

(١) صحيح البخاري _ كتاب أحاديث الأنبياء _ باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً _

فَدَهَشَتْ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ تَرَكْتُهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا، قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ وَيَدْرُ لِبَنَاهَا عَلَى صَبِيهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمِ بَبْطِنِ الْوَادِي فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَاتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَاتَوَّأَ إِلَيْهَا، فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكَ أَوْ نَسْكُنَ مَعَكَ فَبَلَغَ ابْنُهَا فَفَكَحَّ فِيهِمْ امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرَكْتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّنَ إِسْمَاعِيلُ؟، فَقَالَتْ: امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ، قَالَ: قَوْلِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيْرَ عَتَبَةَ بَابِكَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرْتَهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَلِكَ فَادْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرَكْتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَقَالَ: أَيُّنَ إِسْمَاعِيلُ؟، فَقَالَتْ: امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلَا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟، قَالَتْ: وَشَرَابُنَا الْمَاءُ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: بَرَكَتٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لِأَهْلِهِ إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرَكْتِي فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطْعَ رَبِّكَ، قَالَ إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلْ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ: فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ بَيْتِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١)، قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ

الْبِنَاءُ وَضَعَفَ الشَّيْخُ عَلَى نَقْلِ الْحِجَارَةِ فَقَامَ عَلَى حَجَرِ الْمَقَامِ فَجَعَلَ يَنْوِلُهُ
الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " . (١) .

كم سنة صحبت هاجر إبراهيم عليه السلام حتى تتحصل علي هذا اليقين !!؟

أترين أختي المسلمة.. أين كانت تعيش هاجر كانت في بيئة كافرة حتى
أخدمها جبار مصر لسارة عليها السلام.. وأنت كم صحبت والديك المسلمين؟
، ثم انتقلت من صحبة والديك.. إلى زوجك المسلم أيضاً.. فكم جاء عندك من
اليقين .

وازني بين يقينك، ويقين هاجر عليها السلام.. تصوري لو أنك مكانها..
على الحال التي كانت عليها حين تركها الخليل إبراهيم، كما وصف ابن
عباس عليه السلام، وتركك زوجك وذهب في سبيل الله.. فكيف تفعلين وماذا
تقولين؟.



(١) صحيح البخاري - كتاب الحج - أبواب المحصر وجزء الصيد رقم الحديث: ٣١٣٨.

يقيين

الصديقة مريم (عليها السلام)

قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

قال ابن جريج في قوله " وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا " قال : نبتت في غذاء الله . (٢)

و أجمع المفسرون مثل: مجاهد.. ابن عباس .. ابن جريج ، في قال تعالى: ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ أنه وجد عندها فاكهة الجنة . الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد .. فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

(١) سورة آل عمران - الآية ٣٧ .

(٢) الدر المتثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ / ١٨٥ .

فقال زكريا عليه السلام: ﴿ **أَتَىٰ لَكَ هَذَا** ﴾ يعني من أين لك هذا؟ ومن أتى لك بهذا في غير حينه؟ ﴿ **قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ فالذي يقوم علي جهد الدعوة إلي الله ﷻ ويلزم بيوت الله ﷻ.. فالله ﷻ يرزقه اليقين الذي رزقه لمريم عليها السلام ، التي تربت في بيت الله " بيت المقدس " فهكذا الله ﷻ يربي أوليائه وأحبابه رجالا ونساء.



يقين

أم موسى (عليها السلام)

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ * فَالتَّقَطُّهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ

وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ

عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا

أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ

قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ

نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض: إن الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر ونشر الله بني إسرائيل لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام حتى كان فرعون موسى وكان أعتاهم علي الله وأعظمهم قولاً وأطولهم عمراً واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان سيء الملكة على بني إسرائيل يعذبهم ويجعلهم خوفاً ويسومهم سوء العذاب.

فلما أراد الله أن يستنفذهم بلغ موسى الأشد وأعطي الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت علي بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا: يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو إسرائيل منه رجل وقيل: إنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون إليه فقالوا: اعلم أننا نجد في علمنا أن

مولوداً من بني إسرائيل قد أظنك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل.

أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى عليه السلام، فما نفعه ذلك مع قدرة الإله العظيم الذي لا يخالف أمره ولا يغلب، بل نفذ حكمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيته وتدله وتتفاداه وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السماوات العلا هو القاهرون فيها الغالب العظيم، القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل، خافت القبط أن يفني بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة، فقالوا لفرعون: أنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم، وغلمانهم يقتلون، ونسأؤهم لا يمكن أن تقم بما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك، فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الوالدان، وولد موسى في السنة التي يقتل فيها الولدان، وكان لفرعون موكلون بذلك وقوابل يدرن على النساء، فمن رأيتها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذباحون

بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا، قبحهم الله تعالى، فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تفتن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبه حباً زائداً، وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه، قال تعالى: **{ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ**

محبه مني } فلما ضاقت به ذرعاً ألهمت في سرها ونفت في روعها، كما قال تعالى: **{ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }** وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت، وسيرته في البحر وربطته في بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعت في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر، وذهلت أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى، فاحتملته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، وخشين أن يفتتن فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلمها، ولهذا قال: **{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا }** الآية، قال محمد

بن إسحاق: اللام هنا لام العاقبة لا لام التعليل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، قال تعالى: { **إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** }، وقوله تعالى: { **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** } الآية، يعني أن فرعون لما رآه هم بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون، فقالت: { **قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** }، فقال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه، وقوله: { **عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا** } وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه، وقوله: { **عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** } أي أرادت أن تتخذه ولداً وتتبناه، وذلك أنه لم يكن لها ولد منه، وقوله تعالى: { **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** } أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة.

قول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغاً، أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، قاله ابن عباس ومجاهد { **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ**

رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } : أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها، فأمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي ما يقال لها فقالت لها : اتبعي أثره وخذي خبره، وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك { فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } قال ابن عباس: عن جانب، وقال مجاهد: وقال مجاهد: بصرت به عن بعيد. وقال قتادة: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل ثدياً وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته بأيديهم عرفته، ولم يظهر ذلك ولم يشعروا بها، قال تعالى: { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ } أي تحريماً قديراً وذلك لكرامته عند الله وصيانيته له أن يرتضع غير ثدي أمه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه { فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } قال ابن عباس: فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له، وشفقتهم عليه؟، فقالت لهم: نصحهم له

وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعتهم فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها، فالتقمه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنّت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلوات والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجه ورزق دار، ولهذا جاء في الحديث: **مَثَلُ الَّذِي يَعْمَلُ وَيَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرِ كَمَثَلِ أُمِّ مُوسَى تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا** (١)، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة، فسبحان من بيده الأمر، يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً، وبعد كل ضيق مخرجاً، ولهذا قال تعالى: **{ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا }** أي به **{ وَلَا تَحْزَنْ }** أي عليه **{ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ }** أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين، وقوله تعالى: **{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }** أي حكم الله في أفعاله وعواقبها

(١) والحديث في ضعيف الجامع (٥٢٤٥) ومراسيل ابو داود ٣٣٣ وسنن البيهقي ٩ / ٢٧.

المحمودة، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر، كما قال تعالى: **{ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً }** هذه القصة من أعظم القصص في اليقين علي الله جل جلاله، حيث أن الوحي الذي أوحاه الله عز وجل لأم موسى كان وحي إلهام، ومع ذلك امتثلت ما أمرها به ربها مع شدة حبها لابنها.

قيل: خير ما صعد من الأرض الإخلاص وخير ما نزل من السماء اليقين.

اللَّهُمَّ .. إني أسألك العفو والعافية واليقين في الأولي والآخرة .

اللَّهُمَّ .. ارزقنا من اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا.

اللَّهُمَّ .. اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية ووضحت لهم

طريق النجاة ، و سلكوا سبيل الإخلاص واليقين .



يقين

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)

عندما رجع الحبيب محمد ﷺ من الغار وقص عليها مجيء جبريل ﷺ كما في صحيح البخاري، عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِبَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حَتَّى بَلَغَ عِلْمَ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمُّونِي زَمُّونِي فَزَمُّوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ

وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ
 انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ
 قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ
 يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ
 وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيُّ ابْنِ عَمِّ اسْمَعُ مِنْ ابْنِ
 أَخِيكَ فَقَالَ وَرَقَةَ ابْنِ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ :
 هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ
 يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْمُخْرَجِي هُمْ، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ
 يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ
 نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوَفِّي وَفَتَرَ الْوَحْيَ فَبَدَأَ حَتَّى حَزَنَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ
 رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى
 لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقْرُ
 نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ
 جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ضَوْءُ
 الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ^(١).

(١) صحيح البخاري - كتاب التَّعْبِيرِ - بَابُ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا
 الصَّالِحَةُ - رقم ٢٥٦١.

انظري أختي المسلمة:

إلي هذه الكلمات الرقراقة التي تتلج الصدور، التي قالتها أمنا
خديجة لزوجها الحبيب محمد لتواسيه : كلا، والله لا يخزيك الله أبداً..
إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين
علي نوائب الحق.

فو الله ! إنها لكلمات تستحق أن تكتب بماء الذهب.

فو الله ! لقد صدق يقينها وما أخزاه الله أبدا .

واختاره نبوته ورسالته ، وجعله خليه .. وحبيبه .. ومصطفاه

ﷺ



يقين

الزهراء (فاطمة بنت الرسول ﷺ وريحانته)

فعن جابر، أن رسول الله ﷺ أقام أياما لم يطعم طعاما، حتى شق ذلك عليه ، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا، فأتى فاطمة، فقال: " يا بنية! هل عندك شيء أكله فإني جائع " ؟ فقالت: لا والله . فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضعت في جفنه لها وقالت : والله لأؤثرن هذا رسول الله ﷺ علي نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعا محتاجين إلي شبعة طعام ، فبعثت حسنا أو حسينا إلي رسول الله ﷺ فرجع إليها ، فقالت له : يا أبي أنت وأمي - قد أتى الله بشيء قد خبأته لك فقال : هلمي يا بنية بالجفنة .. فكشفت عن الجفنة - فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله ... فحمدت الله تعالى وقدمته إلي النبي ﷺ ، فلما رآه حمد الله وقال : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : يا أبت " هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " فحمد الله ، ثم قال : الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها

الله ﷻ رزقا فسئلت عنه، قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " أخرجه أبو يعلى (١).

يقين

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

عن مالك أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ (رضي الله عنها): أن مسكينا سألتها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاة لها: أعطيتها إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيتها إياه، قالت: ففعلت، فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا شاة وكتفها فدعتني عائشة (رضي الله عنها) فقالت: كلي من هذا ! هذا خير من قرصك . (٢).

(١) (الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٨٦/٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) .

(١) رواه مالك في الموطأ ص ٣٩٠ .

يقين المرأة المجادلة

خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها)

عن خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها)، قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليّ يوما فراجعتني بشئ فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي ، قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، فامنتعت بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلي بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا، ثم خرجت حتى جئت إلي رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: " يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه " ، فوالله ! ما برحت، حتى نزل في قرآن فتعشى رسول الله ﷺ ما كان يغشاه ، ثم سري عنه ، فقال لي : " يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآن " ثم قرأ علينا : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ

قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ " .

فقال رسول الله ﷺ : " مريه فليعتق رقبة " قالت ، فقلت : يا رسول
الله ! ما عنده ما يعتق ، قال : " فليصم شهرين متتابعين " ، قالت ،
فقلت : والله ! إنه لشيخ كبير ما به من صيام ، قال : " فليطعم ستين
مسكينا وسقا من تمر " قالت ، فقلت : والله يا رسول الله ! ما ذاك عنده ،
قالت : فقال رسول الله ﷺ : " فإننا سنعيه بفرق من تمر " قالت : فقلت :
يا رسول الله ! وأنا سأعيه بفرق آخر ، قال : " قد أصبت وأحسن
فاذهبي فاتصدي به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيرا " قالت
: ففعلت . أخرجه أحمد وأبو داود (٢) .

(١) سورة المجادلة - الآية ١ .

(٢) مختصر ابن كثير ٣ / ٤٥٩ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الخاء
_ خولة بنت ثعلبة .

(٣) المرجع السابق .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلي النبي ﷺ تكلمه ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : " : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ أخرجه البخاري تعليقا والنسائي وابن ماجة ^(١)

وعنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شئ ، إني لأسمع كلام (خولة بنت ثعلبة) ويخفي علي بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلي رسول الله ﷺ ، وهي تقول : يا رسول الله أكل مالي، وأفني شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ قالت : وزوجها أوس بن الصامت. أخرجه بن أبي حاتم.

- يقول الفخر الرازي: هذه الواقعة تدل علي أن من انقطع رجأؤه عن الخلق ولم يبق له أحد سوي الخالق كفاه الله ذلك الأمر .
- خولة تنصح عمر بن الخطاب :

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ : رُوِينَا مِنْ وُجُوهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ خَرَجَ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَمَرَّ بِعَجُوزٍ فَاسْتَوْفَفَتْهُ ، فَوَقَفَ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهَا وَتُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسْتَ النَّاسَ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ ، قَالَ : وَيْلُكَ ! تَدْرِي مَنْ هِيَ ؟ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ

فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، هَذِهِ خَوْلَةٌ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ ، الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿قَدْ سَمِعَ
 اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (١) ، وَاللَّهُ لَوَ
 أَنَّهُ وَقَفَتْ إِلَى اللَّيْلِ مَا فَارَقْتُهَا إِلَّا لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ أَرْجَعُ إِلَيْهَا (٢)
 أتدرون من هذه العجوز ؟ هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من
 فوق سبع سماوات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (٣).



(١) سورة المجادلة - الآية ١ .

(٢) إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي - ذَكَرَ أَخْبَارَ وَارِدَةٍ فِي هَذَا عَنِ الْأَنْبِيَاءِ - رَقْم ٤٩ ،
 أُسْدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ - كِتَابُ النِّسَاءِ - حَرْفُ الْخَاءِ - خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ .

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير .

يقين

صاحبة التنور (رضي الله عنها)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل علي أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلي البرية ، فلما رأت امرأته قامت إلي الرحي فوضعتها : وإلي التنور فسجرتة ، ثم قالت : اللهم ! ارزقنا ، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت قال : وذهبت إلي التنور ، فوجدته ممتلئا . قال : فرجع الزوج ، قال : أصبتم بعدي شيئا ؟ قالت: امرأته: نعم من ربنا، وقام إلي الرحي فذكر ذلك إلي النبي ﷺ ، فقال: " أما أنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلي يوم القيامة "

رواه أحمد (١)

فيا لها من امرأة مؤمنة قد امتلأ قلبها إيمانا ويقينا بالله ﷻ.

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الرقاق - باب التوكل والصبر ٣/١٤٦١ .

يقين

المرأة التي أحياها الله ﷻ لها ولدها

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عون عن أنس رضي الله عنه قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثا لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم ، قلنا: ما هن يا أبا حمزة ؟ قال : كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأنته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلي النساء ، وأضاف ابنها إلينا فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة ، فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : يا أنس ! ائت أمه فأعلمها ، فأعلمتها ، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه ، فأخذت بهما ثم قالت : اللهم! إني أسلمت لك طوعا، وخالفت الأوثان زهدا ، وهاجرت لك رغبة . اللهم! لا تشمت بي عبدة الأوثان، ولا تحملني من هذه المصيبة، مالا طاقة لي بحملها ، قال: فو الله ! ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله ورسوله ﷺ وحتى هلكت أمه " (١)



(١) كذا في البداية ٦/٢٥٩، ١٥٤ .

يقين

سودة اليمانية (رضي الله عنها)

أخرج أبو يعلى عن رُزينة مولاة رسول الله ﷺ أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها، وعندها حفصة بنت عمر، فجاءت سودة في هيئة، وفي حالة حسنة، عليها درع من برود اليمن، وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل العرستين من طيب زعفران في موقئها، قالت: وأدركت النساء يتزين به، فقالت حفصة لعائشة: يا أم المؤمنين، يجرى رسول الله ﷺ فيرانا قشفا وهذه بيننا تبرق (١)، فقالت أم المؤمنين: اتق الله يا حفصة، اتق الله يا حفصة. فقالت: لأفسدن عليها زينتها. قالت: ما تقلن؟ وكان في أذنها ثقل، قالت لها حفصة: يا سودة، خرج الأعرور. قالت: نعم، ففرعت فرعا شديدا، فجعلت تنتفض، فقالت: أين أختبئ؟ قالت: عليك بالخيمة، خيمة لهم من سعف يطبخون فيها، فذهبت، فأختبأت فيها، وفيها قُدور، ونسج العنكبوت، فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان، لا تستطيعان أن تتكلما من الضحك، فقال: " ما ذا الضحك؟ " ثلاث مرات. فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب، فإذا

(١) وفي رواية للطبراني: ونحن فسقتين وهذه بيتنا تبرق.

وهي سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية اليمانية امرأة شاعرة وفدت على معاوية وجرت له معها محاورة، وهي غير أم المؤمنين سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

سَوْدَةٌ تُرْعِدُ ، فَقَالَ لَهَا: " يَا سَوْدَةَ ، مَا لَكَ ؟ " قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَرَجَ الْأَعْوَرُ ، قَالَ: " مَا خَرَجَ وَلَيْخُرْجَنَّ ، مَا خَرَجَ وَلَيْخُرْجَنَّ ".
ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَهَا ، فَجَعَلَ يَنْفُضُ عَنْهَا الْغُبَارَ ، وَنَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ " (١) . انظروا
إلي يقينها وتصديقها.



(١) . حياة الصحابة - باب معاشره النساء والرجال والصبيان ٢ / ٦٧٥ - إتحاف الخيرة
المهرة بزوائد المسانيد العشرة - كتاب النكاح - باب : عشرة النساء - رقم ٢٦٦٥ .

يقين

ابنة حاتم الأصم (رحمها الله)

حكى أن حاتم الأصم كان رجلاً كثير العيال ، وكان له أولاد ذكور وإناث ، فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم ، فتعرضوا لذكر الحج ، فدخل الشوق قلبه ، ثم دخل علي أولاده ، فجلس معهم يحدثهم ، ثم قال لهم : لو أنتم لأبيكم أن يذهب إلي بيت ربه في هذا العام حاجا ، ويدعو لكم ، ماذا عليكم لو فعلتم ؟ فقالت زوجته وأولاده : أنت علي هذه الحال لا تملك شيئا ، ونحن علي ما ترى من الفاقة ، فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحال ؟ وكان له ابنة صغيرة فقالت : ماذا عليكم لو أنتم له ولا يهتمكم ذلك ؟ دعوه يذهب حيث شاء ، فإنه مناول للرزق ، وليس برزاق ، فذكرتهم ذلك ، فقالوا : صدقت - والله - هذه الصغيرة ، يا أبانا ، انطلق حيث أحببت . فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج . وخرج مسافرا ، وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أننوا له بالحج ، وتأسف علي فراقه أصحابه وجيرانه ، فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون : لو سكت ما تكلمنا ، فرفعت الصغيرة طرفها إلي السماء فقالت : إلهي وسيدي ومولاي : عودت القوم بفضلك ، وأنت لا تضيعهم ، فلا تخيبهم ، ولا تخجلني معهم . فبينما هم علي هذه الحال ، إذ

خرج أمير البلد متصيذاً، فانقطع عن عسكره وأصحابه، فحصل له عطش شديد، فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم، فاستقى منهم ماءً، وقرع الباب، فقالوا: من أنت؟ قال: الأمير، ببابكم ليستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي سبحانك.. البارحة بتنا جياعا، واليوم يقف الأمير بابنا يستسقيننا، ثم إنها أخذت كوزاً جديداً وملاؤه ماءً، وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز وشرب منه، فاستطاب الشرب من ذلك الماء، فقال: هذه الدار لأمير؟ فقالوا: لا والله! بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم، فقال الأمير: لقد سمعت به، فقال الوزير: يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر، ولم يخلف لعياله شيئاً، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا، فقال الأمير: ونحن قد ثقلنا عليهم اليوم، وليس من المروءة أن يثقل مثلنا علي مثلهم، ثم حل الأمير منطقتهم من وسطه ورمي بها في الدار، ثم قال لأصحابه: من أحبني، فليلق منطقتهم، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم، ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت.. لأتيناكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما نزل الأمير رجع إليهم الوزير، ودفع إليهم ثمن المناطق، مالا جزيلا واستردها منهم.. فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديداً. فقالوا لها: ما هذا البكاء؟ إنما يجب أن تفرحي، فإن الله قد وسع علينا، فقالت: يا أم، والله إنما بكائي، كيف بتنا البارحة جياعا، فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا؟ فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلي أحد طرفة عين..

اللهم انظر إلي أبنينا، ودبره بأحسن تدبير. ولما خرج حاتم، مرض أمير
الركب.. فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا، فقالوا: هل من عبد صالح؟ فدل علي
حاتم، فلما دخل عليه وكلمه دعا له، فعوفي الأمير من وقته، فأمر له بما
يركب، وما يأكل، وما يشرب، فنام تلك الليلة ففكر في أمر عياله، فقيل له: يا
حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه، ثم أخبر بما كان من أمر
عياله، فأكثر الثناء علي الله تعالى.. فلما قضي حجه ورجع تلقته أولاده،
فعانق الصبية الصغيرة، وبكى، ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين.. إن الله
لا ينظر إلي أكابركم ولكن ينظر إلي أعرفكم به. (١).



(١) المستطرف في كل فن مستظرف - باب التوكل علي الله والرضا بما قسم - ص ١٢٣ - .

يقين

امرأة مظلومة

ويروى أنه بينما الوزير فخر الملك يمشي إذ بامرأة تعترضه ، وترفع إليه شكايتها وذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها ، فجعل الوزير لا يلتفت إليها ! فقالت له ذات يوم : أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها ؟ قد رفعتها إلي الله ﷻ !! وأنا أنتظر التوقيع عليها !! فلم تمضى أيام حتى قبض سلطان الدولة علي الوزير فجرده من كل أمواله، ثم قتله، وعندها قال الوزير بحرقة وأسى: قد والله ! خرج توقيع المرأة !.



قصة مؤثرة

في اليقين علي الله (عز وجل)

عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعة لم يطعم هو وعياله شيئاً. فقالت له امرأته: لو خرجت وطلبت لنا شيئاً. فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى أتى أهله فقالت له امرأته: ماذا صنعت فقال: قد عملت مع أستاذي وقد وعدني أن يعطيني ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله فقالت له امرأته: ماذا صنعت قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري فخاصمته امرأته وبرزت عليه فلبث يتقلب ظهراً لبطناً وبطناً لظهراً وصبيانه يتضاغون جوعاً ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى قال: أين أمضي تركت أقواماً يتضاغون جوعاً ثم تحمل على جهد منه فلما قرب من داره سمع ضحكاً وسروراً وسمع رائحة قديد

ورائحة شواء فأخذ على بصره وقال: أنائم أنا أم يقظان تركت أقواماً يتضاغون جوعاً و أشم رائحة قديد ورائحة شواء وأسمع ضحكاً وسروراً دنا من الباب فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت: يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودرهم وكساء وودك ودقيق وقال: إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: رأيت عملك فرضيته فإن أنت زدتنى في العمل زدتك في الأجرة (١) .



من روائع الحب لرسول الله ﷺ

• صورة من حب الرجال لرسول الله ﷺ:

فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنك أحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى أتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أني لا أراك، فلم يرد عليها النبي ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني لأحبك حتى إني أذكرك، فلولا أنني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أنني إذا دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة،

(١) سورة النساء - الآية ٦٩.

فيشق ذلك عليّ وأحب أن أكون معك في الدرجة ، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً فأنزل الله عز وجل " **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ** " فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه .

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي الله ! بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في سفلى البيت قال : فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن فلقد انكسر حُبُّ لنا فيهما ، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء خوفاً أن يقطر علي رسول الله ﷺ فيؤذيهِ ، قال أبو أيوب : وكنا نضع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فرده رسول الله ﷺ ، ولم أر ليده فيه أثراً ، قال : فجئته فزعاً ، فقلت : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا ردتنا علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة قال : " إني وجدت فيه ريح هذه

الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه " قال : فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد . (١)

• صور من حب النساء لرسول الله ﷺ :

(١) أمر المؤمنين (صفية بنت حيي بن أخطب) :

كان أبوها سيد بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب ، ثم من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران، أخي موسى عليهما الصلاة والسلام .. وكانت مما أفاء الله علي رسوله يوم خيبر . فأخذ صفية ، فتزوجها وجعل عتقها مهرها . وقسم لها وحجبها .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : كانت بعين صفية خضرة، فقال لها رسول الله ﷺ ما بعينك ؟ فقالت : قلت لزوجي : إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمرا وقع في حجري فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب ؟ قالت : وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي ، فما زال يعتذر إلي ، وقال: " يا صفية إن أباك ألب علي العرب ، وفعل ، وفعل

(١) رواه مسلم وابن إسحاق (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣/ ٣٩١) .

حتى ذهب ذلك من نفسي " رواه الطبراني برجال الصحيح وابن حبان في صحيحه . (١)

في رواية أبو يعلى : تقول صفية : انتهيت إلي رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إليّ منه ، فقال : " إن قومك صنعوا كذا وكذا " . قالت : فما قمت من مقعدي وما من الناس أحد أحب إليّ منه " (٢)

أختي المسلمة: انظري كيف كان حب صفية لرسول الله ﷺ وكيف انقلبت العداوة حبا ففي المرض الذي مات فيه رسول الله ﷺ تتمنى أن الوجع الذي في رسول الله ﷺ يكون فيها فقد أخرج بن سعد عن زيد بن أسلم أن نبي الله ﷺ في الوجع الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه فقالت صفية بنت حبي : أما والله ، يا نبي الله ! لوددت أن الذي بك بي ! فغمزتها أزواج النبي ﷺ ، وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: مضمضن ! فقلن: من أي شيء يا نبي الله ! قال: من تغامزكن بصاحبكم ، والله إنها لصادقة " . وسنده حسن كما في الإصابة. (٣)

(١) سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد ١٢/١٣٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) حياة الصحابة - باب خروج الصحابة عن الشهوات - غيبة المسلم ٢/٤٠١ .

٢) حب أم حبيبة (مرملة بنت أبي سفيان) لرسول الله ﷺ :

وقد بلغ من حب أم حبيبة وإجلالها لرسول الله ﷺ ما بينه ما أورده أهل السير من خبر أبي سفيان لما قدم المدينة النبوية، وقام بزيارة ابنته أم حبيبة، فعن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلي رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام ودخل علي ابنته: أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس علي فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية! أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر. (١).

ومن دلائل حب أم حبيبة للنبي ﷺ أيضا:

روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - في "صحيحهما" (٢) من طريق زينب بنت أم سلمة وربيبة النبي ﷺ عن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها - قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، فقلت له: هل لك في

(١) ابن الجوزي في صفة الصفوة لابن الجوزي .. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠٠/١٢ حياة الصحابة - باب خروج الصحابة عن الشهوات وقطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام ٢/٢٩٤ .. تاريخ الإسلام باب فتح مكة ١/٤٦٨ .

(٢) "صحيح البخاري" (٥١٠٦)، "صحيح مسلم" (١٤٤٩)، وأبو داود في "السنن" (٢٠٥٦)، والنسائي في "المجتبى" (٩٤/٦، ٩٥)، "سنن ابن ماجه" (١٩٣٩)، "المسند" (٢٩١/٦).

أختي بنت أبي سفيان؟ فقال: «أفعل ماذا؟» قلت: تنكحها، قال: «أو تحبين ذلك؟» قلت: لست لك بمُخْلِية، وأحب من شركني في الخير أختي، قال: «فإنها لا تحل لي» قلت: فإني أخبرتك أنك تخطب درة بنت أبي سلمة. قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم، قال: «لو أنها لم تكن ربيبة في حِجْرِي، ما حلَّت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأباها ثوية، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن».

هذا لفظ مسلم ورواه أيضاً: أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

وفي هذا الموقف بيان ما كان للنبي ﷺ من المحبة والإجلال والتقدير في نفوس زوجاته، فقد ملك قلوبهن وتعلقن به كل التعلق وفوق كل أحد، ففضلاً عن كونه رسول رب العالمين، فهو عليه الصلاة والسلام الزوج الحبيب، وهذا ما حمل أم المؤمنين أم حبيبة إلى أن تفكر في أن تبرأ أختها بزواج لا يكدر لها خاطراً، ولا ينغص لها عيشاً، ويرفعها في الدنيا والآخرة.

قول النبي ﷺ لأم حبيبة: «أو تحبين ذلك» جواباً واستفهاماً لعرضها

عليه الزواج بأختها، فيه التعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما

طُبِعَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ مِنَ الْغَيْرَةِ (١).

لكن هذه الغيرة انمحت، وتجاوزتها أم حبيبة، نظرا للمصالح، فإنها لما رأت أنها لن تسلم من ضرة - بل ضرّات - ولن تنفرد بالنبي ﷺ، رأت أن من مصلحة أختها أن تظفر بزواج النبي ﷺ بها. وهذا ما أعربت عنه بقولها: لست لك بمخلية، وأحب من شركني في الخير أختي.

قول أم حبيبة هذا: أحب من شركني في الخير أختي، قيل: المراد بالخير هو صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين، الساترة لما لعله يعرض من الغيرة التي جرت بها العادة بين الزوجات، لكن جاء في رواية البخاري الأخرى في باب «وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ..» (٢) من كتاب النكاح (٣) قول أم حبيبة: وأحب من شركني فيك أختي، فعرف أن المراد بالخير ذاته.

(٣) هند بنت عتبة (زوجة أبي سفيان رضي الله عنها) :

عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : جاءت هند بنت عتبة إلي النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ! والله ، ما كان علي ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم علي

(١) انظر : " فتح الباري " (١٤٣/٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٣) رقم (٥١٠٦)، (١٥٨/٩).

ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يُعزوا من أهل خبائك ، فقال النبي : " وأنا أيضا والذي نفسي بيده " (١)

• **وفي ميدان أحد يظهر حب النساء لرسول الله ﷺ :**

(١) امرأة من بني دينار (رضي الله عنها) :

أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد خاض أهل المدينة خيضة ، وقالوا : قتل محمد ! حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة ، فخرجت امرأة محرمة فاستقبلت بأبيها ، وابنها ، وزوجها ، وأخيها ، لا أدري أيهم استقبلت به أولا ، فلما مرت علي أحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك .. أخوك .. زوجك .. ابنك ، تقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ يقولون : أمامك حتى دفعت إلي رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لا أبالي إذا سلمت من عطب " (٢)

وعند ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم .

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَهِيَ كُبَيْشَةُ بِنْتُ رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْأُبَجْرِ ، وَهُوَ خَدْرَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ (السيرة النبوية لابن هشام « غزوة بني قريظة في سنة خمس » وفاة سعد بن معاذ وما ظهر مع ذلك).

بأحد ، فلما نعو لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا خيرا يا أم فلان ! هو بحمد الله كما تحبين : قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ! قال : فأشير إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (١) كذا في البداية . (٢)

٢) أم سعد بن معاذ (الذي اهتز له عرش الرحمن) :

وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو ، وسعد أخذ بلجام فرسه ، فقال : يا رسول الله ! أمي ، فقال : " مرحباً بها " ووقف لها ... فلما دنت عزاها بابنها عمر بن معاذ ، فقالت : أما إذا رأيتك سالماً ، فقد اشتوت المصيبة (أي قلت) ثم دعا لأهل من قتل بأحد وقال : يا أم سعد ! أبشري وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفّعوا في أهلهم جميعاً قالت : رضينا يا رسول الله ! ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت : يا رسول الله ! أدع لمن خلفوا منهم ، فقال : " اللهم اذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا " (٤)

(٢) أي هيئة حقيرة ، لا شاقة كبيرة .

(٣) المرجع السابق .

(٣) السيرة الحلبية ٤٧/٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٥/٤ .

(٤) السيرة الحلبية ٤٧/٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٥/٤ .

هنيئاً لك يا أم الشهيدين سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن فرحاً بقدم روحه.. وعمرو بن معاذ الذي يشفع في أهله " هنيئاً لك على صبرك وعلى حبك لرسول الله ﷺ .

(٣) إِبْرَهْمَةُ (خَادِمَةُ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ):

هاجر عبيد الله بن جحش بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها وكانت قد خرجت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش معها في الهجرة إلى أرض الحبشة ورجعت بها معها إلى مكة. قالت أم حبيبة رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه ففزعت فقلت تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية فقلت والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات فأرى في النوم كأن آتياً يقول يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله يتزوجني قالت فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي فقالت إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه فقالت بشرك الله بخير قالت يقول لك الملك وكلي من يزوجه فأرسلت إلى

خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورا بما بشرتها فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العز الجبار أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن رسول الله كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وقد أصدقته أربع مائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله رسول الله ودفعت الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا قالت أم حبيبة فلما وصل إلي المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي فهذه خمسون مثقالا فخذها فاستعيني بها فأبته فأخرجت حقا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته علي وقالت عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئا وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله وقد أمر الملك نساءه

أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر قالت فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يراه علي وعندي فلا ينكره ثم قالت أبرهة فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه قالت ثم لطفت بي وكانت التي جهزنتي فكانت كلما دخلت علي تقول لا تنسي حاجتي إليك قالت فلما قدمت علي رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة فتبسم رسول الله وأقرأته منها السلام فقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته (١).

كل نساء الصحابة تخين رسول الله:

فهذه رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها هالة بنت كعدة بن عبد الدار بن قصي تزوجها نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة فولدت له مخرمة بن نوفل.

وقد أسلمت وأدركت رسول الله ﷺ وقد كانت أشد الناس على ابنها مخرمة ، جاءت ليلة الهجرة وحذرت رسول الله ﷺ فقالت: إن قريشا قد

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد _ باب ذكر أزواج النبي ﷺ _ زوجته أم حبيبة ٩٨/٨.

اجتمعت تريد بيتك^(١) الليلة قال المسور فتحول رسول الله ﷺ عن فراشه وبات علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وهذه أم حذيفة بن اليمان تسأله: يا بني، ما عهدك بالنبى ﷺ؟ قال: من ثلاثة أيام، فنالت منه وأنبتته قائلة: كيف تصبر يا حذيفة عن رؤية نبيك ثلاثة أيام؟.

ومن حب النساء للنبي ﷺ جعلهن يدفعن أولادهن يقاتلن عن النبي ﷺ في كل المواطن، فقد أخرج ابن أبي شيبعة عن الشعبي، أن امرأة دفعت إلي ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حملة، فشده علي ساعده بنسعة، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ! هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي ﷺ: "أي بني! احمل هنا" فأصابته جراحة، فصرع، فأتى به النبي ﷺ فقال: أي بني! لعلك جزعت. قال: لا، يا رسول الله ﷺ! .^(٣)

وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين في غزوة أحد سبعين رجلا وكانت أغلبية القتل من الأنصار، فقد قتل منهم خمسة وستون رجلا (٤١ من

(١) أي قتلك.

(٢) المرجع السابق _ باب ذكر بنات عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٣/٨، والإصابة ٣٠٣/٤.

(٣) كذا في كنز العمال ٢٧٧/٥ (حياة الصحابة باب خروج الحيان وقتالهم في الجهاد ٥٨٣/١).

الخزرج ، ٢٤ من الأوس ، وقتل رجل من اليهود ^(١) وأربع من المهاجرين ، ومع هذا العدد الكبير من الأنصار ما سمعنا رواية واحدة صحيحة ولا ضعيفة ولا موضوعة أن أحدا من الأنصار تزعر إيمانه ، أو ارتد سخطة على هذا الدين حيث أصابهم ما أصابهم في سبيل هذا الدين الجديد، بل مع حزنهم على قتلهم ، فرحوا بموعد الله علي الجنة، كما مر قول أم سعد .

• ومن روائح المواساة التي تل علي حب النساء للنبي ﷺ :

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد .. أذن بلال بصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ يتوكأ علي السعدين (سعد بن معاذ - سعد بن عبادة رضي الله عنهما) فصلي بهم ثم عاد إلي بيته ، ومضي سعد بن معاذ إلي نساءه ونساء قومه ، فساقهن حتى لم تبقي امرأة إلا جاء بها إلي بيت رسول الله ﷺ ، يبكين حمزة بين المغرب والعشاء .. وأذن بلال العشاء فلم يخرج رسول الله ﷺ حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه الصلاة يا رسول الله ! فذهب رسول الله ﷺ من نومه وخرج، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل ، وسمع البكاء فقال : " ما هذا ؟ " فقيل: نساء الأنصار يبكين علي حمزة ،

(١) قال ابن اسحاق : وكان ممن قتل يومئذ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون ، لما كان يوم أحد قال : يامعشر اليهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت . فأخذ سيفه وعدته وقال : إن إصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلي رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا " مخيريق خير يهود " (تاريخ الإسلام للذهبي ١/٣٣١) .

فقال : " رضي الله عنكن وعن أولادكن " وأمر أن ترد النساء إلي منازلهن .

وفي رواية ابن هشام: خرج عليهن وهن علي باب المسجد يبكين علي حمزة فقال : " ارجعن رحمكن الله ، لقد واسيتن ، رحم الله الأنصار ، فإن المواساة فيهم " ، فرجعن بليل مع رجالهن . (١)

وفي رواية : " أن رسول الله ﷺ لم رجع من أحد سمع نساء الأتصار يبكين علي أزواجهن فقال : " لكن حمزة لا بواكي له " فبلغ النساء ذلك فجئنا يبكين حمزة ، فانتبه من الليل فسمعهن وهن يبكين ، فقال : " ويجهن مازلنا يبكين منذ الليلة ، مروهن فيرجعن ، ولا يبكين علي هالك بعد الليلة " . (٢)

• قصة عمر والعجوز:

روي ابن المبارك في الزهد عن زيد بن أسلم (مولى عمر بن الخطاب) : أن عمر رضي الله عنه ، خرج ليلة يحرس الناس ، فرأى مصباحا في بيت ، وإذا عجوز تنفث صوفا لتغزله وهي تقول :

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤/٣٣٧ .

(٢) رواه أبو يعلى برجال الصحيح عن ابن عمر ، وعن أنس - والإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر - والطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (المرجع السابق) .

علي محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنيا أطوار
هل تجمعي وحببي الدار

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر رضي الله عنه فمزال يبكي حتى قرع عليها الباب، فقالت من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب! قالت ومالي ولعمر؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة؟ قال: افتحي رحمك الله فلا بأس عليك! ففتحت له فدخل فقال: أسألك أن تدخليني معكما! قالت وعمر! فاغفر له يا غفار! فرضى ورجع.
(١)

قال ابن الزناد: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص من قمص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب مما انتهب، فقالت أسماء: للقميص أشد علي من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من رجال أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها. فقالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله؟

قالوا: فليس يرد القميص! فقالت: قولوا له فليجئ.. فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة.. فقالت: ادفع القميص إلي عبد الله، فدفعه،

(١) كذا في منتخب الكنز (حياة الصحابة - خروج الصحابة عن الشهوات - البكاء علي ذكر النبي ﷺ - سبل الهدى والرشاد في سيرة العباد - في لزوم محبته وثوابها ١٢/٤٧٠)

فقالت : قبضت القميص يا عبد الله ؟ قال : نعم .. قالت : غفر الله لك يا عبد الله ، وإنما عنت عبد الله بن عروة .

• حب الصبيان لرسول الله ﷺ :

(١) معاذ ومعوذ:

وفي بيتين من بيوت الأنصار تربي هذان الشبلان (معاذ بن عمرو بن الجموح - ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما) علي حب الله وعلي حب رسول الله ﷺ فهيا بنا إلي ساحة " بدر " لننظر إليهما وهما يقتلان أبا جهل عدو الله ... فعن عبد الرحمن بن عوف ؓ قال : إني لواقف في بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثا أسناتهما ، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عماه ! أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أنبئت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ! لئن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ؛ فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثلها فلم أنشب أن نظرت إلي أبي جهل وهو يجول في الناس ، فقلت : ألا تريان هذا صاحبكم ، الذي تسألاني عنه ؟ فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ، قال كل منهما : أنا قتلته ، قال النبي ﷺ : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالوا : لا ،

فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال كليهما قتله وقضي بسلبه لمعاذ بن عمر

بن الجموح والآخر معاذ بن عفراء (رضي الله عنهما) . متفق عليه (١)

وعند البخاري أيضا: قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إني

لفي الصف يوم بدر ، التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن

فكأنني لم آمن بمكانتها إذ قال لي أحدهما (سر من صاحبه) : يا عم ! أرني

أبا جهل ، فقلت يا ابن أخي ! ما تصنع به ، قال عاهدت الله ، إن رأيتَه أن

أقتله أو أموت دونه ، فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله ، قال : فما سرنى

أنني بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشدوا عليه مثل الصقرين حتى

ضرباه ، وهما ابنا عفراء . (٢)

وعند ابن إسحاق: عن ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر رضي الله

عنهما ، قالوا: قال معاذ بن عمرو الجموح أخو بني سلمه: سمعت القوم وأبو

جهل في مثل الحرجة (٣) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما

سمعتهما جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، وضربته

ضربه أطنت قدمه بنصف ساقه، فو الله ! ما شبهتها حين طاحت إلا بالنوأة

(١) وأخرجه الحاكم ٣ / ٤٢٥ - والبيهقي ٦ / ٣٠٥ عن عبد الرحمن بن عوف نحوه (حياة

الصحابه باب الجهاد - شجاعة معاذ بن عمر بن الجموح ومعاذ بن عفراء (رضي الله عنهما)

. ٥٤٠ / ١

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشجر الملتف .. أي احتمي بالشجر .

تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة علي عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامت يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذنتي وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . كذا في البداية .^(١)

٢) حب طلحة بن البراء لرسول الله ﷺ :

أخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء ﷺ ، لما لقي النبي ﷺ ، فجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه ، قال : يا رسول الله ! مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً ، فعجب لذلك النبي ﷺ : وهو غلام ، فقال له عند ذلك : اذهب فاقتل أباك ! " فخرج موليا ليفعل فدعاه فقال له : " أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم ، فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي ﷺ يعودُه في الشتاء في برد وغيم ، فلما انصرف ، قال لأهله : " لا أري طلحة إلا قد حدث فيه الموت ، فأذنوني به حتى أشهده ، وأصلي عليه ، وعجلوه فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف حتى توفي ، وجن عليه الليل ، فكان فيما قال طلحة : ادفنوني وألحقوني بربي ﷻ ولا تدعو رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه اليهود ، أن

(١) المرجع السابق - وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٧/١ - وزاد : ثم عاش بعد ذلك ! إلي زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

يصاب في سببي فأخبر النبي ﷺ حين أصبح فجاء حتى وقف علي قبره فصف الناس معه ثم رفع يديه ، فقال : " اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك . (١)

وفي رواية أخرى للطبراني عن طلحة بن مسكين عن طلحة بن البراء ؓ أنه أتى النبي ﷺ قال ابسط - يعني يدك - أبايعك قال : " وإن أمرتك بقطيعة والديك " قال : لا ثم عدت له ، فقلت : ابسط يدك أبايعك ! قال : " علام " ؟ قلت : علي الإسلام قال : " وأن أمرتك بقطيعة والديك ؟ قلت : لا ، ثم عدت الثالثة ، وكانت له والدة ، وكان من أبر الناس بها . فقال له النبي ﷺ يا طلحة : إنه ليس في ديننا قطيعة رحم ولكن أحببت ، أن لا يكون في دينك ريبة ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم مرض فعاده النبي ﷺ فوجده مغمي عليه ، فقال النبي ﷺ : " ما أظن طلحة إلا مقبوضا من ليلته فإن أفاق فأرسلوا إليَّ " فأفاق طلحة في جوف الليل فقال : ما عادني النبي ﷺ ؟ قالوا : بلي . فأخبروه بما قال ، فقال : لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شئ ، ولكن إذا فقدت فاقرءوه من السلام ، وقولوا له :

(١) حياة الصحابة - باب خروج الصحابة عن الشبهوات - محبة النبي ﷺ ٢/٢٩٩ .

فليستغفر لي ! فلما صلى النبي ﷺ الصبح سأل عنه فأخبروه بموته وبما قال ،
فرفع النبي ﷺ يده وقال : اللهم ! القه يضحك إليك وأنت تضحك
إليه. (١)

(٣) حب صبية من أهل البحرين لرسول الله ﷺ :

حكى أن صبية من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة، وأسقف البحرين قاعد ،
فوقعت الكرة علي صدره، فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فرفض، فقال غلام سألتك
بحرمه محمد ﷺ إلا رددتها علينا، فأبي وأخذ يسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه
بعضيهم يضربونه حتى مات، فرفع ذلك إلي عمر رضي الله عنه فو الله ! ما فرح بفتح
ولا غنيمة ، كفرحة بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عز الإسلام، أن أطفالا
صغاراً سب نبيهم فغضبوا وانتصروا، وأهدر دم الأسقف .



امثال

أمر رسول الله (ﷺ)

• صفية بنت عبد المطلب :

عن الزبير بن العوام لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت أن تشرف علي القتلى قال : فكره النبي ﷺ أن تراهم فقال: " المرأة .. المرأة ! " وقال الزبير : فتوسمت أنها أمي صفية (رضي الله عنها) ، قال: فخرجت أسعى إليها، قال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلي القتلى ، قال: فلدمت في صدري ، وكانت امرأة جلدة ، قالت: إليك عني لا أرض لك .. فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها، فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ﷺ، فقد بلغني مقتله فكفنوه فيهما ! ... الخ الحديث. رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري. (١) . فكانوا وقافين عند أوامر الله ﷻ وأوامر رسوله ﷺ .

(١) حياة الصحابة ٥٨٣/٢ .

• زوجتي النبي ﷺ (أم حبيبه ، وزينب بنت جحش) رضي الله عنهما :

عن زينب بنت أبي سلمه (رضي الله عنها) قالت : دخلت علي أم حبيبه رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه فدعت بطيب فيه صفرة وخلوق أو غيره ، فدهنت منه جارئة ثم مست بعارضيتها ، ثم قالت : والله مالي بالطيب من حاجة ، غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول علي المنبر : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد علي ميت فوق ثلاث ليالي ، إلا علي زوج أربعة أشهر وعشرا " . قالت : ثم دخلت علي زينب بنت جحش - رضي الله عنها - حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه ، ثم قالت : أما والله ! ما بي بالطيب من حاجة غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول علي المنبر : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد علي ميت فوق ثلاث ليال ، إلا علي زوج أربعة أشهر وعشرا " متفق عليه (١).

(١) رياض الصالحين - باب تحريم إحداد المرأة علي ميت فوق ثلاثة أيام - ص ٦٠٠.

أم المؤمنين (أم حبيبة^(١)):

عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُنْبَسَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ قَالَ سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ صَلَّى عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَكَلِمَةً بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ " قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُهُنَّ

(١) أُمُّ حَبِيبَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: السَّيِّدَةُ الْمُحَبَّبَةُ رَمْلَةٌ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ .
مُسْنَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ حَدِيثًا، وَاتَّفَقَ لَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى حَدِيثَيْنِ، وَتَفَرَّدَ مُسْلِمٌ بِحَدِيثَيْنِ .
وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، لَيْسَ فِي أَزْوَاجِهِ مَنْ هِيَ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيْهِ مِنْهَا، وَكَانَ فِي نِسَانِهِ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ صَدَاقًا مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ تَزَوُّجِهَا وَهِيَ نَائِيَةٌ الدَّارِ أَبْعَدَ مِنْهَا .
عَقَدَ لَهُ ﷺ عَلَيْهَا بِالْحَبَشَةِ ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ صَاحِبُ الْحَبَشَةِ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَجَهَّزَهَا بِأَشْيَاءَ .
وَيُقَالُ : قَبْرُهَا بِدِمَشْقٍ . وَهَذَا لَا شَيْءَ ، بَلْ قَبْرُهَا بِالْمَدِينَةِ . وَإِنَّمَا الَّتِي بِمَقْبَرَةِ بَابِ الصَّغِيرِ : أُمُّ سَلَمَةَ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدِ الْأَنْصَارِيَّةِ .
قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ : حَنْظَلَةَ ، الْمَقْتُولَ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ وَأُمُّ حَبِيبَةَ ، تُوفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا الَّذِي هَاجَرَ بِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ : عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِيَابِ الْأَسَدِيِّ ، مُرْتَدًّا مُتَنَصِّرًا .
عَقَدَ عَلَيْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْحَبَشَةِ سَنَةً سِتًّا ، وَكَانَ الْوَلِيُّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ . كَذَا قَالَ .
وَعَنْ عُثْمَانَ الْأَخْنَسِيِّ : أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَلَدَتْ حَبِيبَةَ بِمَكَّةَ ، قَبْلَ هَجْرَةِ الْحَبَشَةِ .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، وَآخَرَ، قَالَا : كَانَ الَّذِي زَوَّجَهَا، وَخَطَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ : خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَكَانَ لَهَا يَوْمَ قَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً (سير أعلام النبلاء « الصحابة رضوان الله عليهم » أم حبيبة أم المؤمنين) .

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَنبَسَةُ فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُهُنَّ
 مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ مَا تَرَكَتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُهُنَّ
 مِنْ عَنبَسَةَ وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ مَا تَرَكَتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ
 أَوْسٍ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ
 الْمُفْضَلِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَنْ صَلَّى فِي يَوْمِ تِنْتِي
 عَشْرَةَ سَجْدَةً تَطَوُّعًا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ (١).

• أم حميد (رضي الله عنها) :

جاءت أم حميد زوجة أبي حميد الساعدي إلي النبي ﷺ يوما فقالت :
 يا رسول الله ! إني أحب الصلاة معك ، فقال لها : " قد علمت أنك
 تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلواتك في
 حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلواتك في دارك ،
 وصلاتك في دارك خير من صلواتك في مسجد قومك ،
 وصلاتك في مسجد قومك خير من صلواتك في مسجدي .
 رواه ابن حبان في صحيحه.

(١) صحيح مسلم « كتاب صلاة المسافرين وقصرها » باب فضل السنن الراجعة قبل الفرائض

وبعدهن وبيان عددهن _ رقم ٧٢٨ .

قال عبد الله بن سويد (راوي الحديث): فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه وكانت تُصلي فيه حتى لقيت الله تعالى.

انظري أيتها الأخت المسلمة كيف كانت استجابة المرأة المؤمنة لترغيب النبي ﷺ، وهل الفتنة مأمونة في زماننا أكثر من زمانهم؟!؟

فما لك لا تستجيبين لترغيب النبي ﷺ وتصلين في بيتك، ما منعك رسول الله ﷺ من الصلاة في المسجد ولكن رغبت فيما هو خير لك .

ومما يدل على شدة تأثر نساء الصحابة (رضي الله عنهم) وسرعة استجابتهن لأمر الله ورسوله أن النبي ﷺ خرج في يوم عيد، فصلي، ثم خطب، ولم يذكر آذانا ولا إقامة، ثم أتى النساء فوعظهن، وذكرهن، وأمرهن بالصدقة، فرأيتهن يهوين إلى آذانهن وحلوقهن يدفعن إلى بلال ، ثم ارتفع هو وبلال إلى بيته. متفق عليه. (١)

وعن أبو أسيد الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء: " استأخرن فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق عليكن بحافات

(١) مشكاة المصابيح - باب صلاة العيدين ٤٥٠/١.

الطَّرِيقُ " فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ نُصُوقِهَا بِهِ ^(١).

• فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها):

وفي أمر مهمٍّ من أمور النساءِ ألا وهو الزواج واختيار شريك الحياة قدم من رضي الله عنهن رأيه صلى الله عليه وسلم على رأيهن واختياره على اختيارهن، فمن ذلك ما رواه فاطمة بنت قيس قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَلَلْتَ فَأَذِنِي فَأَذَنْتُهُ فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ صَخِيرٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبُّ لَأَمَالٍ لَهُ وَأَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ أُسَامَةُ فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَذَا أُسَامَةُ أُسَامَةُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكَ قَالَتْ فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ بِهِ» ^(٢).

(١) رواه أبو داود ٥٢٧٢، صحيح أبي داود ٣٦٩/٤ .

(٢) رواه مسلم ١٤٨٠، الترمذي ١١٣٥، النسائي ٣٢٢٢، ابن ماجه ١٨٦٩ .

• حب البنات لرسول الله ﷺ وامتثالهم لأمره ﷺ :

(١) قصة زواج جلييب :

عن أبي برزة أن جلييبا كان من الأنصار فقال النبي ﷺ ذات يوم لرجل " زوجني ابنتك " قال : نعم ونعمة عين قال : لست أريدها لنفسي قال : فلمن ؟ قال جلييب ، قال : أستأمر أمها . فأتاها فأجابت لرسول الله ﷺ : قال : إنما يريد ابنتك لجلييب ؟ لا لعمر الله لا نزوجه ، فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ . قالت أفتردون عليه أمره ؟ ادفعني إلي رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعني ، فذهب أبوها إلي النبي ﷺ فقال : شأنك بها فزوجها جلييبا ، ودعا لها فبينما رسول الله ﷺ في مغزي له قال : أتفقدون أحد ؟ قالوا : نفقد فلانا ونفقد فلانا ، قال النبي ﷺ وأنا أفقد جلييبا ، فاطلبوه فنظروا فوجده إلي جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقال رسول الله ﷺ : هذا مني وأنا منه قتل سبعة ثم قتلوه فوضعوه علي ساعديه ثم حفروا له ، ماله سرير إلا ساعد رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره ... قال ثابت البناني فما في الأنصار أنفق منها .

وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتاً، قال : هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ ؟ قال : اللهم صب عليها الخير صبا ولا تجعل عيشها كدا " قال : ما كان في الأنصار أيم انفق منها ؟ رواه أحمد . (١)

قال ابن سعد : وسمعت من يذكر أن جليبيبا كان رجلا من بني ثعلبة حليفا في الأنصار.. والمرأة التي زوجها النبي ﷺ إياه من بني الحارث ابن الخزرج .

(٢) المرأة التي خطبها المغيرة بن شعبة :

عن المغيرة بن شعبة ؓ قال : خطبت جارية من الأنصار، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي : " رأيتها " فقلت : لا ، قال : " فانظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما " (٢) فأتيته فذكرت ذلك لوالديها ، فنظر أحدهما إلي صاحبه .. فقامت فخرجت ، فقالت الجارية : عليّ بالرجل ! فوقفت ناحية خدرها فقالت إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليّ فانظر، وإلا فإني

(١) حياة الصحابة ٢/٦٦٨ - صفة الصفوة ١/٢٦١ .

(٢) أن تكون بينكما المحبة والوفاق .

أخرج عليك^(١) أن تنظر ، فنظرت إليها فتزوجتها ، فما تزوجت امرأة قط ..
كانت أحب إليّ منها ، وقد تزوجت سبعين امرأة . (كذا في الكنز) .^(٢)

• نصرة الرسول ﷺ :

١) ضباعة بنت عام بن قرط العامرية، أسلمت بمكة :

عن عبد الرحمن العامري ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : " أتانا رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ ، فقال مِمَّن القومُ ؟ قلنا :
من بني عامر بن صعصعة ، قال : من أي بني عامر ؟ قلنا : بنو كعب بن
ربيعة . قال : وكيف المنعة فيكم ؟ قلنا : لا يرأ ما قبلنا ولا يصطلي
بنارنا ، قال : فقال لهم : إني رسولُ الله ، فإن أتيتكم تمنعوني
حتى أبلغ رسالة ربي ، ولم أكره أحدًا منكم على شيء ؟
قالوا : ومن أي قريش أنت ؟ قال : من بني عبد المطلب . قالوا : فأين

(١) أضيقت عليك .

(٢) رواه الترمذي ١٠٨٧ ، النسائي ٣٢٣٥ ، ابن ماجة ١٨٦٦ ، صحيح ابن ماجة ١/٦٠٠ . حياة
الصحابة - (باب خروج الصحابة عن الشهوات - امتثال أمره - ٣٤٠/٢) .

أَنْتَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؟ قَالَ: هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَنِي وَطَرَدَنِي. قَالُوا:
وَلَكِنَّا لَا نَطْرُدُكَ وَلَا نُؤْمِنُ بِكَ وَنَمْنَعُكَ حَتَّى تَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّكَ، قَالَ: فَنَزَلَ
إِلَيْهِمُ الْقَوْمُ يَتَسَوَّقُونَ إِذْ آتَاهُمْ بَجْرَةَ بْنِ قَيْسِ الْقَشِيرِيِّ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي
أَرَاهُ عِنْدَكُمْ أَنْكِرُهُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: مَا لَكُمْ وَلَهُ؟
قَالُوا: زَعَمَ لَنَا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ يَطْلُبُ إِلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ،
قَالَ: فَمَاذَا رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ؟ قَالُوا: قُلْنَا فِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، نُخْرِجُكَ إِلَى بِلَادِنَا
وَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ بِهِ أَنْفُسَنَا، قَالَ بَجْرَةُ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السُّوقِ
يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشْرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ، بَدَأْتُمْ لِنَتَابُذِ النَّاسِ وَتَرْمِيكُمُ الْعَرَبَ
عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ، لَوْ آتَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ
، تَعْمِدُونَ إِلَى رَهِيْقِ قَوْمٍ قَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ، فَتَوَوُونَهُ وَتَنْصُرُونَهُ؟
فَبِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتُمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قُمْ فَالْحَقْ بِقَوْمِكَ،
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّكَ عِنْدَ قَوْمِي لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
نَاقَتِهِ فَرَكَبَهَا، فَغَمَزَ الْخَبِيثُ بَجْرَةَ شَاكِلَتَهَا، فَفَقَمَصَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَتْهُ،
وَعِنْدَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ ضِبَاعَةٌ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ، كَانَتْ مِنَ النَّسْوَةِ اللَّاتِي
أَسْلَمْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، جَاءَتْ زَائِرَةً إِلَى بَنِي عَمَّهَا، فَقَالَتْ: يَا آلَ
عَامِرٍ وَلَا عَامِرَ لِي، أَيُصْنَعُ هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ
مِنْكُمْ؟ فَقَامَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَمَّهَا إِلَى بَجْرَةَ، وَاثْنَانِ أَعَانَاهُ، فَأَخَذَ كُلُّ
رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا، فَجَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ عَلَوْا وَجُوهُهُمْ

نَطْمًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ وَالْعَنُ هَؤُلَاءِ .
 قَالَ : فَأَسْلَمَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ نَصَرُوهُ فَقَتَلُوا شُهَدَاءَ ، وَهَلَكَ الْآخَرُونَ لَعْنًا ، وَأَسْمُ
 الثَّلَاثَةِ نَفَرِ الَّذِينَ نَصَرُوا بَجْرَةَ : فِرَاسٌ وَحَزْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ
 ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: فَعَطْرِيْفٌ وَعَطْفَانُ ابْنَا سَهْلٍ
 وَعُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " . أَخْبَرَنَا هُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ صَاعِدٍ ، قَالَ : ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 سَعِيدِ الْجَوْهَرِيِّ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأُمَوِيِّ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ
 الْكَلْبِيُّ ، وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ : " فَلَمَّا صَدَرَ
 النَّاسُ ، رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَ أَدْرَكَتُهُ السِّنُّ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَنْ
 يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوْسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ
 ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ ، قَالُوا : جَاءَنَا
 فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّهُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَدْعُونَا
 إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ مَعَنَا إِلَى بِلَادِنَا ، قَالَ : فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ
 عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ؟ هَلْ لَدُنَابَاهَا مِنْ
 مُطَلَّبٍ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ ، مَا يَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِيُّ قَطُّ ، أَلَا إِنَّهَا الْحَقُّ
 فَأَيْنَ كَانَ رَأْيُكُمْ ؟ (١) .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم « دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني » ... الفصل السادس عشر : في ذكر ما دار ..

(٢) عاتكة بنت عبد المطلب :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَا " : رَأَتْ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيمَا يَرَى النَّائِمَ قَبْلَ مَقْدَمِ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ عَلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا ، فَأَصْبَحَتْ عَاتِكَةَ فَأَعْظَمَتْهَا ، فَبَعَثَتْ إِلَى أُخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَخِي ، لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْزَعْتَنِي لِيَدْخُلَنَّ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَبَلَاءٌ ، فَقَالَ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَتْ : رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ فَوْقَ بَالِطِطِحٍ ، فَقَالَ : انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرِ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثِ ، فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَى بَعِيرَهُ دَخَلَ بِهِ الْمَسْجِدَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى رَأْسِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرِ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثِ ، ثُمَّ إِنَّ بَعِيرَهُ مَثَلَ بِهِ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ ، فَقَالَ : انْفِرُوا يَا آلَ غَدْرِ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثِ ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً ، فَأَرْسَلَهَا مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ ، فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، أَرْفَضَتْ فَمَا بَقِيَتْ دَارٌ مِنْ دُورِ قَوْمِكَ ، وَلَا بَيْتٌ إِلَّا دَخَلَ فِيهِ بَعْضُهَا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَاللَّهِ ، إِنَّ هَذِهِ لِرُؤْيَا فَاكْتُمِيهَا قَالَتْ : وَأَنْتَ فَاكْتُمْتَهَا لَنْ بَلَغَتْ هَذِهِ قُرَيْشًا لِيُؤْذِنَنَا ، فَخَرَجَ الْعَبَّاسُ مِنْ عِنْدِهَا وَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ ، فَتَحَدَّثَ بِهَا فَفَشَا الْحَدِيثُ قَالَ الْعَبَّاسُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لَعَادٍ إِلَى الْكَعْبَةِ لَأَطُوفَ بِهَا

إِذْ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا أَبُو جَهْلِي نَفَرَ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَحَدَّثُونَ ، عَنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، مَتَى حَدَّثْتَ هَذِهِ النَّبِيَّةَ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ قَالَ : رُؤْيَا رَأَتْهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَمَا رَضِيْتُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْ يَتَّبِعَ رِجَالَكُمْ حَتَّى تَتَّبَعَ نِسَاؤُكُمْ فَسَتَرَبَّصُ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلَاثَ الَّتِي ذَكَرْتُ عَاتِكَةَ ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَسَيَكُونُ ، وَإِلَّا كَتَبْنَا عَلَيْكُمْ كِتَابًا إِنَّكُمْ أَكْذِبُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنِّي مِنْ كَبِيرٍ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ مَا قَالَتْ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَتْ شَيْئًا وَلَا سَمِعَتْ بِهِذَا ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا أَتَتْنِي ، فَقُلْتُ : أَصَبَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ ، ثُمَّ تَتَوَلَّى النِّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ غَيْرَةٌ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ وَاللَّهِ صَدَقْتَنِّي ، وَمَا كَانَ عِنْدِي فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرَةٍ إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مَا قَالَ ، فَإِنْ عَادَ لَأَكْفِيَنَّهُ ، فَقَعَدْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَتَعَرَّضُهُ لِيَقُولَ شَيْئًا فَأُشَاتِمُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمُقْبِلٌ نَحْوَهُ ، وَكَانَ رَجُلًا حَدِيدَ الْوَجْهِ ، حَدِيدَ الْمَنْظَرِ ، حَدِيدَ اللِّسَانِ إِذْ وَلَّى نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ كُلَّ هَذَا فَرَقًا مِنْ أَنْ أُشَاتِمَهُ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتِ ضَمْضَمَ بَنِ عَمْرٍو وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ بِالْأَبْطَحِ قَدْ حَوَّلَ رَحْلَهُ ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ ، وَجَدَعَ بَعِيرَهُ ، يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اللَّطِيْمَةَ اللَّطِيْمَةَ أَمْوَالِكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَتِجَارَتِكُمْ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَالْغَوْتُ ، فَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنِّي ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِهَازُ حَتَّى خَرَجْنَا ، فَأَصَابَ قُرَيْشًا مَا أَصَابَهَا يَوْمَ بَدْرٍ ، مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ ، وَأَسْرِ خِيَارِهِمْ ، فَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

بِتَصَدِّقِهَا قَلَّ مِنَ الْقَوْمِ هَارِبٌ	أَلَمْ تَكُنِ الرَّؤْيَا بِحَقٍّ وَعَابَكُمْ
يُكذِّبْنَ بِالصِّدْقِ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ^(١)	فَقُلْتُمْ وَلَمْ أَكْذِبْ كَذَبْتِ وَإِنَّمَا

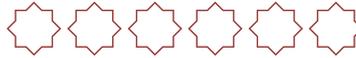
فلا ترى عاتكة مثل هذه الرؤيا العظيمة إلا وقلبا ممتلىء بحب ابن

أخيها النبي محمد ﷺ ومتلهف علي نصرته.

أختي المسلمين بالله عليك ماذا ترين في نومك؟!!! وما الذي يورقك؟

وما الذي يشغل قلبك وفكرك؟ أنصرة الإسلام؟ أم الطعام والشراب واللباس

والموضة؟.



(١) المستدرك على الصحيحين _ كتاب المغازي والسرايا _ رؤيا عاتكة قبل قدوم ضمضم في قتل

كفار قريش ٥٥٨/٣ .

الفرح برسول الله ﷺ

فرح الأنصار

فرح الرجال، والنساء، والبنات، والصبيان بقدوم رسول الله ﷺ المدينة المنورة: فعن البراء ؓ أنه قال: " ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله ﷺ (١)."

استقبله خمسمائة رجل من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين.. وصعدت العواتق البيوت يترائينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ. (٢).

وعن أنس ؓ أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة بحرابها فرحاً بقدومه " (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر
ماداعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع (١)

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البيهقي عن أنس .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

وكلما مر بدار من دور الأنصار إلا سألوه أن ينزل عندهم " هلم يا رسول الله ! إلى العزة والمنعة والثروة، فيقول لهم خيراً ويدعو ويقول: "إنها مأمورة خلوا سبيلها" (٢)

وروي الحاكم أن رسول الله ﷺ لما نزل علي أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقولن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا من محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ: " أتُحِبُّنِي ؟ " قلن: نعم يا رسول الله ! فقال: "

وأنا والله أُحِبُّكُنَّ " قالها ثلاث (٣).



(١) رجح ابن القيم رحمه الله : أن هذه الأبيات قالوها عند عودة رسول الله من فتح مكة.

(٢) سبل الهدى والإرشاد وفي سيرة خير العباد ٣ / ٣٨٥ .

(٣) سبل الهدى والإرشاد وفي سيرة خير العباد ٣ / ٣٩٠ .

أحلى

وصف لرسول الله ﷺ

وصف أم معبد الخزاعية

عن حزام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد - الذي قتل
بالبطحاء يوم الفتح - وهو أخو عاتكة - أن النبي ﷺ خرج من مكة هو
وأبو بكر ، ومولى لأبي بكر عامر بن فهيرة - ودليلهم عبد الله الأريقط
الليثي - فمروا علي خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت عجوزا جلدة تحتبي
بفناء الخيمة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه منها ، فلم
يصيبوا شيئا ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله ﷺ إلي شاة
في كسر الخيمة ، فقال : " ما هذه الشاة يا أم معبد " ؟ قالت : شاة
خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : " هل بها من لبن " ؟ قالت : هي أجهد
من ذلك ، قال : " أتأذنين لي أن أحلبها " ؟ قالت : " نعم بأبي وأمي ،
إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها ، فمسح بيده ضرعها ؟ وسمي الله ،
ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإتاء يربض

الرهط ، فحلب ثجا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب ثانيا بعد بدء ، حتى ملاً الإناء ، ثم غادر عندها وباعها ، وارتحلوا عنها . فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد ، يسوق أعزرا عجافا يتساوكن هزلا مخهن قليل . فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين هذا يا أم معبد ؟ والشاة عازب حيال ، ولا حلوب في البيت ؟ قلت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال صفيه لي .

قالت : رجل ظاهر الوضاعة ^(١) أبج الوجه حسن الخلق ، لم تعبته ثجلة ، لم تزريه صعلة ، وسيم قسيم ، في عينه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، وفي عنقه سطع ، وفي لحيته كثافة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاء من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق . فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا يانس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنظر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند . قال أبو معبد: فهذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ، ولقد هممت أن أصحابه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا . ^(٢)

(١) أي ظاهر الجمال .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١/١٨٩ .

الربيع بنت معوذ بن عفراء

(رضي الله عنها)

تصف رسول الله ﷺ

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء : صفى لنا رسول الله ﷺ ، قالت : يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة . رواه الدارمي (١) .



(١) مشكاة المصابيح - كتاب الفضائل والشمائل - باب أسماء النبي ﷺ وصفاته ، ١٦١٣/٣ .

عاقلات

هاجر عليها السلام

ما أعقلها حينما جاءها إبليس عليه لعنة الله ، يخبرها أن إبراهيم يريد أن يذبح إسماعيل، وردها عليها، دليل علي قوة عقلها وقوة إيمانها، فعن عطاء بن يسار قال : سألت خوات بن جبير الأنصاري ، عن ذبيح الله أيهما كان ؟ فقال : إسماعيل ، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أنه يذبح إسماعيل ، فركب إليه على البراق حتى جاءه فوجده عند أمه ، فأخذ بيده ومضى به لما أمر به وجاءه الشيطان في صورة رجل يعرفه ، فقال : يا إبراهيم ، أين تريد ؟ قال إبراهيم : في حاجتي . قال : تريد أن تذبح إسماعيل . قال إبراهيم : رأيت والدا يذبح ولده ؟ قال : نعم أنت ، قال إبراهيم : ولم ؟ قال : تزعم أن الله أمرك بذلك ، قال إبراهيم : فإن كان الله أمرني أطعنا لله وأحسنت .

فأنصرف عنه وجاء إبليس إلى هاجر ، فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : ذهب في حاجته . قال : فإنه يريد أن يذبحه . قالت : وهل رأيت والدا يذبح ولده ؟ قال : هو يزعم أن الله أمره بذلك . قالت : فقد أحسن حيث أطاع الله . ثم أدرك إسماعيل ، فقال : يا إسماعيل أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لحاجته . قال : فإنه يذهب بك ليذبحك . قال : وهل رأيت والدا قط يذبح ولده ؟

قَالَ : نَعَمْ هُوَ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ . قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَقَدْ أَحْسَنَ حَيْثُ أَطَاعَ رَبَّهُ . قَالَ : فَخَرَجَ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مِنَى حَيْثُ أُمِرَ ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَنْحَرِ الْبُذْنِ الْيَوْمَ ، فَقَالَ : أَبْنِيَّ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أذْبَحَكَ . قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَأَطَعُ فَإِنَّ طَاعَةَ رَبِّكَ كُلُّ خَيْرٍ . ثُمَّ قَالَ إِسْمَاعِيلُ هَلْ أَعْلَمْتَ أُمِّي بِذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَصَبْتَ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَحْزَنَ وَلَكِنْ إِذَا قَرَّبْتَ السَّكِينَ مِنْ حَلْقِي فَأَعْرِضْ عَنِّي ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ تَصْبِرَ وَلَا تَرَانِي . فَفَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَجَعَلَ يَحْزُ فِي حَلْقِهِ ، فَإِذَا الْحَزُّ فِي نَحَاسٍ مَا يَحْتَكُ الشَّفْرَةَ ، فَشَحَذَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً بِالْحَجَرِ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْزَّ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا بُوَعِلٍ وَاقِفٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : قُمْ يَا بُنَيَّ فَقَدْ نَزَلَ فِدَاكَ . فَذَبَحَهُ هُنَاكَ بِمَنَى .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ عُثْمَانَ ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أُسَامَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ : الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ (١) .

(١) المستدرک علی الصحیحین « کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین - بیان الاختلاف فی مقام ذبح إسماعیل - علیه السلام ٤٢٦/٣ .

ملكة سبا (بلقيس)

قال ابن عباس ؓ : كان الهدد يدل سليمان عليه السلام على الماء، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه، أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان، حتى يستنبط الماء من قراره. فنزل سليمان يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدد فلم يراه : ﴿

فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ

كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا
 تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
 كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ
 شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
 دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي
 مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ
 قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ
 تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
 مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
 أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
 مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ
 الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا
 عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكَرُوا لَهَا

عَرَشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ
 قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا
 مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ
 كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ
 عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مَمْرَدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
 نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

مرجحة عقلها:

ما أرجح عقلها! وما أشد ذكاءها! وما أجمل فطنتها! وما أحسن حزمها!
 من منا في مثل ذكائها وفطنتها؟؟.

إنها امرأة حازت الشرف من أطرافه، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه.

لم يسطر قصتها أحد الكتاب ولا القصاصين، ولم تكتب سيرتها في أسفار
 الغابرين. إنما ذكر حالها، وأثنى عليها ربها، الله جل جلاله، وأورد خبرها
 في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) سورة النمل - الآيات من ٢٠ : ٤٤ .

لما ألقى إليها كتاب سليمان عليه السلام ، قرأته ثم استشارت وزرائها في أمرها وما قد نزل بها ، قالت: **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ.**

تأمل قولها **(أُلْقِيَ إِلَيَّ)** قالت بصيغة المجهول، فلم تذكر من الذي ألقاه؟ وكيف ألقى؟ وذلك حتى لا تصرف الانتباه لغير المقصود.

ثمار الشورى :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ أي تحضرون ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾

أي نحن أشداء إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، وبعد هذا إن الأمر إليك نمتله لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان، لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سخر له من الجن والإنس والطيور، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرا عجيبا بديعا فقالت لهم: إنني أخشى أن نحاربه ونمتع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ، ويخلص إليَّ

واليكم الهلاك والدمار دون غيرنا. ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة فقالت : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ من جوابه عليه السلام فاعله يقبل
ذلك منا ، فكيف عنا ، أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه في كل عام ونلتزم
له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا.

وقال ابن عباس رضي الله عنه : قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه ،
وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه . وهذا من أقوى الأدلة علي رجاحة عقلها
حيث أمرت قومها باتباعه إن كان نبيا .

فعلى الرغم من انفرادها في الملك إلا أنها لا تريد أن تستأثر بالقرار
دونهم، بل تشاورهم.

فما نصيب الاستشارة في حياتنا ؟ ومن نستشير؟ وفي أي شيء
نستشير؟

الهدية تذهب الشكوك وضغائن النفوس، لذا قالت بلقيس: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

قال ابن كثير: أي سأبعث إليه بهدية تليق بمثله، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، ففعله يقبل ذلك منا ويكفّ عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه كل عام، ولنلتزم له بذلك، ويترك قتالنا ومحاربتنا.

وقال قتادة: ما كان أعتلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس.

أحبتني في الله !!: الهدية الآن نقدمها في الأغلب لمن نحب، فهل جربنا أن نقدمها لمن بيننا وبينه تخوّف وتوجّس ليزول ضباب الشكوك، وينجلي غمام المخاوف فنعيش معه في صفاء وهناء، ففي الحديث: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تهادوا تحابوا". رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى بإسناد حسن.

وكان يُقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلّبت الشحنة، ولا دفعت المغارم، ولا توقى المحذور، ولا استعمل المهجور، بمثل الهدية إليه. ويقول الشاعر:

تولّد في قلوبهم الوصّالا	هدايا الناس بعضهم لبعض
ويكسوهم إذا حضروا جمالا	وتزرع في الضمير هوى ووداً

فطنة وحصافة:

قال الله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ)

كان سليمان عليه السلام قد أمر بتغيير بعض صفات عرش بلقيس بزيادة ونقص ليختبر عقلها، فسألها: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو! أي يشبهه ويقاربه.. وهذا من فطنتها وذكائها، فلم تقل (هو) لوجود التغيير فيه، ولم تنف أنه هو لأنها عرفتته، فأنت بلفظ محتمل للأمرين.

قال ابن كثير: فكان فيها ثبات وعقل، ولها لبّ ودهاء وحزم، فلم تقل إنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإنه غير وبُذِّل ونُكِّر.

إن هذا الموقف الحصيف من بلقيس ليعطي درساً بضرورة التأني عند سماع الأخبار وتلقيها، وبخاصة بعدما كثرت وسائل نقلها وازدادت سرعة تداولها، كرسائل الجوال والإنترنت. فبعض الناس لا يكاد يتلقى أو يسمع خبراً إلا ويسارع إلى نشره دون تأمل لمحتواه ولمدى صحته وجدوى نقله، وقد دعا النبي ﷺ إلى التأني وعدم العجلة فقال: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان". رواه الترمذي وصححه الألباني.

الرجوع للحق: (قَالَتْ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). ما أجملها من كلمة، وما أحسنه من قول: (رَبِّ إِنَّي
ظَلَمْتُ نَفْسِي)، إقرار بالخطيئة، واعتراف بالذنب، فلم يجعلها ملكها ومكانتها
عند قومها تتكبر عن قبول الحق، والرجوع عن الباطل.

إن المكانة العلمية أو الدعوية، والخوف من اهتزاز الصورة عند المحبين قد
تمنع البعض الآن من التراجع عن قول أو فعل تبين له خطؤه.

فكانت مشورتها مع قومها سببا لنجاتها ونجاة قومها وسبب إسلامها
وسعادتها في الدارين: في الدنيا بالإسلام والزواج بنبي الله سليمان عليه السلام، وفي
الآخرة بالخلود في الجنان .^(١)



(١) انظر القصة بتمامها في تفسير ابن كثير ٦٦٨/٢ .

أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)

أول زوج لرسول الله ﷺ.. وكانت امرأة عاقلة، ذات مال، يرغب فيها الرجال .

من رجاحة عقلها :

- (١) رغبت عن الأزواج، واختارت النبي محمد ﷺ زوجها لها.. لما رأت فيه من علامات النبوة.
- (٢) المسارعة إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ فكانت أول من آمن من الرجال والنساء
- (٣) واست النبي ﷺ بمالها، وفرغته لجهد الدين والدعوة إلى الله ﷻ .
- (٤) ما أغضبت رسول الله ﷺ قط.
- (٥) قصتها في كشف رأسها لتعرف الملك الذي يأتي النبي ﷺ في حراء ملك .. أم شيطان .
- (٦) ولما أخبرها رسول الله ﷺ أن الله ﷻ زوجه في الجنة بمريم عليها السلام ، وآسية امرأة فرعون ، ما غضبت بل قالت : بالرفاء والبنين.



أم المؤمنين

السيدة عائشة (رضي الله عنها)

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ﷺ، وأشهر نسائه. ولدت - رضي الله عنها - سنة تسع قبل الهجرة، كنيته أم عبد الله، ولُقبت بالصدّيقة، وعُرِفَت بأم المؤمنين، وبالحميراء لغلبة البياض على لونها. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية - رضي الله عنها - التي قال فيها رسول الله ﷺ: " من أحب أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فليُنظر إلى أم رومان " (١).

ولدت عائشة رضي الله عنها في الإسلام ولم تدرك الجاهلية، وكانت من

(١) الحديث ضعيف، وإليك نص الحديث وتخريجه عن القاسم بن محمد قال: لما دُلِّيتُ أمُّ رومان في قبرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى امْرَأَةِ رُومَانَ " رواه ابن سعد في " الطبقات الكبرى " (٢٧٧/٨)، وأبو نعيم في " معرفة الصحابة " (٣٤٩٨/٦)، والسهمي في " تاريخ جرجان " (١٩٩/١) جميعهم: من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد مرسلًا.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: هذا إسناد ضعيف؛ فإنه - مع إرساله - فيه ضعف علي بن زيد؛ وهو ابن جدعان " انتهى. (السلسلة الضعيفة - رقم/٤٦٠٣).

وقد أرسل هذا الحديث أيضا مصعب الزبيري - راوي السيرة المعروف - كما يروي الحاكم في المستدرک ٥٣٨/٣.

المتقدمين في إسلامهم؛ فقد روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين." في بيت الصدق والإيمان ولدت، وفي أحضان والديين كريمين من خيرة صحابة رسول الله ﷺ تربت، وعلى فضائل الدين العظيم وتعاليمه السمحة نشأت وترعرعت.

وقد تمت خطبتها لرسول الله ﷺ وهي بنت سبع سنين، وتزوجها وهي بنت تسع؛ وذلك لحدائثة سنها، فقد بقيت تلعب بعد زواجها فترة من الزمن، روي عنها أنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنيات، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: خيل سليمان. فضحك.

وتقول عائشة (رضي الله عنها) تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين ودخل علي وأنا بنت تسع سنين، وكنت ألعب بالبنيات (لعب) وكان لي صواحب (صديقات) يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن (يستترن) منه .

وفي لفظ: وعندي الجواري (البنيات الصغار) فإذا دخل خرجن، وإذا خرج دخلن " (١)

وقد أحب رسول الله ﷺ خطيبته الصغيرة كثيراً، فكان يوصي بها أمها أم رومان قائلاً: "يا أم رومان، استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها".

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب .. وأبو داود في كتاب الأدب .. والنسائي في كتاب النكاح .

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، لحقته العروس المهاجرة إلى المدينة المنورة، وهناك اجتمع الحبيبان، وعمت البهجة أرجاء المدينة المنورة، وأهلت الفرحة من كل مكان؛ فالمسلمون مبتهجون لانتصارهم في غزوة بدر الكبرى، واكتملت فرحتهم بزواج رسول الله ﷺ بعائشة. وقد تمّ هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة، وانتقلت عائشة إلى بيت النبوة.

من رجاحة عقلها :

ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سأله شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة النفقة^(١) وأدينه بغيره بعضهن على بعض، فألى رسول الله ﷺ منهن شهراً وصعد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية، : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأُسرِّحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * ﴾^(٢).

(١) يا أيها النساء المترفات اللواتي ما ترضين إلا بترف العيش من الطعام والشراب والمسكن ، انظروا لأمهات المؤمنين ماذا طلبن؟ زيادة النفقة (يعني قرص الشعير !!! لأنهن تمر عليهن الأيام وليس في بيوتهن إلا الماء وربما يوجد معه رديء التمر .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان من ٢٨ : ٢٩ .

وكن أزواجه يومئذ تسعا. عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية الخيرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهن، فبدأ بعائشة فاخترت الله ورسوله.

فقال : يا عائشة ! إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه

حتى تستشيرني أبويك " قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية .

فماذا قالت ؟ انظر إلي رجاحة العقل ، قالت : أفيك يا رسول الله ! استشير

أبواي ، بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة (١) .

وفي رواية لمسلم أيضا : معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا

يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة رضى الله

تعالى عنها قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله

ﷺ قالت بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك

دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون (٢)

ففي قول أم المؤمنين السيدة عائشة: أعدها تعبير موحى بتعلق قلب

الزوجة المحبة الودود لزوجها، وترقبها لعودته إليها ليلة ليلة، وساعة

ساعة، وفيه تودد وتحبب واستمالة لقلب الزوج المحب المشتاق، إذ بدأ بها

قبل غيرها من نساته.

(١) انظر صحيح مسلم شرح النووي ٨١/١٠.

(٢) انظر صحيح مسلم _ باب الشهر يكون تسعا وعشرين يوما.

وعن الأسود قال: قلت لعائشة: إن رجلا من الطلقاء يبايع له - يعني معاوية - قالت: يا بني ! لا تعجب، هو ملك الله يؤتیه من يشاء (١).
انظروا وتأملوا إلي رجاحة عقلها .

أم المؤمنين

سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)

أسلمت قديما وبايعت ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت ابن عم لها يقال له " السكران بن عمرو بن عبد شمس " أخو سهيل بن عمرو .. وأسلم معها ﷺ وهاجر معا إلي الحبشة في الهجرة الثانية ، ولما قدما مكة ، رأت سودة في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ عنقها ، فأخبرت زوجها بذلك ، فقال : لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك محمد ﷺ ، ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمرا أنقض عليها، وهي مضجعة ، فأخبرت زوجها، فقال: إن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرا حتى أموت، وتتزوجين من بعدي، واشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث إلا قليلا ثم مات، وتزوجها رسول الله ﷺ .

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٨٦،/٦

من رجاحة عقلها :

روى أبو عمر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أسنت سودة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها، فقالت : " لا تطلقني وأنت في حل مني، فأنا أريد أن أحشر في أزواجك، وإني وقد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء ، فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه (رضي الله تعالى عنهن) . (١)

أم المؤمنين

أم سلمة (رضي الله عنها)

السيدة المحجبة، الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل ابن هشام .
من المهاجرات الأول. كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٢/١٠٥ .

دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين. عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً. لم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى الله. ولها أولاد صحابيون: عمر، وسلمة، وزينب. ولها جملة أحاديث، عاشت نحواً من تسعين سنة.

وأبوها: هو زاد الراكب أحد الأجواد - قيل: اسمه - حذيفة. وقد وهم من سماها: رملة؛ تلك أم حبيبة، وكانت تعد من فقهاء الصحابييات. وعن عمر بن أبي سلمة، قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي إلى أبي قطن في المحرم سنة أربع، فغاب تسعاً وعشرين ليلة، ثم رجع في صفر، وجرحه الذي أصابه يوم أحد منتقضاً؛ فمات منه، لثمان خلون من جمادى الآخرة. وحلت أمي في شوال، وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

إلى أن قال: وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة.

ابن سعد: أخبرنا أحمد بن إسحاق الحضرمي: حدثنا عبد الواحد بن زياد: حدثنا عاصم الأحول، عن زياد بن أبي مريم: قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة. فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي، ولا أتزوج بعدي. قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: إذا مت تزوجي. اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها. فلما مات، قلت: من خير من أبي

سلمة؟ فما لبثت، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها، أو ابنها. فقالت: أرد على رسول الله، أو أتقدم عليه بعيالي. ثم جاء الغد فخطب .

وعن ثابت: حدثني ابن عمر ابن أبي سلمة، عن أبيه: أن أم سلمة لما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردته؛ ثم عمر، فردته. فبعث إليها رسول الله. فقالت: مرحبا، أخبر رسول الله أني غيري، وأنني مُصَبِّةٌ وليس أحد من أوليائي شاهدا، فبعث إليها: "أما قولك: إني مُصَبِّةٌ؛ فإن الله سيكشفك صبيانك. وأما قولك: إني غيري، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء؛ فليس أحد منهم إلا سيرضى بي". قالت: يا عمر، قُمْ فزوج رسول الله . وقال رسول الله: أما إني لا أنقصك مما أعطيت فلانة ... الحديث .

عبد الله بن نمير: حدثنا أبو حيان التيمي، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قالت أم سلمة: أتاني رسول الله ﷺ فكلمني، وبيننا حجاب، فخطبني، فقلت: وما تريد إلي؟ ما أقول هذا إلا رغبة لك عن نفسي؛ إني امرأة قد أدبر من سنِّي، وإني أم أيتام، وأنا شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء .

قال: أما الغيرة، فيذهبها الله. وأما السن، فأنا أكبر منك. وأما أيتامك؛ فعلى الله وعلى رسوله. فأذنتُ، فتزوجني .

وهذا من رجاحة عقلها، خافت أن تأتيها الغيرة من نساء النبي فتفعل شيئاً يغضب النبي فيغضب عليها النبي فيغضب الله لغضبه. ومن رجاحة عقلها: إشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية، أن يحلق رأسه وينحر هديه فيتأسى به والقصة بتمامها في باب مشاورة النساء .

عاتكة بنت زيد

بن عمرو بن نفيل (رضي الله عنها)

أبوها زيد رضي الله عنه مات على الحنيفة السمحة ملة إبراهيم عليه السلام .. وأخوها سعيد بن زيد رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة .

كانت من أجمل نساء قريش تزوجها عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه ، فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حباً شديداً فنقل ذلك على أبيه ، فمر به أبو بكر يوماً ، وهو في غرفة له ، فقال : يا بني إني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك ، وغلبت على عقلك ، فطلقها قال عبد الله : لست أقدر على ذلك ، قال : أقسمت عليك إلا طلقتها ، فلم يقدر على مخالفه أبيه فطلقها ، فجزع عليها جزعاً شديداً، وامتنع عن الطعام والشراب .. فقيل لأبي بكر : أهلك

عبد الرحمن ، فمر به يوماً ، وعبد الله لا يراه وهو مضجع في الشمس
ويقول :

والله ما أنساك ما ذر شارق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها
وما ناح قمري الحمام المطوق
ولا مثلها في غير شئ يطلق
ولها خلق عف ودين ومحتد
وخلق سوى في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له ، وقال له : راجعها يا بني ! فراجعها ، وأقامت عنده
وكان يحبها حباً شديداً فجعل لها حديقة على أن لا تزوج بعده فرمى بسهم
يوم الطائف فانتقض بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقالت ترثيه :

فآليت لا تنفك عيني سخينة
فتى طول عمري ما أرى مثله
عليك ولا ينفك جلدي أغبراً
أكر وأحمى في الصباح وأخيراً
إذا شرعت فيه الأسنة خافها
إلى القرن حتى يترك الرمح

فخطبها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قالت : قد كان أعطاني حديقة أن
لا أتزوج ، قال : فاستفتى ، فاستفتت على بن أبي طالب ﷺ فقال : ردى
الحديقة إلى أهله وتزوجي ! فتزوجها عمر ﷺ في خلافته ودعا الناس إلى
ولييمته فأتوه ، فلما فرغ من الطعام وخرج الناس ، قال له على بن أبي طالب
ﷺ : يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها ، وأدعوا لها

بالبركة ، فذكر عمر ذلك لعاتكة ، فقالت : إن أبي الحسن فيه مزاح ، فأذن له يا أمير المؤمنين ، فأذن له ، فقال : يا عاتكة !

وآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فقال عمر رضي الله عنه : غفر الله لك لا تفسد على أهلي !

من رجاحة عقلها وقوة إيمانها :

أن عمر رضي الله عنه قال لها يوما وقد غضب عليها : لأسوأك ؟ فقالت له : أتستطيع أن تصرفني عن الإسلام بعد إذا هداني الله عز وجل !!؟ قال : لا .. قالت : فبم تسوءني إذا ؟ ... لله درها من امرأة صالحة عاقلة . وظلت عنده حتى قتل ، فلما قتل جزعت عليه جزعا شديدا .. وقد رثته عاتكة (رضي الله عنها) بشعر قد ذكره الحاكم في المستدرک :

لا تمل على الإمام الطيب	عين جودي بعبرة ونحيب
يوم الهياج والتأنيب	فجعتني المنون بالفارس المعلم
وغيث الملهوف والمكروب	عصمة الدين والمعين على
إذا سقتنا المنون كأس شعوب ^(١)	قل لأهل الضراء والبؤس موتوا

(١) الحاكم في المستدرک - كتاب معرفة الصحابة - ٣ / ٩٤ .

وقالت فيه أيضا :

فجعتني فيروز لا در دره
 رؤوف علي الأديني غليظ علي العدي
 بأبيض تال للكتاب منيب
 أخي ثقة في النائبات مجيب
 سريـع إلي الخيرات غير قطوب^(١)
 متي ما يقل لا يكذب القول فعله

ثم تزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا ، وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها ، فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله ﷺ : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " رواه أحمد وأبو داود .

فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه ، فضرب بيده عجزتها ثم انصرف ، فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد ... وكان يقول لها : ألا تخرجين يا عاتكة ؟ فتقول : كنا نخرج إذا الناس ناس وما بهم من بأس ، وأما الآن فلا .. ثم قُتل عنها الزبير ، قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم .. وقد رثته فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس نهمة
 ياعمرو لونبهته لوجدته
 لا طائشا رعرش البنان ولا اليد
 ثكلتك أمك إن ظفرت بفارس
 فيما مضى مما يروح ويغتدي
 كم غمرة قد خاضها لم يثنه
 عنها طرادك يا بن فقح الفددي
 والله ربك إن قتل يا مسلماً
 حلت عليك عقوبه المتعمد^(٢)

(٢) المرجع السابق.

(١) الحاكم المستدرک ٣/٣٦٨ .

ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فقتل عنها بمصر، فقالت: لا أتزوج بعده أبداً إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم . (١)

أسماء

بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين)

(رضي الله عنها)

بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان أم عبد الله القرشية التيمية ، المكية ، ثم المدنية .
والدة الخليفة عبد الله بن الزبير ، وأخت أم المؤمنين عائشة ، وآخر المهاجرات وفاة .

روت عدة أحاديث ، وعمرت دهرًا ، وتعرف بذات النطاقين وأمهات :
هي قتيلة بنت عبد العزى العامرية ، وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة . هاجرت حاملاً بعبد الله . وقيل : لم يسقط لها سن . وشهدت اليرموك مع

زَوْجَهَا الزُّبَيْرِ . وَهِيَ ، وَأَبُوهَا ، وَجَدُّهَا ، وَأَبْنُهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ ، أَرْبَعَتُهُمْ صَحَابِيُّونَ .

عَنْ مُسْلِمِ الْقُرِّيِّ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ ابْنِ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمِيَاءُ - نَسَأَلُهَا عَنْ مُتَعَةِ الْحَجِّ ، فَقَالَتْ : قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزَّنَادِ : كَانَتْ أَسْمَاءُ أَكْبَرَ مِنْ عَائِشَةَ بَعِشْرٍ . وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ ، عَنْ أَسْمَاءَ ، قَالَتْ : صَنَعْتُ سُفْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي حِينَ أَرَادَ أَنْ يَهَاجِرَ ، فَلَمْ أَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلَا لِسِقَاتِهِ مَا أَرْبُطُهُمَا ، فَقُلْتُ لِأَبِي : مَا أَجِدُ إِلَّا نِطَاقِي ، قَالَ : شَقِيهِ بَانَتَيْنِ ، فَارْبُطِي بِهِمَا قَالَ : فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ : ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ .

من رجاحة عقلها :

قَالَتْ : لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ جَمِيعَ مَالِهِ - خَمْسَةَ آلَافٍ ، أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ - فَاتَانِي جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ عَمِيَ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا قَدْ فَجَعَكُم بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ، فَقُلْتُ : كَلَّا ، قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا فَعَمَدْتُ إِلَى أَحْجَارٍ ، فَجَعَلْتُهُنَّ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ ، وَغَطَّيْتُ عَلَيْهَا بِثَوْبٍ ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَوَضَعْتُهَا عَلَى الثَّوْبِ ، فَقُلْتُ : هَذَا تَرَكَهُ لَنَا ، فَقَالَ : أَمَا إِذْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا ، فَنَعَمْ .

وفي رواية: أنه لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر ﷺ معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق به معه ،

قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة رضي الله عنه وقد ذهب بصره فقال: والله! إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقالت: يا أبت! ضع يدك علي هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك. كذا في البداية ^(١). وهذا الذي فعلته من راحة عقلها رضي الله عنها.

ومن راحة عقلها أيضاً:

عندما جلست معها ابنها البطل الشهيد عبد الله بن الزبير أيام محاصرة الحجاج له في الحرم فقال لها: والله ما أخاف إلا أن يمثل بي. فقالت له: وما يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.

وعن شعيب بن طلحة، عن أبيه: قالت أسماء لابنها: يا بني عش كريماً، ومث كريماً، لا يأخذك القوم أسيراً.

قال عروة: دخلت أنا وأخي - قبل أن يقتل - على أمنا بعشر ليالٍ، وهي وجعة، فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة. قال: إن في الموت لعافية. قالت: لعلك تشتهي موتي، فلما فعل، وضحكت، وقالت: واللّه،

مَا أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ، حَتَّى تَأْتِيَ عَلَيَّ أَحَدِ طَرْفَيْكَ: إِمَّا أَنْ تُقْتَلَ فَأَحْتَسِبُكَ ،
وإِمَّا أَنْ تَظْفَرَ فَتَقَرَّ عَيْنِي . إِيَّاكَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيَّ خُطَّةً فَلَا تُوَافِقُ، فَتَقْبَلُهَا
كَرَاهِيَّةَ الْمَوْتِ .

وقتل البطل الشهيد .. حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه عبد
الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك يا أبا خبيب .. السلام عليك يا
أبا خبيب .. السلام عليك يا أبا خبيب .. أما والله ! لقد كنت أنهاك عن هذا ..
والله ! لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله ! لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما
والله ! إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم .. أما والله لأمة أنت
أشرها لأمة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله
فأرسل إليه فأنزل عن جذعه فألقى في قبور اليهود ، ثم أرسل إلي أمه
أسماء بنت أبي بكر فأبته أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن
إليك من يسحبك بقرونك ، قال : فأبته وقالت : والله لا آيتك حتى تبعث إليّ
من يسحبني بقروني فقال : أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوزف حتى
دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفستد عليه
دنياه ، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له : يا ابن ذات النطاقين أما
أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب وأما
الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في

ثقيف كذابا ، ومبيرا ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا
إياه قال : فقام عنها ولم يراجعها . رواه مسلم (١)

قال عُبَيْنَةَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْمُحَيَّاةِ ، عَنْ أُمِّهِ ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ
الزُّبَيْرِ ، دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ وَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّه ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَّانِي بِكِ ،
فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَتْ : لَسْتُ لَكَ بِأُمِّ ، وَلَكِنِّي أُمُّ الْمَصْلُوبِ عَلَى رَأْسِ
النَّبِيِّ ، وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ ، وَلَكِنْ أُحَدِّثُكَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَخْرُجُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ ، وَمُبِيرٌ فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ
رَأَيْنَاهُ - تَعْنِي الْمُخْتَارَ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ فَقَالَ لَهَا : مُبِيرُ
الْمُنَافِقِينَ .

وعن أحمد بن يونس : حَدَّثَنَا أَبُو الْمُحَيَّاةِ يَحْيَى بْنُ يَعْلَى التَّمِيمِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ
، قَالَ : دَخَلْتُ مَكَّةَ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثٍ - وَهُوَ مَصْلُوبٌ - فَجَاءَتْ أُمُّهُ
عَجُوزٌ طَوِيلَةٌ عَمِيَاءُ ، فَقَالَتْ لِلْحَجَّاجِ : أَمَا أَنْ لِلرَّكِبِ أَنْ يَنْزَلَ ؟ فَقَالَ :
الْمُنَافِقُ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مُنَافِقًا ، كَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا بَرًّا . قَالَ : انصرفي
يَا عَجُوزُ ، فَقَدْ خَرَفْتَ . قَالَتْ : لَأَ - وَاللَّهِ - مَا خَرَفْتُ مِنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
يَقُولُ : فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ... الْحَدِيثُ .

وقيل لابن عمر إن أسماء في ناحية المسجد - وذلك حين صلب ابن الزبير - فمال إليها ، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله ، فاتقى الله واصبري . فقالت: وما يمنعي ، وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل^(١) .

يا لها من امرأة عاقلة تعاملت مع أقسى الأحوال بعقل وحكمة وإيمان ويقين .

أسماء بنت عميس

بن معبد بن احكارث الخثعمية أم عبد الله (رضي الله عنها)

من المهاجرات الأولى .

قيل: أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ وسلم دار الأرقم .

وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله ، ومحمداً، وعوناً . فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستشهد يوم مؤتة ، تزوج بها أبو بكر الصديق ، فولدت له : محمداً وقت الأحرار، فحجبت حجة الوداع، ثم توفي الصديق ، فغسلته . وتزوج بها علي بن أبي طالب .

(١) سير النبلاء ٢/٢٩٥ .

وعن الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : قَدِمَتْ أَسْمَاءُ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : يَا حَبَشِيَّةُ ، سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ . فَقَالَتْ : لِعَمْرِي ، لَقَدْ صَدَقْتَ : كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْعَمُ جَائِعُكُمْ ، وَيُعَلَّمُ جَاهِلُكُمْ ، وَكُنَّا الْبُعْدَاءُ الطُّرْدَاءُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَذْكَرَنَّ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَتْهُ ، فَقَالَ : لِلنَّاسِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ .

وعن عامرٍ ، قَالَ : قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هُوَئَاءَ يَزْعُمُونَ أَنَا لَسْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ : كَذَبَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ ، لَكُمْ الْهَجْرَةُ مَرَّتَيْنِ : هَاجَرْتُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَهَاجَرْتُمْ إِلَيَّ .
قَالَ الْوَاقِدِيُّ : ثُمَّ تَزَوَّجَتْ عَلِيًّا فَوَلَدَتْ لَهُ : يَحْيَى ، وَعَوْنًا .

وعن زكريَّا بن أبي زائدة : سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ : تَزَوَّجَ عَلِيٌّ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، فَتَفَاخَرَ ابْنَاهَا : مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا : أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ .

قَالَ : فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ : اقْضِي بَيْنَهُمَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَابًّا مِنَ الْعَرَبِ خَيْرًا مِنْ جَعْفَرٍ ، وَلَا رَأَيْتُ كَهَلًا خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا تَرَكَتِ لَنَا شَيْئًا ؛ وَلَوْ قُلْتَ غَيْرَ الَّذِي قُلْتَ لِمَقْتِكَ . قَالَتْ : إِنَّ ثَلَاثَةً أَنْتَ أَحْسَنُهُمْ (١) خِيَارٌ . (١)

(١) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٨/٧) : فقال علي : ما تركت لنا شيئا ، ولو قلت غير الذي قلت لمقتك ، فقالت أسماء : إن ثلاثة أنت أحسنهم لخيار .

انظروا إلي هذه المرأة العاقلة التي فضت النزاع بينهما بحسن التصرف في القول ، فاتصفت كل من زوجها جعفر الطيار وعمر الفاروق (رضي الله عنهما) حتي قال لها علي ﷺ علي سبيل المزاح، فما أبقيت لنا ؟

أم سليم (رضي الله عنها)

هي أم سليم بنت ملحان الأنصارية من بنى النجار أخوال رسول الله ﷺ اشتهرت بكنيتها " أم سليم " و لقبت بألقاب كثيرة منها " الغميصاء أو الرميصاء أو الروميساء .

أسلمت الرميصاء كغيرها من السابقين عندما سمعت عن دين الحق في يثرب قبل هجرة النبي ، و تركت زوجها مالك الذي غضب وثار عندما رجع من سفره وعلم بإسلامها ولما سمع مالك بن النضر زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، خرج من البيت غاضبا بل خرج من المدينة كلها لأنها أصبحت أرض اسلام لا مكان لكافر مثله بها و مات بالشام.

ضحت هذه المؤمنة بحياتها الزوجية وبزوجها وابن ولدها الوحيد " أنس " من أجل دينها و ثباتها على مبدأها ولم تتردد أو تتراجع.!!!!

قدمت ابنها هدية للرسول!!! حينما قدم النبي ﷺ المدينة كانت الأنصار ومن كان فيها من المهاجرين مشغولين باستقبال النبي ﷺ فرحين مستبشرين بمقدمه ﷺ فأقبلت الأفواج لزيارته ﷺ، فخرجت أم سليم الأنصارية من بين هذه الجموع، ومعها ابنها أنس رضي الله عنهما، فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة . وأنا ابن ثمان سنين فأخذت أمي بيدي فانطلقت بي الي رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله . إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الانصار إلا وقد أتحكفك بتحفة ، وإني لا أقدر علي ما أتحكفك به ، إلا ابني ، فخذة فليخدمك ما بدا لك ، فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما ضربني ولا سبني سبة ، ولا عبس في وجهي .

وعن أنس أن أم سليم قالت: يا رسول الله ! أنس خادمك، ادع الله له ، فقال : " اللهم أكثر ماله وولده " . رواه البخاري .

وفي رواية له : " اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه " .

يقول أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالا ، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلي مقدم الحجاج البصرة تسعة وعشرون ومائة .. وكان له

بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين وكان فيها ريحان يجيء ، منه ريح المسك . (١)

انظري إلي هذه المرأة العاقلة التي خدمت دين الله عز وجل.. فبخدمة أنس لرسول الله خدمة لدين الله تعالى، وما غفلت أن تطلب الدعاء من رسول الله لأنس، فدعا له فقال خيري الدنيا والآخرة..

أول امرأة يكون مهرها الاسلام !!!

تقدم لخطبتها بعد وفاة زوجها الأول " أبو طلحة زيد بن سهل " وكان لا يزال مشركاً وعرض عليها مهراً كبيراً فترده لأنها لا تتزوج مشركاً تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان. وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت.

فعندما عاود لخطبتها قالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره !!!.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ليسلم ويعلم إسلامه بين يدي الرسول ﷺ - فتزوجت منه - وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام وحسن إسلامه على يد زوجته تلك الصحابية الرائعة!!!. وما تركت الغزو مع رسول الله في صحبة زوجها أبو طلحة .

جاهدت مع الرسول في غزواته: ففي صحيح مسلم وابن سعد - الطبقات بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين فقال أبو طلحة: يا رسول

الله هذه أم سليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه!!!!. ويقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى .
 أروع ما قرأته عن تلك الصحابية قال: دخلت الجنة فسمعت خشفة "حركة"، فقلت من هذا قالوا هذه الرميماء بنت ملحان أم أنس بن مالك، وقال ﷺ: "أريت أني دخلت الجنة فإذا أنا بالريمياء امرأة أبي طلحة ."

هند بنت عتبة

إحدى نساء العرب اللاتي كان لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده، وهي أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.
 كانت هند ذات صفات ترفع قدرها بين النساء من العرب، ففيها فصاحة، وجرأة، وثقة، وحزم، ورأي.
 تقول الشعر وترسل الحكمة، وكانت امرأة لها نفس وأنفة.
 زوجها أبوها من الفاكهة بن المغيرة المخزومي، فولدت له أباتاً، ثم تركته.
 وقالت لأبيها ذات يوم: إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي. فقال لها: ذلك لك. ثم قال لها يوماً: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسمىاً لك واحداً منهما حتى أصفه لك، أما الأول: ففي الشرف والصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجاً من غفلته، وذلك إسجاح من

شيمته، حسن الصحابة، حسن الإجابة، إن تابعته تابعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك في ضعفه، وأما الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بدر أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعر بهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، وشديد حجاب القبة، إن جاع فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور، قد بينت لك حالهما .قالت: أما الأول فسيد مضياع لكريمته، مؤات لها فيما عسى إن لم تعصم أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جفائها، إن جاءت له بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت. اطو ذكر هذا عني فلا تسمه لي ، وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة: إني لأخلق هذا لواقمة، وإني له لموافقة، وإني آخذة بأدب البعل مع لزومي قبتي، وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، والذائد عن كتيبته، المحامي عن حقيقتها، الزائن لأرومته، غير مواكل ولا زميل عند ضعفة الحوادث، فمن هو ؟ قال: ذاك أبو سفيان بن حرب ، قالت : فزوجه ولا تلتقي إليه إلقاء المتسلس السلس، ولا تمسه سوم المواطنس الضرس، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء.

فاختيارها للرجل الشديد، هو من راحة عقلها، بل هو والله عين العقل والحزم، فما بنيت البيوت إلا بقوة الرجال وقوة حزمهم وما هدمت البيوت وتلاشت وضاعت إلا من ضعف رجالها.

سعيه

وكنيتها أم زفر (رضي الله عنها)

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنهما :
 ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى فقال : هذه المرأة السوداء أتت
 النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله تعالى لي . قال : إن
 شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن
 يعافيك. فقالت : أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا
 لها. متفق عليه. ^(١) . انظروا إلي عقل هذه المرأة المؤمنة كيف آثرت مشقة
 الدنيا لراحة الآخرة .

أم أيمن (رضي الله عنها)

وهي بركة ، حاضنة الرسول ﷺ ، وأم أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ
 وابن حبه .. كان رسول الله ﷺ ورثها وخمسة أجمال وقطعة غنم ، فأعتقها
 رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة ، فتزوجها عبيد بن يزيد من بني الحارث

(١) رياض الصالحين - باب الصبر ص ٦٣ - السيرة الشامية للصالحى .

بن الخزرج ، فولدت له أيمن ، فقتل يوم خيبر شهيدا ، وكان زيد بن حارثه لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه أم أيمن فولدت له أسامة بن زيد وكان يحبها النبي ﷺ ويقول لها: " يا أمه " .. وكان إذا نظر إليها قال : " هذه بقية أهل بيتي " . رواه الحاكم (١).

ولما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت وليس معها ماء وهي صائمة فجهدها العطش فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربت منه حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش.

وكانت أم أيمن تلتف النبي صلى الله عليه وسلم وتقوم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد.

جاءت أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت احملني قال أحملك على ولد الناقة فقالت يا رسول الله إنه لا يطيقني ولا أريده فقال لا أحملك إلا على ولد الناقة يعني أنه كان يمازحها وكان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقا والإبل كلها ولد النوق.

(١) مستدرک الحاكم - کتاب معرفة الصحابة ٤/٦٣.

وخاصم بن أبي الفرات مولى أسامة بن زيد الحسن بن أسامة بن زيد ونازعه فقال له بن أبي الفرات في كلامه بابين بركة يريد أم أيمن فقال الحسن اشهدوا ورفعوا إليه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو يومئذ قاضي المدينة أو وال لعمر بن عبد العزيز وقص عليه قصته فقال أبو بكر لابن أبي الفرات ما أردت إلى قولك بابين بركة قال سميتها باسمها قال أبو بكر إنما أردت بهذا التصغير بها وحالتها من الإسلام حالها ورسول الله يقول لها يا أمه ويا أم أيمن لا أقالني الله إن أقلتك فضربه سبعين سوطاً.

وفي صحيح مسلم قال ابن شهاب: توفيت بعد ما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر (١).

• الصديق والفارق يزرنها :

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك، أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلتا يبكيان معها. رواه مسلم. (٢).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد _ باب ذكر من بايع رسول الله .

(٢) رياض الصالحين - باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم ص ١٨٦ .

أختي المسلمة: انظري إلى هذه المرأة العاقلة لماذا تبكى ؟ لأن الوحي قد انقطع من السماء .. معناه: أنها تريد أوامر جديدة من الله عز وجل ولكن بانقطاع الوحي انقطعت الأوامر. ولما قتل الفاروق عمر (رضي الله عنه) بكت، لعلمها أن عمرا كان للإسلام حصنا حصينا ، ونصرا مبينا .. ولذلك قيل لها في بكائها علي عمر ، فقالت : اليوم وهَي الإسلام (أي ضعف) . (١)

زبيدة والمأمون

زوجة الخليفة هارون الرشيد وابنة عمه كان له منها محمد الملقب بالمأمون والذي عهد إليه بالخلافة من بعده ومن بعده أخيه المأمون وكان المأمون من جارية خراسانية اسمها مراحل والتي مات بعد ولادته بثلاثة أيام بحمي النفاس وقامت بتربيته زبيدة.

يقول الإمام الذهبي (واصفا لزبيدة): الست المحجبة ((ما كانت متبرجة ولا تظهر للرجال)) كانت عظيمة الجاه والمال لها آثار حميدة في طريق الحج وكان في قصرها من الجواري مائة جارية يحفظن كتاب الله رب العالمين. يقول عنها الشاعر:

وجاوزت الكلام فلا كلام		بلغت من المفاخر كل فخر
نزلت الأنف منها والسنام		إذا نزلت منازلها قريش

إذا الأساب أخلصت الكرام

تقى وسماحة وخلص مجد

يصف الإمام الذهبي زوجها هارون الرشيد: أنبل الخلفاء وأحشم الملوك وكان ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي وكان يحب العلماء وكان كثير الإنفاق والصدقة يعظم حرمان الدين ويبغض الجدل في الكلام.

هي زبيدة بنت جعفر ابن المنصور فأبو زوجها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي ويقولون عنها: "عباسية هاشمية قرشية" ولدت في الموصل وقذف الله سبحانه وتعالى محبتها في قلب جدها أبي جعفر المنصور، كان يحبها حبا شديدا وهو الذي أطلق عليها اسم زبيدة وسماها زبيدة لبياضها ونضارتها، تنقلت من شرف حسيب إلى كرم مجيد إلى سوؤدد وفضل إلى عز وعشيرة ونسب عظيم.

يقول عنها الخطيب البغدادي: كانت معروفة بالخير والإفضال على أهل العلم وكانت صاحبة بر على الفقراء والمساكين.

يقولون لم تحظى امرأة بما حظيت به زبيدة فهي امرأة تعد تسعة من الخلفاء: ابنها محمد الأمين، زوجها هارون الرشيد، ابن زوجها المأمون، ابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل، عمها المهدي، جدها المنصور، عم أبيها أبو العباس السفاح، وابن عمها الهادي.

زبيدة عربية في دولة بني العباس تولى الخلافة ٣٧ خليفة لم يكن منهم ابن عربية إلا ثلاث "كلهم أبناء نساء أعاجم إلا هؤلاء الثلاثة (أبو العباس

السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، ومحمد الأمين ابنها) فكان العرب يتفاخرون بها لأن ابنها ابن قرشية.

كانت فريدة في الفضل والعلم والتقوى والعفاف والثقافة وكانت تمتعت بعلوم القرآن والسنة والمعارف والأدب وكانت شاعرة تصف رقائق الكلام. كانت تحب ابنها محمد الأمين حباً جماً، وهذا جعلها تهيب له الخلافة من بعد أبيه.

لكن الرشيد كان يريد أن يكون خليفة المسلمين من بعده ابنه المأمون. ولكن زبيدة لم توافق على ما كان يريد الرشيد فغضبت منه وذهبت إليه تعاتبه على هذا الأمر الذي كان يريد.

وعندما أخذت تعاتبه قال لها الرشيد: "ويحك إنما هي أمة محمد ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقاً بعنقي وقد عرفت ما بين ابني وابنك. ليس ابنك يا زبيدة أهلاً للخلافة ولا يصلح للرعية".

فقالت: ابني والله خير من ابنك وأصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ولا صغير فيه، أسخى من ابنك نفساً، وأشجع قلباً.

فقال الرشيد: ويحك إن ابنك لأحب إلي لأنها الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلاً وبها مستحقاً ونحن مسؤولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الاتام، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم وننقلب إليه بإثمهم فاقعدي حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك.

أجرى هارون الرشيد الاختبار بين الأمين والمأمون فاستدعى المأمون أولاً، ولما وصل إلى باب المجلس سلم على أبيه ثم وقف طويلاً مطأطأ الرأس، حتى أذن له الرشيد بالجلوس والكلام، جلس وحمد الله تعالى ثم استأذن الرشيد بأن يقترب فأذن له بذلك، اقترب وقبل أطرافه ويدي زبيدة، ثم رجع إلى مكانه وحمد الله على رضى أبيه حسن رأيه فيه.

فقال الرشيد: يا بني إني أريد أن أعهد إليك عهد الإمامة وأقعدك مقعد الخلافة فإني قد رأيتك لها أهلاً وبها حقيقاً.

فبكى وصاح المأمون يسأل الله العافية لوالده، ثم قال: يا أبتاه أخي أحق مني وابن سيدتي ولا أخل إلا أنه أقوى على هذا الأمر مني وأشد استطلاعاً عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلص، وللعباد الخير والصلاح. ثم استأذن للخروج فأذن له الرشيد.

وبعد ذلك استدعى الرشيد ابنه الأمين فأول ما فعله الأمين أن دخل على أبيه دون أن يستأذن وهو يتبختر في مشيته حتى وصل إلى كرسي العرش إلى أبيه، فبدأ الرشيد بسؤاله: ما تقول يا بني أن أعهد إليك. فرد على الفور: ومن أحق بذلك مني يا أمير المؤمنين؟ فصرفه أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال لزبيدة: كيف رأيت؟ فقالت: يا أمير المؤمنين: ابنك أحق بما تريد. فرد الرشيد: فإذا أقررت بالحق وأنصفت فأنا أعهد إلى ابني ثم إلى ابنك.

ولا زالت زبيدة به حتى جعل الأمين ولي عهده وبإيع له، ثم تولى الخلافة بعده، ورضي بذلك المأمون، حيث أنه حسب وصية أبيه ولي عهد الأمين.

وعلم الفضل بن الربيع أن الخلافة إذا أفضت إلي المأمون لم يبق عليه، فأعدي الأمين به وحرّضه أن يولي ابنه موسى ولاية العهد ويعزل أخيه المأمون، وأعانه علي رأيه علي بن عيسى بن ماهان، والسندي. ففعل حتى دارت بين جيوش المأمون والأمين حروب وكان نهايتها قتل الأمين ابن زبيدة.

فماذا تفعل زبيدة أمام هذا الحدث الجلل؟

فهنا ظهرت رجاحة عقلها ورزانتها مرة ثانية، لما جاءها نبأ مقتل ولدها، عندما وأدت مساعي أهل الفتنة لتحريضها على الثأر من المأمون، الذي كان بمكان ولدها وقد أرسل إليها يبرئ نفسه بعد أن أرسلت إليه أبياتاً من الشعر قد امرت أبا أبكتة:

ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد	ويمتع بالآلاف طورا ويفقد
أصابت بريب الدهر مني يدى	فسلمت للاقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلكت يد	فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمون لها فالرشيد لي	ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

وعند قراءة المأمون للأبيات أرسل في الطلب إليها وقال لها: من قائل هذه الأبيات؟ قالت: أبو العتاهية. قال: وكم أمرت له؟ قالت: عشرون ألف درهم.

قال: وقد أمرنا له بمثل ذلك. واعتذر إليها من قتل أخيه محمد. وقال: لست صاصيه ولا قاتله؟ فقالت: يا أمير المؤمنين إن لكما يوماً تجتمعان فيه وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله. وأخذ المأمون يزيد في كرمه على زبيدة وأسرتها فكان يعطيها كل سنة مائة ألف دينار وألف ألف درهم.

وفي رواية الخطيب البغدادي: إن زبيدة أرسلت للمأمون قائلة: "أهنئك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة، فقد عوضت ابناً خليفة لم أده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأسأل الله أجراً على ما أخذ، وإمتاعاً بما عوض". وأخذ المأمون بعد ذلك في إكرامها ومودتها ورضاها.

توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين.

سئلت هل علمك أبوك أم زوجك فقالت "والله إن كان لأبي فضل في الولادة والتربية فإن لزوجي فضل في الأخذ بيدي إلى الخير أو بالأخذ على يدي إلى الخير" فهي لا تنكر فضل أبيها ولا فضل زوجها.

فكل ما صدر من هذه المرأة يدل على قوة عقلها وشدة ذكائها وقوة

إيمانها.

زوجة أبي حمزة

هجر أبو حمزة الضبي زوجته لأنها ولدت بنتاً ولم تلد ولداً.. وأراد الزواج من أخرى وأخذ يتبادل الزيارات مع الجيران بغية الزواج، وذات يوم

دخل بيت جيرانه فرأته زوجته فأخذت تداعب أبنيتها بابيات من الشعر بصوت عال وهي ترقصها :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا تالله ما ذلك فى أيدينا
ونحن كالأرض لزارعينا نبت ما قد زرعه فىنا

فعاد الزوج إلى زوجته الحكيمة العاقلة ، ودخل عليها الخباء فقبل رأس امرأته وابنته ، وقال : ظلمتكما ورب العكبة (١) .

جارية سليمان بن عبد الملك

يروى أن سليمان بن عبد الملك تجمل يوماً ولبس ثيابه واعتم بعمامة ، وعنده جارية فقال لها: كيف ترين الهيئة . قالت: أنت أجمل العرب لولا... فطلب منها أن تكمل الجواب وتصرح بما أضمرت، فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقي غير أن لا بقاء للإنسان
أنت خال من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فان^(٢)

(١) انظر تربية الأولاد للصابونى - البيان والتبيين للجاحظ ١٠٨/١ .

(٢) فانظر ترجمته فى كتاب تاريخ الإسلام ١٤٢/٣ - والبداية والنهاية لابن كثير .

فتاة

عن عائشة رضي الله عنها، أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع خسيسته، وأنا كارهة، قلت اجلسي حتي يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلي أبيها، فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله! قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء. (١) ما أعقل هذه الفتاة وحسن أدبها مع أبيها، حيث أنها عرفت أن الحق معها ثم تنازلت عنه لأبيها أدبا منها .

جارية عاقلة

وبينما رجل يجلس في بيته، ومعه جاريتته، فإذا به يسمع رجل يمشي في الشارع ومعه أدوات اللهو يلهو بها في الشارع. فقال لجاريتته: انظري هذا الرجل هل هو حر أم عبد؟ فخرجت الجارية ورجعت فقالت: إنه حر، فخرج مسرعا ليعرف من هو.. فإذا به يجده عبدا، فقال لها: ألم تقولي إنه حر، وهو عبد . فقالت: لو كان عبدا ما فعل هذا !!!

(٢) سنن النسائي - كتاب النكاح - باب البكر يزوجه أبوها وهي كارهة ٤٠٤/٣ ، وابن ماجه في كتاب النكاح باب من زوج ابنته وهي كارهة ٦٠٢/٢ .

زوجة شعيب بن حرب

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة ، فقال لها : إنى لسى الخلق ،
فقالت : أسوأ خلقاً منك من يحوجك إلى أن تكون سيئ الخلق .

عائشة أم أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس

كان أبو عبد الله محمد الثاني عشر ١٤٦٠ : ١٥٢٧ هو آخر ملوك
الأندلس المسلمين الملقب ب ((الغالب بالله)) .
وكان ملكاً على غرناطة من بني نصر من ملوك الطوائف ، واستسلم
لفرديناند وإيزابيلا يوم ٢ يناير ١٤٩٢ . وسماه الإسبان (el chico) أي
الصغير) ، بينما سماه أهل غرناطة (الزغابي) أي المشؤم أو التعيس .
حاول غزو قشتالة عاصمة فرناندو فهُزم وأسر في لوسينا عام ١٤٨٣ ،
ولم يفك أسره حتى وافق على أن تصبح مملكة غرناطة تابعة لفرناندو
وإيزابيلا ملوك قشتالة وأراجون . الأعوام التالية قضاه في الاقتال مع أبيه
أبي الحسن علي بن سعد وعمه أبي عبد الله محمد الزغل .
وفي عام ١٤٨٩ استدعاه فرناندو وإيزابيلا لتسليم غرناطة ، ولدى رفضه
أقاما حصاراً على المدينة . وأخيراً في ٢ يناير ١٤٩٢ استسلمت المدينة .

المكان الذي ألقى منه نظرتة الأخيرة على غرناطة ما زال معروفاً باسم زفرة العربي الأخيرة (el último suspiro del Moro) وبكى فقالت له أمه تلك المرأة العاقلة: عائشة الحرة: **ابك كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال** " قالتها لولدها الذي لم يحافظ على ملكه ولم يدافع عن بلده فكتبت - وحق لها أن تكتب - ليتناقلها الأجيال جيل بعد جيل ليُستفاد منها وتكون عبرة للمعتبر :

حاول جسيمات الأمور ولا تقل	إن المحامد والعلى أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا	عن غاية فيها الطلاب سباق

عجوز بني اسرائيل

عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن شيء فأراد أن يفعله ، قال نعم ، وإذا أراد أن لا يفعله سكت ، وكان لا يقول لشيء لا ، فأتاه أعرابي ، فسأله فسكت ، ثم سأله فسكت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كهيئة المنتهر له : " سل ما شئت يا أعرابي " ، فغبطناه ، وقتلنا : الآن يسأل الجنة ، قال: أسألك راحلة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لك ذلك " ثم قال : " سل " قال : ورحتها ، قال : " لك ذلك " ثم قال : " سل " قال : أسألك زاداً ، قال

" ذاك لك " قال : فعجبنا من ذلك ، فقال النبي ﷺ " كم بين مسألة الأعرابي وعجوز بني اسرائيل " ، ثم قال : " إن موسى ﷺ لما أمر أن يقطع البحر فانتهى إليه فضرب وجوه الدواب فرجعت ، فقال موسى ﷺ : مالي يا رب ! قال : إنك عند قبر يوسف فاحمل عظامه معك " قال : وقد استوى القبر بالأرض فجعل موسى لا يدري أين هو ، فسأل موسى : هل يدري أحد منكم أين هو ؟ فقالوا : إن كان أحد يعلم أين هو ، فعجوز بني فلان ، لعلها تعلم أين هو ، فأرسل إليها موسى فانتهى إليها الرسول ﷺ ، قالت : ما لكم ، قالوا : انطلقني إلي موسى ، فلما أتته ، قال : هل تعلمين أين قبر يوسف ؟ ، قالت : نعم ، قال : فدلينا عليه . قالت : لا والله حتى تعطيني ما أسألك قال : لك ذلك ، قالت : فإني أسألك أن أكون معك في الدرجة التي تكون فيها في الجنة . ، قال : سلي الجنة ، قالت : والله ! لا أرضى إلا أن أكون معك ، فجعل موسى يرادها قال : فأوحى الله إليه أن أعطها ذلك فإنه لا ينقصك شيئاً فأعطها ودلته علي القبر ،

فأخرجوا العظام وجازوا البحر . أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبغوى (١).

وفي رواية عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه ، فقال له : " يا أعرابي سل حاجتك . قال : يا رسول الله : ناقة برحلي وأعنز يحلبها أهلي . قالها مرتين ، فقال له رسول الله ﷺ : " أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ " ، فقال أصحابه : يا رسول الله ، وما عجوز بني إسرائيل ؟ قال : " إن موسى أراد أن يسير ببني إسرائيل فأضل عن الطريق ، فقال له علماء بني إسرائيل ، نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا موثيق الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا . قال : وأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل فأرسل إليها ، فقال : دليني على قبر يوسف فقالت : لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة . قال : " وكره رسول الله ما قالت فقيل له : أعطها حكمها فأعطهاها حكمها فأتت بحيرة ،

فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ . فَلَمَّا نَضَبُوهُ قَالَتْ : احْفَرُوا هَاهُنَا . فَلَمَّا حَفَرُوا إِذَا عِظَامُ يُوسُفَ ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ . رواه الحاكم وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ (١) وصححه الألباني .

انظر إلى عقل الأعرابي وعقل هذه العجوز تجد بينهما بونا شاسعاً .. فقد طلب الأعرابي دنيا زائلة .. وطلبت العجوز آخرة لا زوال لها ولم تطلب الجنة فحسب بل طلبت الفردوس الأعلى مع أنبياء الله ورسله .. فكم من النساء اليوم يطلبون أشياء الدنيا ويرغمون أزواجهن علي تحصيلها ويكون ذلك علي حساب آخرتهم .

(١) المستدرک علی الصحیحین » کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین _ رقم

زوجة شريح القاضي (رحمهما الله)

قال الشعبي: إن شريح القاضي قال له بعد زواجه من تميمة (امرأة من بني تميم) يا شعبي: عليكم بنساء بني تميم، فإنهن النساء. فقلت: وكيف هذا، قال: مررت بدور لبني تميم، فإذا بامرأة جالسة على وساد، وتجاهها جارية (فتاة) كأحسن ما رأيت، فاستسقيت (أي طلبت أن تسقيني).

فقلت: أي الشراب أعجب لديك؟ . فقلت: ما تيسر.

قالت: اسقوا الرجل لبناً، فإني أخاله غريباً. فلما شربت، نظرت إلى الجارية، فأعجبنتي فقلت: من هذه؟ . قالت: ابنتي. قلت: ومن؟ (أي من هو أبوها، وأصلها). قالت: زينب بنت جدير من بني حنظلة.

قلت: أ فارغة أم مشغولة؟ (أي هل هي ذات زوج أو مخطوبة لأحد؟؟).

قالت: بل فارغة. قلت: أتزوجينيها؟ . قالت: نعم، إن كنت كفاء.

فتركناها ومضيت إلى منزلي، لأقيل فيه (أي لأقضي فترة القيلولة) فلم يطب لي مقل، فلما صليت، أخذت بعض إخواني من أشرف العرب، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس. فقال: أبا أميه ما حاجتك؟ فذكرت له حاجتي، وزوجني، وبارك القوم لي، ثم نهضنا، فما بلغت منزلي، حتى ندمت!! فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب، وأجفاها، وتذكرت نساء تميم، وغلظ قلوبهن، فهمت بطلاقها، ثم قلت أجمعها (أي أدخل بها، وأتزوجها) فإن لا قيت ما أحب وإلا طلقته، وأقمت أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلس

في البيت، قلت: يا هذه ! إن من السنة، إذا دخلت المرأة على الرجل، أن يصلي ركعتين، وتصلي هي كذلك، وقمت أصلي، ثم التفت ورائي، فإذا هي خلفي تصلي، فلما انتهيت، أتتني جواريتها فأخذن ثيابي، وألبسنني ملحفة صبغت بالزعفران، فلما خلا البيت، دنوت منها، فمدت يدي إلى ناحيتها، فقالت: على رسلك (أي مهلاً)، فقلت في نفسي: إحدى الدواهي منيت بها (أي مصيبة ابتليت بها) فحمدت الله وصلت على النبي، وقالت: إني امرأة عربية، ولا والله ما سرت سيرا قط، إلا لما يرضي الله، وأنت رجل غريب، لا أعرف أخلاقك (أي لا أعرف طباعك)، فحدثني بما تحب فآتيه، وما تكرهه فأجتنبه، فقلت لها: أحب كذا وكذا (عدد ما يحب من القول والأفعال والطعام ونحو ذلك) وأكره كذا (كل ما يكره)، قالت: أخبرني عن أصهارك (أهل قرابتك) أحب أن يزوروك؟، فقلت: إني رجل قاضي، وما أحب أن يملوني . فقامت بأنعم ليلة، وأقامت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فكانت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله. حتى كان رأس الحول (أي بعد مرور عام) ودخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى !! فقلت: يا زينب ما هذه؟! قالت: أمي. قلت: مرحباً. فقالت: يا أبا أمية، كيف أنت وحالك ؟ . قلت: بخير، أحمد الله. قالت: كيف زوجتك؟ .

قلت: كخير امرأة، وأوفق قرينة. لقد ربّيت، فأحسننت التربية، وأدبّت، فأحسننت التأديب.

فقالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالتين: (إذا حظيت عند زوجها.. وإذا ولدت غلاماً).

فإن رابك منها ريب (لا حظت ما يغضبك منها) فالسوط (أي عليك بضربها) .

فإن الرجال ما حازت في بيوتها شراً من الورهاء المدللة. وكانت كل حول تأتينا مرة واحده، ثم تنصرف بعد أن تسألني كيف تحب أن يزوروك أصهارك ؟ .

وأجيبها: حيث شأؤوا [أي كما يشاءون] فمكثت معي عشرين سنة ، لم أعب عليها شيئاً، وما غضبت عليها قط.

ما نستخلصه من هذه القصة :

- ١) يجب أن يتحلى الرجل بالتدين والالتزام.
- ٢) على الرجل المسارعة للزواج إذا وقع في نفسه حب فتاة، خشية الفتنة.
- ٣) التحري عن الفتاة، وعن أهلها قبل الارتباط بها .
- ٤) التوكل على الله ، وعدم الخوف من المستقبل ، والتفاؤل بنجاح الزواج .
- ٥) إتباع السنن المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى في مسائل الزواج .
- ٦) إتباع وسيلة الحوار، والملاطفة مع الزوجة، وخاصة في بداية عهدهما بالزواج لتحقيق التآلف المطلوب بينهما ، وإزالة الرهبة من الفتاة .
- ٧) إهتمام الرجل بزينته، أمر مطلوب كما هو الحال عند المرأة، لتدوم المودة

بينهما، ويعف كل منهما الآخر عن النظر للغريب [فما يعجب العين، يقع في القلب] .

٨) إتصاف المرأة برجاحة العقل أمر مهم ، حيث أن ذلك يساعد في فهم ،
ومسايرة الرجل بما يوافق طبعه وخلقه .

٩) التفاهم بين الزوجين منذ بدء الحياة الزوجية ، يحقق الإستقرار والهدوء
والخلو من المشاكل والمشاحنات.

تنازع رجل وامرأة

أمام القاضي

يروى أنه ترافع رجل وامرأته الى زياد والي البصره في ولد لهما:
فقالت المرأة: أصلح الله الأمير هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري قناؤه
وثدي سقاؤه، أكلؤه اذا نام، وأحفظه اذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام
لحين أملت نفعه ورجوت دفعه أراد أخذه مني قهرا.

فقال الرجل: أصلحك الله! أنا حملته قبل أن تحمليه، ووضعتة قبل أن
تضعيه.

فقالت المرأة: صدق أيها الامير، ولكنه حملة خفيفا، وحملته ثقيلًا،
ووضعه شهوة، ووضعتة كرها.

فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ودعني من سجعك.
(١) . برجاحة عقلها غلبت زوجها، وهي محقة.

(١) المستدرك على الصحيحين » كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين _ رقم

المرأة الحكيمة وابنها

رأت امرأة في المنام .. ابنها يشعل أعواد الكبريت .. ويقربها من عينيه .. حتى أصبحتا حمرأوين .. فاستيقظت من نومها وهي تتعوذ من الشيطان الرجيم .. لكن لم يهدأ بالها وذهبت لغرفته إبنها .. الذي يبلغ السابعة عشر من عمره .. لتجده على شاشه الكومبيوتر.. وكان ضوء الشاشه ينعكس على النافذه .. ورأته يرى ما أفرعها حقا .. وأثار كل مخاوفها.. رأته وهو يشاهد فيلم خليع.. على شاشه الكومبيوتر .. أرادت أن تصرخ في وجهه .. لكنها آثرت الإنسحاب .. خاصة أنها دخلت بشكل خافت .. لم يلاحظه هو.. رجعت إلى فراشها.. فكرت أن تخبر أباه.. ليتسلم مسئوليه تأديب ابنه.. فكرت أن تقوم من فراشها وتقل شاشه الكمبيوتر وتوبخه على فعلته وتعاقبه.. لكنها دعت الله أن يلهمها الصواب في الغد.. ونامت وهي تستعيذ بالله.. وفي الصباح الباكر.. رأت ابنها يستعد للذهاب إلى المدرس.. وكانا وحدهما.. فوجدتها فرصه للحديث وسألته: مارأيك في شخص جائع، ماذا تراه يفعل حتى يشبع؟؟؟ فأجابها بشكل بديهي: يذهب إلى مطعم و يشتري شيئا ليأكله.. فقالت له: وإذا لم يكن معه مال لذلك؟ عندها صمت وكأنه فهم شيئا ما، فقالت له: وإذا تناول فاتحا للشهيه، ماذا تقول عنه؟؟؟

فأجابها بسرعه: أكيد إنه مجنون، فكيف يفتح شهيته لطعام ليس بحوزته..
 فقالت له: أترأه مجنون يا بني ??? أجابها: بالتأكيد يا أمي، فهو كالمجروح
 الذي يرش على جرحه ملحا.. فابتسمت وأجابته: أنت تفعل مثل هذا المجنون
 يا ولدي.. فقال لها متعجبا .. أنا يا أمي!!! فقالت له: نعم .. برويتك لما
 يفتح شهيتك للنساء. عندها صمت وأطرق برأسه خجلا..
 فقالت له: بني بل أنت مجنونا أكثر منه.. فهو فتح شهيته لشئ ليس معه..
 وإن كان تصرفه غير حكيم.. ولكنه ليس محرم.. أما أنت ففتحت شهيتك لما
 هو محرم.. ونسيت قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
 وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١)
 عندها دمعت عينا ابنها بحزن .. وقال لها حقا يا أمي .. أنا أخطأت .. وإن
 عاودت لمثل ذلك .. فأنا مجنون أكثر منه.. بل وآثم أيضا.. أعدك بأني لن
 أكررها (٢).

(١) سورة النور - الآية ٣٠.

(٢) منندي قلوب.

مُعِينَات

على الخير

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " رحم الله رجلاً قام

من الليل فصلي ، وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح في وجهها

(١) سورة المائدة - الآية ٢ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٧١ .

الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها
فصلي ، فإن أبي نضحت في وجهه الماء " . روه أبو داود والنسائي (١) .

أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)

عندما رجع الحبيب محمد ﷺ من الغار وقص عليها مجيء جبريل عليه السلام ، فقال له : أقرأ وأخبرها الخبر ، وقال لقد خشيت علي نفسي ، فقالت . خديجة كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ... إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين علي نوائب الحق .. فما كان أجمل من قولها إلا فعلها وذلك حين ذهبت به إلي ابن عمها ورقة بن نوفل ، وقالت : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك الخ ؟ .

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

عن عطاء رحمة الله قال : قلت لعائشة : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ ، قالت : وأي شأنه لم يكن عجباً ؟ إنه أتاني ليلة فدخل معي لحافي ثم قال : ذريتي أتعبدُ لربي ، فقام فتوضأ ثم قام يصلي ، فبكى حتى

سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ! وما يبكيك و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ ، قال : " أفلا أكون عبداً شكوراً و لمَ لا أفعل و قد أنزل الله عليّ هذه الليلة ﴿

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَّقُعُودًا وَّعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَّيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(١) ثم قال : " ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها " ^(٢) . قيل للإمام الأوزاعي : " ما غاية التفكر فيهن ؟ " قال : " يقرؤهن وهو يعقلهن " ^(٣) .

(١) سورة آل عمران - الآية ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٠) وأبو الشيخ في أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - (١٨٦) وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " إلى عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التفكير، وابن المنذر وابن مردويه في الترغيب، وابن عساكر (١/١٩٥) وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨) وانظر : "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" (٦٢٠) وموارد الظمان (٥٢٣)

(٣) لدر المنثور" للسيوطي (١/١٩٥) و"إتحاف السادة المتقين" للزبيدي (١٣/٣٠٩).

زوجة أبي الهيثم بن التيهان (رضي الله عنها)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فقال : " ما جاء بك يا أبا بكر " ؟ فقال : خرجت ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر في وجهه والتسليم عليه ، فلم يلبث أن جاء عمر رضي الله عنه ، فقال له : " ما جاء بك يا عمر " ؟ قال : الجوع يا رسول الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأنا قد وجدت بعض ذلك " ، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري ، وكان رجلاً كثير النخل والشاء ، ولم يكن له خدم ، فلم يجدوه ، فقالوا لامرأته : أين صاحبك ، فقالت : انطلق يستعذب لنا الماء ، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها فوضعها ، ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه ، ثم انطلق بهم إلي حديقته فبسط لهم بساطا ، ثم انطلق إلي نخلة فجاء بقتو ، فوضعه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أفلا تنقيت لنا من رطبه " ؟ فقال : يا رسول الله ! إنني أردت أن تختاروا أو قال تخيروا من رطبه فأكلوا وشربوا من ذلك الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا والذي نفس بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ، ظل بارد ، ورطب طيب ، وماء بارد " فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تذبحن ذات در " فذبح

لهم عناقاً^(١) أو جدياً فأتاهم بها فأكلوا ، فقال النبي ﷺ : " هل لك خادم ؟ " قال : لا ، قال : " فإذا أتاني سبي فأتنا " . " فأتى النبي ﷺ برأسين ليس لهما ثالث ، فأتاه أبو الهيثم ، فقال : النبي ﷺ : " اختر منهما " فقال : يا نبي الله ! اختر لي ، فقال النبي ﷺ : إن المستشار مؤتمن " خذ هذا فإني رأيته يُصلي واستوص به معروفاً " فانطلق أبو الهيثم إلي امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت امرأته : ما أنت ببالحق ما قال : فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه : قال : فهو عتيق ! فقال النبي ﷺ : " إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً ومن يوق بطانة السوء فقد وقى " .

(٢)

انظري أختي المسلمة كيف كانت هذه المرأة العظيمة بطانة صالحة لزوجها حيث أعانته علي تنفيذ وصية رسول الله ﷺ .. بأحسن الوجوه وهو العتق .. فكوني دائماً أختي المسلمة معينة لزوجك علي امتثال أمر الله وأمر رسوله ﷺ .

(١) أي الشاة الحلوب .

(٢) صحيح رواه الترمذي - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي - ورواها لحاكم في المستدرک - كتاب الأطعمة ٤/١٣١ .

فاطمة بنت النبي ﷺ (رضي الله عنها)

عن سويد بن غفلة قال : أصابت علياً رضي الله عنه خصاصة ، فقال : لفاطمة (رضي الله عنها) : لو أتيت النبي ﷺ فسألته ! وكان عند أم أيمن رضي الله عنها ، فدقت الباب ، فقال النبي ﷺ لأم أيمن : " إن هذا لدق فاطمة ، ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها " فقالت : يا رسول الله ! هذه الملائكة طعامها التهليل ، والتسبيح ، والتحميد ما طعامنا ؟ قال : " والذي بعثني بالحق ما اقتبس في بيت آل محمد منذ ثلاثين يوماً ! ولقد أتتنا أعنز ، فإن شئت أمرنا لكي بخمسة أعنز ، وإن شئت علمتك خمس كلمات ، علمنيهن جبريل ، فقالت : بل علمني الخمس كلمات التي علمكهن جبريل ! قال ، قولي : يا أول الأولين ! ويا آخر الآخرين ! ويا ذا القوة المتين ! ويا راحم المساكين ! ويا أرحم الرحمين ! " فانصرفت ، فدخلت علي علياً فقال : ما وراءك ؟ فقالت : ذهبت من عندك للدنيا وأتيتك بالآخرة ، فقال : خير أيامك . كذا في الكنز (١)

(١) حياة الصحابة - باب إيمان الصحابة بالغيب بأخبار النبي ﷺ ٣/٣٩ .

صاح به الناس : يا فرار ! أفررتم في سبيل الله ﷻ ؟ حتى قعد في بيته فما يخرج ، وكان في غزوة مؤتة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه .^(١)

أم كلثوم بنت الصديق (رضي الله عنها)

في ليلة من ذات الليالي، رأت زوجها طلحة بن عبيد الله مهموما لم ينم ليلته ، وكان غنيا ، فسألته عما أهمه ؟ فقال لها : أتاني من حضرموت سبعمائة ألف درهم ، فتفكرت منذ الليلة ، فقلت ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته ؟ قالت فأين أنت عن بعض أخلانك وأصحابك ؟ فإذا أتى الصباح فادع بجفان وقصاع (أواني) وقسمه بينهم ، فقال لها : رحمك الله ! إنك موفقة بنت موفق .. فلما أصبح دعا بجفان ووضع فيها المال ، فقسمه بين المهاجرين والأنصار ، ولم يكد يترك لبيته شيئا ، فقالت : له أبا محمد أما كان لنا في هذا المال من نصيب ؟ فقال أين أنت منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقي، قالت: فما بقي إلا صرة فيها نحو ألف درهم^(٢).

الشفاء بنت عبد الله (رضي الله عنها)

أخرج الطبراني والبيهقي: عن الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ أسأله ، فجعل يعتذر إليّ وأنا ألومه ، فحضرت

(١) مستدرک الحاكم ٤٢/٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٠/١ .

الصلاة فخرجت ، فدخلت علي ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه ، فوجدت شرحبيل في البيت فقلت : قد حضرت الصلاة وأنت في البيت ! وجعلت ألومه فقال : يا خاله ! لا تلوميني ، فإنه كان لي ثوب فاستعاره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : بأبي وأمي ! كنت ألومه منذ اليوم وهذه حاله ولا أشعر ، فقال شرحبيل : ما كان إلا درع رقعناه . كذا في الترغيب ^(١) .

عمرة امرأة حبيب العجمي

ذكر الإمام ابن الجوزي :

أن عمرة امرأة حبيب العجمي، انتبهت ليلة وهو نائم، فنبهته في السحر، وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا ونحن قد بقينا.

سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد :

عن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أتت سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو امرأة أبي رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه علي أبي رافع

(١) حياة الصحابة - باب تحمل قلة الشباب في الدعوة إلى الله ٣١٠/١ .

قد ضربها ، قالت : قال رسول الله ﷺ لأبي رافع : " مالك ولها " ؟ قال :
تؤذيني يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ ! " بم آذيته يا سلمى " ؟ قالت
: ما آذيته بشيء ، ولكنه أحدث وهو يصلي ، فقلت له : يا أبا رافع ، إن
رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ ، فقام
فضربني ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول " يا أبا رافع ، إنها لم تأمرك
إلا بخير " .

رَيْطَةُ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ

ريطة بنت عبد الله بن معاوية الثقفية، امرأة عبد الله بن مسعود، ويقال:
رائطة. قيل: إنها زينب، وإن رائطة لقب لها. وقيل: ريطة زوجة أخرى له،
وهي أم ولده.

أخبرنا يحيى إجازة بإسناده عن ابن أبي عاصم: حدثنا محمد بن
إسماعيل، حدثنا ابن أويس، أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن
الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله عن رائطة امرأة عبد الله بن مسعود أم
ولده وكانت امرأة صناعا، وليس لعبد الله بن مسعود مال، فكانت تنفق عليه
وعلى ولده من ثمن صنعتها فقالت: والله لقد شغلتنى أنت وولدك عن
الصدقة! فقال: ما أحب إن لم يكن لك أجر أن تفعلي. فسألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة ذات صنعة فأبيع، وليس لي ولا لولدي ولا

لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق، فهل لي في النفقة عليهم من أجر! فقال: " لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم ". أخرجه الثلاثة^(١).

صاحب اللقطة وزوجته

كان بمكة رجلا فقيراً، وله زوجة سالحة، فقالت له يوماً ما عندنا قوت ، فخرج إلي الحرم ، فوجد كيساً به بعض الدنانير ، ففرح بذلك وجاء به إلى زوجته ، وقال : كيس وجدته ملقى بالحرم فالتقطته ، فقالت له زوجته : لقطة الحرم لا بد لها من التعريف .. فخرج فسمع منادياً ينادي : من وجد كيساً فيه دنانير عدته كذا وصفته كذا ، فقال الرجل : أنا وجدته ، وها هو ذا بصفته وهيئته ، فقال : هو لك ، ومعه تسعمائة أخرى ، فقال : أتهدأ بي . قال : لا والله ، ولكن أعطاني رجل من العراق ألف من الدنانير ، وقال : اطرح بعضها في الحرم ، ثم ناد عليها ، فإن ردها إليك من وجدها ، فادفع إليه الجميع ، فإنه أمين ، والأمين يأكل ويتصدق ، فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته .

(١) قال ابن الأثير: وهذه القصة قد وردت عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود، ويرد الحديث في زينب إن شاء الله تعالى. وروي عن عروة، عن عبد الله بن عبد الله الثقفي، عن أخته رائطة وروي عن عروة، عن ربيعة (أسد الغابة في معرفة الصحابة - كتاب النساء - حرف الراء - ربيعة بنت عبد الله).

نساء يشجعن الرجال في اليرموك

يروى : أن بعض الجنود في معركة اليرموك ، تأخرن للوراء حتى وصلوا

إلى صفوف النساء ، علمت النساء أن هؤلاء الرجال هربوا من صفوف القتال ، فقلن بصوت جهوري : أيها الرجال : أين تذهبون وأنتم تهربون ، وإلى أي جهة من جند الله تنزؤون ، إن الله مطلع على أحوالكم فاتقوه ، ثم إن هند زوجة أبي سفيان أخذت عمود الخيمة وخرجت به على رأس فرس زوجها ، وقالت : يا ابن صخر ؟ ارجع إلى محاربة العدو واجعل نفسك فداء في سبيل الحصول على رضا الله تعالى حتى يغفر لك ذنوبك التي سبقت منك ، واذكر الأيام التي كنت فيها تحرض الناس على خلاف رسول الله ﷺ وتساعد الكفار والمشركين على محاربتة ، عندها رجع وحارب وأبلى بلا أحسنا في المعركة .

رجل من بني إسرائيل وامرأته

حكى : أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وله زوجة دينية تقيّة ذات

رأي وحزم فأوحى الله تعالى إلى نبي الزمان أن قل لذلك العبد الصالح أني قدرت له أن يمضي نصف عمره بالغنى ونصفه بالفقر فإن اختار أن يكون

غناه في شببته اغنيناه وإن اختار أن يكون في شيخوخته قدرنا له ذلك فيسرناه له.

لما أعلم الرجل ذلك أخبر به زوجته وقال لها قد جاء خطاب من الله تعالى وقص عليه ما سمعه وقال لها ما تريد فقالت له الاختيار إليك فقال الرجل: قد رأيت الفقر في الشببية فإذا كنت شاباً فقيراً احتملت وصبرت عليه فإذا صرت كبيراً غنياً كان لي ما أتقوت به وأشتغل بطاعة ربي وعبادته فقالت المرأة أيها الرجل: إذا كنا في الشببية في ضنك ولم نقدر على طاعة ربنا تعالى ولم تصل أيدينا إلى فعل الخيرات وإعطاء الصدقات فالواجب أن تختار الغنى في زمان الشباب فيكون لنا شباب وبنى وطاعة، فنقدر حينئذ على عبادته بأجسامنا وأموالنا، فقال الرجل: نعم ما رأيت وكذلك نفعل فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان، فقال قل: لذلك الرجل إذا آثرت طاعتنا واستفرغت جهدك في عبادتنا واتفقت نيتك ونية زوجتك على طاعتنا، فقد قضيت وقدرت أن أقضي جميع عمرك في الغنى وكن أنت وزوجتك على عبادتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا والآخرة (١).



(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك.

نساء يراقبن الله جَلَّالَهُ

ابنة بائعة اللبن

أم عاتة بنت سفيان بن عبد الله الثقفي

كان من عادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يطوف بالليل في شوارع المدينة المنورة ليتفقد أحوال رعيته ، وفي ذات ليلة كان يسير ومعه مولاه " أسلم " فلما طال به المطاف استند إلى جدار بيت في جوف الليل ، وإذا به يسمع امرأة داخل البيت تقول لابنتها : يا ابنتاه ، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء (أي اخلطيه) ، فإنك قد أصبحت ! فقالت البنت : أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت الأم : وما كان من عزمته يا بنيتي ؟

قالت البنت : لقد أمر مناديه فنادي في الناس ألا يشاب (أي يخلط) اللبن بالماء . فقالت الأم : قومي يا بنيتي إلى اللبن فامذقيه بالماء.. فإنك بموضع لا يراك فيه عمر، ولا منادي عمر ! . فقالت البنت: يا أماء، والله ما كنت لأطعمه في الملاء وأعصيه في الخلاء، وإن كان عمر لا يري، فرب عمر يري !، والله ما كنت لأفعله وقد نهى عنه . وهمس عمر إلي (أسلم) بأن يعرف المكان ويميز البيت ، ولما أصبح الصباح ، قال لأسلم : امضي لذلك الموضع

فانظر من القائلة ومن المقول لها ، وهل لها بعل (أي زوج) . يقول أسلم :
 فأتيت الموضع ، فنظرت فإذا الجارية أيم ، لا رجل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا
 ليس لها رجل .. فأنت عمر بن الخطاب فأخبرته . وجمع عمر أولاده ،
 وأخبرهم الخبر وعرض عليهم الزواج من هذه البنت ، وان لم يتزوجها منهم
 أحد تزوجها هو ﷺ .. فقبل عاصم فزوجه .. فولدت له بنتا سموها " أم
 عاصم " .. وتزوجت أم عاصم عبد العزيز بن مروان وأنجبت له عمر بن
 عبد العزيز ... من هنا تحققت رؤيا عمر بن الخطاب .. فقد استيقظ من
 نومه ، فمسح النوم عن وجهه . وهو يقول : " من هذا الذي من ولد عمر ،
 يُسمى عمر ، يسير بسيرة عمر !

وفي رواية : كان يقول : لبيت شعري ، من ذو الشج من ولدي الذي يملأ
 الأرض عدلا كما ملأت جورا . (١)

فهذه البنت الفقيرة بسبب صلاحها تتزوج " عاصم بن أمير المؤمنين عمر
 بن الخطاب " وكان من ثمار صلاحها عمر بن عبد العزيز .. الذي بسبب
 عدله اصطلح الذئب علي الغنم .. فهل لنا فيها أسوة ؟

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٩٢/٤ .

امرأة مؤمنة خرج زوجها في الجهاد

أخرج عبد الرازق عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدق أن عمر (رضي الله عنه) بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقتى أن لا حبيب لأعبه
فلولا حذار الله لاشئ مثله^(١) لززع من هذا السرير جوانبه

فقال لها عمر رضي الله عنه : مالك ؟ قالت : أعربت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه . قال : أردت سوءاً . قالت : معاذ الله ! قال : فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه فبعث إليه ؛ ثم دخل على حفصة (رضي الله عنها) فقال : إنى سائلك عن أمر قد أهمني فأفرجيه عني ، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت، قال : فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة.. فكتب عمر رضي الله عنه : أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر كذا في الكنز .^(٢)

وهذه القصة دليل قوى على شدة مراقبتها لله عز وجل.

(١) وفي تفسير ابن كثير: فوالله لولا الله أني أراقبه (مختصر تفسير ابن كثير ٢٠١/١).

(٢) حياة الصحابة - باب الجهاد - ٤٥٨/١ .

المرأة البدوية

تعلق قلب رجل بامرأة بدوية، وقد ذهبت ذات ليلة إلى حاجة لها فتبعها الرجل، فلما خلا بها في البادية، والناس نيام حولهما، راودها عن نفسها، فقالت له: انظر أنام الناس جميعا؟ ففرح الرجل، وظن أنها قد أجابته إلى ما ابتغى، فقام وطاف حول مضارب الحي، فإذا الناس نيام، فرجع مسرورا وأخبرها بخلو المكان إلا من النيام، فقالت: ما تقول في الله تبارك وتعالى، أنائم في هذه الساعة؟ قال الرجل: إن الله لا ينام ولا تأخذه سنة. فقالت المرأة: إن الذي لم ينام ولا ينام، يرانا، وإن كان الخلق لا يروننا، فذلك أولى أن يخاف، فاتعظ الرجل وتركها وتاب خوفا من الله تعالى.. ولما مات رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي لخوفي منه وتوبتي إليه.

قصة أخرى

يقال أنه اراد رجل فاسق أن يكابر امرأة عفيفة فقال لها امضي وغلقي أبواب الدار جميعها، واحكمي إغلاقها فمضت المرأة ثم عادت، فقالت: قد أغلقت سائر الأبواب وأوثقت إغلاقها سوى باب واحد، فقال: أي الأبواب ذلك الباب، فقالت: تلك الأبواب التي بيننا وبين الخلق قد أغلقتها، وقد بقي الباب الذي بيني وبين الخالق جلت عظمتة ما قدرت عليه، ولا استطعت أن أغلقه،

وهو بحاله مفتوح، فوقع في نفس هذا لرجل من هذا الكلام الهيبه فاخلص لله
التوبه وأقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الأعلى.



ورعات

ورع أم المؤمنين

عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها)

عن عبد الله بن عباسٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ فَقَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَقُلْتُ لَهَا يَا حَفْصَةُ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَأُحِبُّكَ وَلَوْ أَنَا لَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ فَقُلْتُ لَهَا أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ هُوَ فِي خِرَانَتِهِ فِي الْمَشْرَبَةِ فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحِ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكَفَةِ الْمَشْرَبَةِ مُدْلٍ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ وَهُوَ جَذَعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ فَنَادَيْتُ يَا رَبَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ يَا رَبَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي

عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ يَا رَبَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ وَاللَّهِ لَئِنِ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا وَرَفَعْتُ صَوْتِي فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ أَرْقَهُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى إِلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ فَظَنَنْتُ بِبَصْرِي فِي خِرَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلَهَا قَرِظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ قَالَ فَايْتَدِرْتُ عَيْنَايَ قَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِرَانَتُكَ لَأَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَلِكَ قَيْصَرٌ وَكِسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِرَانَتُكَ فَقَالَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا قُلْتُ بَلَى قَالَ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَشِقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ فَإِنِ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللَّهِ بِكَلَامِ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ قَالَ لَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى يَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقَهُنَّ قَالَ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ فَلَمْ أَزَلْ أَحَدُثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ وَحَتَّى كَثُرَ فَضْحُكَ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلَتْ فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّهُ بِالْجِدْعِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمْسُهُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كُنْتُ فِي الْعُرْفَةِ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ قَالَ إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ (١)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يُسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ قَالَ فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا قَالَ فَقَالَ لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَّأْتُ عُنُقَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا

(١) الكتب « صحيح مسلم » كتاب الطلاق « باب ب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله

تَعَالَى وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ رَقْم ١٤٧٩ .

فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا كِلَاهُمَا يَقُولُ تَسَأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ
عِنْدَهُ فَقُلْنَا وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ
شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكِ
حَتَّىٰ بَلَغَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا قَالَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ إِنِّي
أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّىٰ
تَسْتَشِيرِي أَبِيكَ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ قَالَتْ أَفِيكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبِيَّ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ
لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتَ قَالَ لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا
أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا مُتَعْتَنًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا
مُيسِّرًا. رواه مسلم^(١)

وعن الزُّهْرِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِ شَهْرًا ،
قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : لَمَّا
مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً أَعْدَهُنَّ ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : بَدَأَ بِي
، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ

(١) صحيح مسلم _ كتاب الطلاق _ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية _ رقم

تِسْعَ وَعِشْرِينَ أَعْدُهُنَّ ، فَقَالَ : " إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعُ وَعِشْرُونَ " رواه مسلم (١) .

ما أورعك أيتها التقية النقية العفيفة، مع شوقك لحبيبك محمد ﷺ ، تذكيرنه بيمينه، حيث جاء قبل مياعده بيوم.. إنه قوة الإيمان واليقين وشدة الورع غما يغضب الله عز وجل.

ورع أم المؤمنين

زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

قالت عائشة (رضي الله عنها) : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري (٢)، فقال : "يا زينب ما علمت وما رأيت" ؟ فقالت: يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري، والله ! ما علمت عليها إلا خيرا . قالت: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع . متفق عليه . (٣)

المتأمل يجد الصدق .. الإخلاص .. التقوي .. الورع .. الحب .. حفظ اللسان .. وفيمن ؟ في ضررتها ، فكم من امرأة فرحت بما يقال عن ضررتها ،

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الصِّيَامِ » بَابُ الشَّهْرِ يُكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ _ رقم الحديث: ١٨٢٠ .

(١) أي في حديث الإفك .

(٢) انظر الحديث بطوله في صحيح مسلم شرح التقوى ١١٢،/١٧

وقامت بترويجه وإشاعته، وتنتظر طلاقها ليخلو لها الجو، وتحظي بزوجهما وحدها.

فما كان من عائشة (رضي الله عنها) بعد أن سمعت من قول زينب فيها إلا أن ترد لها الجميل وتشهد لها بحب رسول الله ﷺ لها ومكانتها عنده ، فتقول : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ .. بل كررت هذه الشهادة وهي تروي لنا قصة اجتماع نساء النبي ﷺ يسألنه العدل في ابنة أبي قحافة ، لأن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون مرضاة رسول الله ﷺ فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي كانت تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقي الله ، وأصدق حديثا وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به ، وتقرب به إلى الله تعالى ، ماعدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفئدة.... الخ الحديث. متفق عليه. (١)

(١) انظر صحيح مسلم شرح النووي _ باب فضائل أم المؤمنين عائشة ٢٠٥/١٥ .

ورع المرأة الدمشقية

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : باعت امرأة (طشت) ، في سوق الصفر (النحاس) بدمشق فوجده المشتري ذهباً فقال لها : أما إني لم أشره إلا علي أنه صفر (نحاس) وهو ذهب فهو لك : فقالت : ما ورثناه إلا علي أنه صفر (نحاس) ، فإن كان ذهباً فهو لك ، فاختصما إلى الوليد بن عبد الملك ، فأحضر رجاء بن حيوة ، فقال : انظر فيما بينهما .. فعرضه رجاء علي المرأة ، فأبت أن تقبله ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطها ثمنه واطرحه في بيت المسلمين .. هذه القصة دليل علي ورع المرأة وتقواها حيث أنها لم تقبل الذهب مع أنه ملكها ورثته ، كما أشارت إلي ذلك في قولها " ما ورثناه إلا علي أنه صفر " .. ودلت علي ورع الرجل أيضا .

وهذه القصة شبيهة جدا بما حدث فيمن كان قبلنا ، كما في الحديث المتفق عليه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اشترى رجل من رجل عقاراً ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك ، إنما اشتريت منك الأرض ولم اشتر الذهب ، قال الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما

إليه : ألكم ولد ؟ قال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية . قال :
 أنكحوا الغلام الجارية وأنفقا علي أنفسكما منه وتصدقا " (١)
 وعندما كنت أقرأ هذا الحديث ، أقول في نفسي هذا الخبر يحكيه لنا النبي
 ﷺ عن كان قبلنا.. أليس في أمتنا (خير أمة أخرجت الناس) مثل هذه
 الصفات التي وجدت في هذان الرجلان ، فعندما قرأت هذه القصة يعلم الله ﷻ
 كم ملء قلبي من الفرحة ، أن وجدت في أمة محمد ﷺ من يفعل هذا الفعل .

ورع

أخت بشر الحافي (رحمها الله)

يروى أن أخت بشر الحافي ذهبت إلى الإمام أحمد فقالت : إنا قوم نغزل
 بالليل ومعاشنا منه ، وربما يمر بنا مشاعل الظاهرية – حرس بني ظاهر
 ولاة بغداد – ونحن علي السطح فنغزل في ضوءها الطاقة والطاقتين ، أفتحله
 لنا أم تحرمه؟! فقال لها : من أنت ؟ قالت: أخت بشر .. فقال : آه ، يا آل
 بشر لا عدمتكم.. لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم .. ! ويروى أن

(١) رياض الصالحين – باب المنثورات والملح ص ٦٢٠ .

أحمد رحمه الله - بكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق.. لا تغزلي في شعاعها .^(١)

قمة الروعة في الورع

ورع ضرتين

يقول ابن الجوزي (رحمه الله) :

بلغني أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة، فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية ، فالتمست منه شيئاً تشتريه ، فبينما هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك فتحير ، وقال : قد تحيرت والله مما رأيت ! فقالت : ما جئت لأشتري شيئاً ، إنما لي أيام أتردد إلي السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه ، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال ، فهل لك بالتزوج بي؟ فقال لها : لي ابنة عم ، وهي زوجتي وقد عاهدتها ألا أغيرها ، ولي منها ولد ، فقالت : قد رضيت أن تجئ إلي في الأسبوع نوبتين ، فرضي ، وقام معها ، فعقد العقد ، ومضى إلي منزلها فدخل بها .

(١) انظر القصة في صفة الصفوة لابن الجوزي - وقد رويت من وجه آخر كما في البداية والنهاية لابن كثير .

ثم ذهب إلي منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده، ومضي فبات عندها.. وكان يمضي كل يوم الظهر إليها.. فبقي علي ذلك ثمانية أشهر.. فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟ فتبعته الجارية، فجاء إلي الدكان، فلما جاء الظهر قام، وتبعته الجارية، وهو لا يدري، إلي أن دخل البيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلي الجيران، فسألتهن لمن هذه الدار، فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز، فعادت إلي سيدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد.. ولم تظهر لزوجها شيئاً.. فأقم الرجل تمام السنة، ثم مرض ومات.. وخلف ثمانية آلاف دينار.. فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلي ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها، وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس، واذهبي إلي بيت المرأة واعلميها أن الرجل مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار وقد أخذ الإبن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف، وقسمتها بيني وبينك وهذا حقك وسلميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب، ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلي سيدتك، وسلمي عليه مني وأعلميها أن الرجل

طلقتي، وكتب لي براءة، وردي عليها المال، فإني ما أستحق في تركته شيئاً ، فرجعت الجارية إلي سيدتها فأخبرتها . (١)

ورع امرأة

من آل بيت النبوة رضوان الله عليهم

عن عطاء بن السائب قال : أوصى إلي رجل من أهل الكوفة في تركته وذكر أنه مولي لآل علي بن أبي طالب فقدمت المدينة فدخلت علي أبي جعفر (محمد بن علي) فقال: ما أعرفه، ودلني على أخته (أم كلثوم بنت علي) فإذا عجوز علي سرير في بيت رث ، فإذا في البيت سقاء معلق، فجعلت أقلب بصرى في البيت ، فقالت: يا بني ! لا يحزنك ما تري فأنا بخير، قلت أوصي إلي رجل بتركته، وذكر أنه مولي لكم، قالت ما أعفه وإن مولي لنا يقال له هرمز أو كيسان أخبرني أن رسول الله ﷺ قال: " يا كيسان إن آل محمد لا يأكلون الصدقة ، وإن مولي القوم من أنفسهم ، فلا تأكلها "

أختي المسلمة : تأملي وأنت تقرئين هذه القصة فإنك ستجدين الرضا والقناعة .. والورع والتقوي .. فتأملي وتأسي.

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ٢٤٦ .

ورع

أم الدحداح (رضي الله عنها)

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: أعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبي، قال: فأتاه أبو الدحداح (رضي الله عنه) فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل، فأتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له فقد أعطيتها، فقال: "كم من عزق رداح لأبي الدحداح في الجنة" قالها مرارا، قال: فأتي امرأته فقال: يا أم الدحداح! أخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

قَرَضًا حَسَنًا} (١) قال أبو الدحداح: يا رسول الله أو إن الله تعالى يريد منا القرض؟ قال: "نعم يا أبا الدحداح قال: أرني يدك؛ قال فناوله؛ قال: فإني أقرضتُ الله حائطاً فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أم الدحداح؛ قالت: لبيك؛ قال: اخرجي، قد

(١) سورة البقرة - الآية ٢٤٥.

أقرضتُ ربي عز وجل الحائط. قالت أمُّ الدَّحاح: ربح ببيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أقبلت على صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم؛ حتى أفضت إلى الحائط الآخر (١).

الله أكبر ! ما أجمل هذه العبارة : (ربح ببيعك.. بارك الله لك فيما اشتريت) والذي أجمل من قولك فهو فعلك (ثم أقبلت على صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم؛ حتى أفضت إلى الحائط الآخر).
القول: (ربح ببيعك) يدل علي قوة الإيمان بالغيب ورؤية القلب ما عند الله في جنته من النعيم.

والفعل: إخراج التمر من أفواه صبياتها قمة الورع.
والله يعجز لساني عن أن يعبر عن عظمة هذه المرأة.
ماذا نوبنا؟!!!!!!.



(١) تفسير القرطبي - الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

مخلصات

المرأة التي سقت الكلب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدُ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَزَعَتُ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَّتْهُ إِيَّاهُ ، فَعُفِّرَ لَهَا بِهِ " متفق عليه . (١).

وفي صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: " غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَعُفِّرَ لَهَا بِذَلِكَ (٢).

هذه المرأة مع ارتكابها لهذه الكبيرة " الزنا " وإصرارها عليها حيث أن هذه الكبيرة " الزنا " ديدنها ، إلا أن الله ﷻ غفر لها ، بماذا ؟ بشفتها علي مخلوق من خلق ﷻ .. إنها لم تسقى نبيا .. أو صالحا .. أو مجاهدا في سبيل الله .. بل لم تسقى إنسانا .. إنها سقت كلبا . بهذا العمل البسيط

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ السَّلَامِ » بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهِ... رقم الحديث: ٤١٧١.

(٢) صحيح البخاري « كِتَابُ الْحَجِّ » أَبْوَابُ الْمُحْصَرِّ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ _ رقم ٣٠٩٥.

المملوء بالإخلاص، فالله ﷻ غفر لها وأدخلها جنته ، ولعل من ثواب هذا العمل في الدنيا أن رزقها الله ﷻ التوبة النصوح .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): حول حديث المرأة التي سقت الكلب والرجل الذي أخط الأذى عن الطريق: "فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا ليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك.

فإن الإيمان يتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص^(١).



(١) منهاج السنة ٦/٢٢١ .

زبيدة والبر

أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور

وهي: ابنة جعفر أم العزيز الملقبة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور، العباسية الهاشمية القرشية، كانت أحب الناس إلى الرشيد، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر، وكان له معها من الحظايا والجواري والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته، وإنما لقت زبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول: إنما أنت زبيدة، لبياضها، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به، وأصل اسمها: أم العزيز. وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كثير. نشأت الأميرة زبيدة في قصر جدها الخليفة أبو جعفر المنصور فرأته وهو يؤسس الدولة العباسية، فتعلمت منه القيادة والمبادرة وهي ما زالت في سن صغيرة.

فلما صارت شابه تزوجها ابن عمها هارون الرشيد، فأحبها كثيراً، وبنى لها قصراً جميلاً بالقرب من قصره، فلما دخلت قصرها في أول ليلة، ورأت أن عدد الجواري اللاتي يخدمنها مائة جارية كلفت كل واحدة منهن بقراءة جزء من القرآن، وصار يُقرأ في منزلها القرآن كاملاً كل ليلة.

وعندما حجّت مع زوجها هارون فرأت الحجاج يبحثون عن الماء في الحر ولا يجدونه!!!.

فما أن رجعت إلى مدينتها بغداد حتى نادى كبير المهندسين قائلة له:
احفر لي نهراً جارياً في مكة.

استغرب كبير المهندسين الفكرة.. فكيف يبني نهراً جارياً في صحراء قاحلة.. وإن استطاع أن يفعل فسيكلفه الأمر كثيراً.. فقال لها مثنياً عزمها عن الفكرة: إن الأمر سيكلفك كثيراً.. فردت عليه كلمتها الخالدة: افعل.. ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً.

وأمام كل هذا العزم والإصرار، لم يجد كبير المهندسين مفرّاً من تنفيذ الفكرة فأخذ العمال، وحفر الآبار، وكسّر الجبال، وفتت الصخور، فأخرج من الآبار مياهاً تجري على سطح الأرض صارت تسقي الحجاج مئات السنوات ولم يتوقف دور الأميرة زبيدة في التأثير عند هذا الدور، بل أمرت العمال ببناء الاستراحات على امتداد الطريق من بغداد إلى مكة.

وصار الحاج والمسافر لا يشعر بالوحشة، لأن الاستراحات قد ملأت الطريق.

وسُمي هذا الطريق باسمها طريق زبيدة ولما بلغها معاناة الناس في مكة وتحملهم المشاق في بلد الله الحرام بسبب قلة المياه وارتفاع أسعارها أمرت في البداية ببناء بركة بمكة المكرمة وجلبت إليها مياه عين من داخل حرم مكة المكرمة إلا أن ماءها كان قليلاً ولم يف باحتياجات السكان.

وحيئنذ أمرت زبيدة جماعة من المهندسين بجلب مياه العيون من خارج حدود حرم مكة المكرمة واىصال مياهها إلى داخل منطقة الحرم وبعثت بأموال طائلة لتحقيق هدفها وعلى هذا فقد أخذت الأعمال على طريقين هما عين حنين وعين عرفة وقد غلب اسم «زبيدة» على العين الأولى.

ولا تزال آثار هذا المشروع الخيري قائمة منذ مئات السنين حتى يومنا هذا مشروع عين زبيدة الأثري والذي يمتد من أعالي جبال الكر بوادي نعمان بالقرب من الطائف حتى مكة والذي كان له الأثر الكبير في سقيا أهالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام بالمياه العذبة، بعد أن عانت هذه المدينة المقدسة من شح المياه ما عانت نتيجة جفاف مياه الآبار ورغم قلة الإمكانيات والأيدي الهندسية الماهرة المؤهلة والمدربة، إلا ان السيدة زبيدة استطاعت برجالها العاملين المخلصين أن ينفذوا هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم التكنولوجيا من تطور وتقدم، لاسيما في قدرة العاملين آنذاك في سحب المياه عبر تلك المسافات الطويلة التي تمتد لمئات الكيلومترات وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وصحاري فعملوا المناسيب المناسبة لمجرى العين والخرزات والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الاتسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشاعر المقدسة منى وعرفات ومزدلفة ولا تزال آثار

القنوات المائية والخرازات قائمة إلى اليوم في سفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور آلاف السنين عليها.

بعد ذلك، اتجه المهندسون والعمال إلى منطقة عين حنين التي اشترت زبيدة بساتينها وأبطلوها وأنشأوا في موضع ذلك سداً لاجتماع السيول المغذية بمياهها لتلك المنطقة وجلبوا المياه عبر القنوات إلى مكة المكرمة وكان ذلك في عام ١٩٤هـ الموافق ٨٠٩هـ وتقدر المسافة من المنطقة التي بها موضع نبع عين إلى المسجد الحرام بحوالي ٤١ كم وقد تم بناء القناة بأحجار البازلت واستخدمت النورة في تكوين خليط المونة للصق أحجار البناء وعملت انفاق في المناطق الجبلية والتي يصعب إزالتها وقد مرت على القناة أعمال اصلاح وترميم في العصور الإسلامية المختلفة إلى ان توقفت مياهها الرئيسية في بداية القرن الرابع عشر للهجرة.

وقال الخطيب: قال عبد الله بن المبارك: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة. قلت: فما هذه الصفرة؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له: بشر المريسي زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

وبعد أن ماتت، رآها أحد أبنائها، فقال لها: كيف حالك يا أماه؟، قالت: غفر الله لي وأدخلني الجنة. فقال: لها بأي شيء يا أماه: قالت: بركعات كنا نُصليها في جوف الليل. قال: والبئر، يا أماه! قالت: إنا وجدناه لغير الله.

وورد أنها رؤيت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر.

المرأة والملك والمسجد

يحكي أن أحد الملوك أراد أن يبني مسجدا ويسميه باسمه، ليخلد اسمه ، فأمر بلوح من رخام وكتب عليه اسمه ، ثم بدأ في البناء ومنع قبول النفقة والمال والمساعدة من الناس ، فما أن تم البناء ، فنام ذات ليلة من الليالي ، فإذا به يرى ملكا من السماء ينزل ويمحو اسمه من علي اللوح ويكتب اسم امرأة ، فاستيقظ مفزوعا وقص علي من حوله الرؤيا ، فقالوا: إنما هي أضغاث أحلام قال : بل اذهبوا وانظروا إلى اللوح ، فذهبوا ثم رجعوا . وقالوا : وجدنا اسمك مكتوب كما هو .. ثم في الليلة الثانية رأى نفس الرؤيا ، وفعل مثل ما فعل في الليلة الأولى ، وفي الليلة الثالثة رأى نفس الرؤيا ، وقد حفظ اسم المرأة ، فقال لمن حوله من الخاصة اذهبوا واسألوا عن اسم هذا المرأة ثم اتوني بها ، فذهبوا وبحثوا عنها ثم أتوا بها ، فسألها: هل ساهمت بشيء في بناء هذا المسجد، قالت: لا. قال: تذكري. فقالت: والله ! ما ساهمت بشيء إلا أنني مررت بهذا المسجد وهو يبني فرأيت الدابة التي يحمل عليها اللبن لهذا المسجد مربوطة وبالقرب منها الماء وهي تنظر إليه،

فقربت إليها الماء فشربت فقال: أنت فعلت هذا الفعل لله وأنا بنيت المسجد
لغير الله (حتى يخلد اسمي) وأمر أن يُمحي اسمه من علي المسجد ثم يكتب
اسمها .



عفيفات

مريم عليها السلام

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ
تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ
أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ
نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا * وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا *

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي
نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١﴾

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّةَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ أُوْجِدَ مِنْهُ ، فِي حَالِ كِبَرِهِ
وَعَقْمِ زَوْجَتِهِ - وَوَلَدًا زَكِيًّا طَاهِرًا مُبَارَكًا - عَطَفَ بِذِكْرِ قِصَّةِ مَرْيَمَ فِي إِجَادِهِ
وَلَدَهَا عِيسَى ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَبِي ، فَإِنَّ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ مُنَاسِبَةٌ
وَمُشَابَهَةٌ ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَهُمَا فِي آلِ عِمْرَانَ وَهَاهُنَا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، يُقْرَنُ
بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ لِقَرَابِ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى ، لِيُذَلَّ عِبَادُهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظْمَةِ
سُلْطَانِهِ ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ .

قَالَ { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ } وَهِيَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، مِنْ
سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ مِنْ بَيْتِ طَاهِرٍ طَيِّبٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .
وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ وِلَادَةِ أُمِّهَا لَهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، وَأَنَّهَا
نَذَرَتْهَا مُحَرَّرَةً ، أَي: تَخَدُّمُ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ
﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (٢) .

وَنَشَأَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ نَشَأَةً عَظِيمَةً ، فَكَانَتْ إِحْدَى الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ
الْمَشْهُورَاتِ بِالْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتَّبَتُّلِ ، وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ زَوْجِ أُخْتِهَا - وَقِيلَ:

(١) سورة مريم - الآيات من ١٦ : ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٣٧ .

خَالَتْهَا - زَكَرِيَّا نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ ذَاكَ وَعَظِيمِهِمْ ، الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ .

وَرَأَى لَهَا زَكَرِيَّا مِنَ الْكِرَامَاتِ الْهَائِلَةِ مَا بَهَّرَهُ، ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).
فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا ثَمَرَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَثَمَرَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ - أَنْ يُوجِدَ مِنْهَا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَحَدَ الرُّسُلِ أُولِي الْعِزْمِ الْخَمْسَةِ الْعِظَامِ، { انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا } أَي: اعْتَزَلَتْهُمْ وَتَحَتَّ عَنْهُمْ، وَذَهَبَتْ إِلَى شَرْقِ الْمَسْجِدِ الْمُقَدَّسِ، وَقَالَ نَوْفُ الْبِكَالِيِّ: اتَّخَذَتْ لَهَا مَنْزِلًا تَتَعَبَّدُ فِيهِ .

وَقَوْلُهُ : فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ، أَي: اسْتَنْتَرَتْ مِنْهُمْ وَتَوَارَتْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } أَي: عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ تَامٍ كَامِلٍ .

{ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا } أَي: لَمَّا تَبَدَّى لَهَا

الْمَلَكُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، وَهِيَ فِي مَكَانٍ مُنْفَرِدٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْمِهَا حِجَابٌ، خَافَتْهُ وَظَنَّتْ أَنَّهُ يُرِيدُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: { إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ

إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا } أَي: إِنْ كُنْتُ تَخَافُ اللَّهَ (تَذَكِيرٌ لَهُ بِاللَّهِ)، وَهَذَا هُوَ

الْمَشْرُوعُ فِي الدَّفْعِ أَنْ يَكُونَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، فَخَوَّفَتْهُ أَوَّلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو

وَائِلٍ - وَذَكَرَ قِصَّةَ مَرْيَمَ - فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ { إِنِّي

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ } {

فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ مُجِيبًا لَهَا وَمَزِيلاً مَا حَصَلَ عِنْدَهَا مِنَ الْخَوْفِ عَلَى نَفْسِهَا:

لَسْتُ مِمَّا تَظُنِّينَ، وَلَكِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ، أَي: بَعَثَنِي إِلَيْكَ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا لَمَّا

ذَكَرَتْ الرَّحْمَنَ انْتَفَضَ جِبْرِيْلُ فَرَقًا وَعَادَ إِلَى هَيْبَتِهِ وَقَالَ: { إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ لِيَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا } هَكَذَا قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ أَحَدُ

مَشْهُورِي الْقُرَاءِ . وَقَرَأَ الْآخَرُونَ { لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا } وَكَلِمَا

الْقِرَاءَتَيْنِ لَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ، وَمَعْنَى صَحِيحٌ، وَكُلُّ تَسْتَلْزِمٍ الْآخَرَى .

فأنكرت { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ

بَغِيًّا } أَي : فَتَعَجَّبَتْ مَرِيَمٌ مِنْ هَذَا وَقَالَتْ : كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ؟ أَي : عَلَى

أَيِّ صِفَةٍ يُوجَدُ هَذَا الْغُلَامُ مِنِّي ، وَلَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنِّي الْفُجُورُ

؛ وَلِهَذَا قَالَتْ { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } وَالْبَغِيُّ : هِيَ

الزَّانِيَةُ ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : نَهَى عَنْ مَهْرِ الْبَغِيِّ .

{ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ } أَي : فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ مُجِيبًا

لَهَا عَمَّا سَأَلَتْ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ : إِنَّهُ سَيُوجَدُ مِنْكَ غُلَامًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بَعْلٌ

وَلَا تُوجَدُ مِنْكَ فَاحِشَةٌ ، فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : { وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً

لِلنَّاسِ } أَي : دَلَالَةً وَعَلَامَةً لِلنَّاسِ عَلَى قُدْرَةِ بَارئِهِمْ وَخَالِقِهِمْ ، الَّذِي نَوَّعَ فِي

خَلْقِهِمْ ، فَخَلَقَ أَبَاهُمْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى ،

وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الذَّرِّيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، إِلَّا عِيسَى فَإِنَّهُ أَوْجَدَهُ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ ،

فَتَمَّتِ الْقِسْمَةُ الرَّبَاعِيَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ

وَلَا رَبَّ سِوَاهُ .

وَقَوْلُهُ : { وَرَحْمَةً مِنَّا } أَي وَنَجْعَلُ هَذَا الْغُلَامَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ نَبِيًّا مِنْ

النَّبِيِّاءِ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ

الْأُخْرَى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ

اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾. أَي

: يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ فِي مَهْدِهِ وَكُهُولَتِهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَتْ مَرْيَمُ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ : كُنْتُ إِذَا خَلَوْتُ حَدَّثَنِي عَيْسَى وَكَلَّمَنِي وَهُوَ فِي بَطْنِي وَإِذَا كُنْتُ مَعَ النَّاسِ سَبَّحَ فِي بَطْنِي وَكَبَّرَ .

وَقَوْلُهُ { وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ جَبْرِيلَ لِمَرْيَمَ

، يُخْبِرُهَا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُقَدَّرٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرُهُ وَمَشِيئَتِهِ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ كَنَى بِهَذَا عَنِ النَّفْخِ فِي فَرْجِهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ

عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ (٢).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ { وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } أَي : أَنَّ اللَّهَ قَدَّ عَزَمَ عَلَى

هَذَا ، فَلَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ ، وَاخْتَارَ هَذَا أَيْضًا ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَلَمْ يَحْكُ غَيْرَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) سورة آل عمران - الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة التحريم - الآيتان ١٢ .

ومن شدة عفتها عندما جاءها المخاض (وقت الوضع) خشيت أن يقال
عليها شيء: ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴾
(١).

فهذه قصة السيدة مريم البتول، العفيفة، الطاهرة، النقية.



أم المؤمنين (عائشة)

الصديقة بنت الصديق العفيفة الطاهرة

المبرأة من فوق سبع سماوات

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ لَهُ إِفْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ قَالُوا قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابُ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تَلَّكَ وَقَفَلْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ قَالَتْ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَاحْتَمَلُوا

هُودَجِيفَرَحُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ
النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ
فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ
فَبِعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ
وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ
سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبِينَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبْتَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ
وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ
مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَى وَكَانَ رَأَى قَبْلَ الْحِجَابِ
فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَ وَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا
بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاِحَلَتَهُ فَوَطَّئَ
عَلَى يَدَيْهَا فَفَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكَبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ
مُوعَرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نَزُولٌ قَالَتْ فَهَلْكَ مَنْ هَلْكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى
كَبِيرَ الْإِفْكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ قَالَ عُرْوَةُ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ
بِهِ عِنْدَهُ فَيَقْرَهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ
أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ
لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عَصَبَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّ كَبِيرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ قَالَ عُرْوَةُ كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ
عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي قَالَ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي

لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَأَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيْبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَأَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسَلُّمْ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تَيْكُمُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَلِكَ يَرِيْبُنِي وَلَأَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَكَانَ مُتَبَرِّرَنَا وَكُنَّا لَأَخْرُجُ إِلَّا لِيَلَّا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا قَالَتْ وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَّةِ قَبْلَ الْغَائِطِ وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْوتِنَا قَالَتْ فَاتَّطَلَّقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رَهْمِ بْنِ الْمُطَّلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلَبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَانِنَا فَعَنَزْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطَهَا فَقَالَتْ تَعَسَ مِسْطَحُ ^(١) فَقُلْتُ لَهَا بِنْسَ مَا قُلْتَ أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَتْ أَيُّ هُنْتَاهُ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قَالَتْ وَقُلْتُ مَا قَالَ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ قَالَتْ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسَلُّمْ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تَيْكُمُ

(١) وأما: ربيعة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، تزوجها أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فولدت له مسطحاً من أهل بدر، وهدداً ، وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها ، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها(الطبقات الكبرى لابن سعد « طبقات الكوفيين » تسمية النساء المسلمات المبايعات ... « أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ٢٢٨/٨)

فَقُلْتُ لَهُ أَتَأْذِنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبُويَ قَالَتْ وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا قَالَتْ
فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَأُمِّي يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ قَالَتْ يَا بِنِيَّةَ
هُونِي عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ
إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْلَقَدُ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِذَا قَالَتْ
فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ
أَبْكِي قَالَتْ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ
اسْتَلَبْتَ الْوَحْيَ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ
فَقَالَ أُسَامَةُ أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ
عَلَيْكَ وَالنِّسَاءَ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْ قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِرِيرَةَ فَقَالَ أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا امْرَأَةً قَطُّ أَغْمَصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةٌ السِّنُّ تَنَامُ عَنْ
عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ قَالَتْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَذَرَ
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يِعْذِرُنِي مِنْ
رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ
ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ قَالَتْ
فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ
مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ
قَالَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ فَخْدِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ

عِبَادَةٌ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ قَالَتْ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلْتَهُ
الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدٍ كَذَبْتَ لِعَمْرٍ اللَّهُ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ
رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ فَقَالَ لِسَعْدٍ
بْنَ عِبَادَةَ كَذَبْتَ لِعَمْرٍ اللَّهُ لَنَقْتُلَنَّهَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ قَالَتْ فَتَارَ
الْحَيَّانِ الْوَسْ وَالْخَزْرَجِ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى
الْمِنْبَرِ قَالَتْ فَلَمَّ يَزَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ فَبَكَيْتُ
يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يِرْقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ قَالَتْ وَأَصْبَحَ أَبُوَايَ عِنْدِي وَقَدْ
بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا يِرْقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى إِنِّي لَأُظَنُّ أَنْ
الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي فَبَيْنَا أَبُوَايَ جَالِسَانَ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً
مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنَتْ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَكَمْ يَجْلِسُ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ
قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ
بَرِيئَةً فَسَيِّبِرْتُكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَّتْ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ
الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ
قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا
قَالَ فَقَالَ أَبِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَتْ أُمِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا
جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ

هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ فَلَنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئةٌ لَأَ تَصَدَّقُونِي وَلَنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئةٌ لَتُصَدَّقَنِي فَوَاللَّهِ لَأَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرئِي بِرَاعَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحَيَّا يَتَلَى لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلَ الْجُمَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَالَتْ فَسُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ فَقَدْ بَرَأَكَ قَالَتْ فَقَالَتْ لِي أُمِّي قَوْمِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَ أَقُومُ إِلَيْهِ فَإِنِّي لَأَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَتْ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الْعَشْرَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَاعَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ وَاللَّهِ لَأَ أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَانزَلَ اللَّهُ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَارْجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَأَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي

فَقَالَ لَزَيْنَبَ مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي
وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ
النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ قَالَتْ وَطَفِقْتُ أُخْتُهَا حَمْنَةً تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ
فِي مَنْ هَلَكَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هَوْلَاءِ الرَّهْطِ ثُمَّ
قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ
فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أَنْثَى قَطُّ قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ " البخاري (١).

قال الذهبي في السير، عن حسان بن ثابت ؓ وهو شاعر رسول الله
وصاحبه وأحد أنصاره الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) وقد بوب الإمام مسلم في الصحيح، والحاكم
والحاكم في المستدرک على فضائل حسان بن ثابت ؓ ومن ذلك ما
رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت لا
تسبه، فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ (٣).

(١) صحيح البخاري « كتاب المغازي » باب حديث الإفك _ رقم ٣٩١٠.

(٢) سورة التوبة - الآية ١٠٠.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وقال عروة، كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء ^(١)
	وقاء ^(١)

وروى أبو داود عنها بسند حسنه الألباني أنها قالت: لما نزل عذري قام النبي ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم.

وقد بينت الروايات أن من خاض في الإفك قد تاب - ماعدا ابن أبي -
وقد اعتذر حسان ﷺ عما كان منه وقال يمدح عائشة بما هي أهل له:

حصان ^(٢) رزان ما تزن بريبة بريبة	وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
--	----------------------------

(١) رواه البخاري.

(٢) وَيُقَالُ : أَحْصَنَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا تَزَوَّجَتْ ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي حِصْنِ الرَّجُلِ وَحِمَايَتِهِ ، وَيُقَالُ : أَحْصَنَهَا أَهْلُهَا إِذَا زَوَّجُوهَا ، وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَزَوِّجَةِ أَنْ تَحْصِنَ نَفْسَهَا فَتَكْتَفِيَ بِزَوْجِهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الرَّجَالِ لِأَجْلِ حَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَتَحْصِنَ زَوْجَهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ، فَعَلَى الْمَرْأَةِ الْمُعْوَلِ فِي الْإِحْصَانِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ لَفْظَ الْمُحْصَنَةِ - بِفَتْحِ الصَّادِ - اسْمٌ فَاعِلٌ نَطَقَتْ بِهِ الْعَرَبُ عَلَى خِلَافِ عَادَتِهَا ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ أَفْعَلٍ اسْمٌ فَاعِلُهُ بِالْكَسْرِ إِلَّا ثَلَاثَةً أَحْرَفٌ : أَحْصَنَ ، أَلْفَجَ إِذَا ذَهَبَ مَالُهُ ، وَأَسْهَبَ إِذَا كَثُرَ كَلَامُهُ ، وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَعَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْعَفِيفَةَ يُقَالُ لَهَا : مُحْصَنَةٌ - بِفَتْحِ الصَّادِ - وَمُحْصَنَةٌ - بِكسرها - وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَزَوِّجَةُ فَيُقَالُ لَهَا : مُحْصَنَةٌ - بِالْفَتْحِ - لِأَنَّهَا غَيْرُ ، وَجَمَاهِيرُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ - وَمِنْهُمْ أئِمَّةُ الْفِقْهِ الْمَشْهُورُونَ - عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُحْصَنَاتِ هَاهُنَا الْمُتَزَوِّجَاتُ ، وَقِيلَ : هُنَّ الْحَرَائِرُ ، وَقِيلَ : عَامٌّ فِي الْحَرَائِرِ وَالْعَفَائِفِ وَالْمُتَزَوِّجَاتِ ، وَقَدْ يُقَالُ : هُنَّ الْحَرَائِرُ

حليّة خير الناس ديناً ومنصباً	نبي الهدى والمكرّمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها	وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم	فلا رفعت سوطي إلي أناملي
فإن الذي قد قيل ليس بلائط	ولكنه قول امرئ بي ماحل
وكيف وودي ما حييت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم	تقاصر عنه سورة المتطاول

هذا وقد نبه العلماء علي أن من أخطأ في حق عائشة بعد ما جاء في القرآن من براءتها، يعتبر مكذباً للقرآن، وقد ذكر النووي في شرح مسلم: أن من اتهمها كفر، لمخالفته القرآن.

الْمُتَزَوِّجَاتُ ، وَسَيَّاتِي عَنِ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ مَا يُرْجِحُهُ ، وَلِمَاذَا قَالَ : مِنَ النِّسَاءِ وَصِيغَةُ الْجَمْعِ مُغْنِيَةٌ عَنِ هَذَا الْقَيْدِ ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ : النُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ : تَأْكِيدُ الْعُمُومِ ، وَلَمْ يَرِ قَوْلُهُ كَافِيًا وَافِيًا ، وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِغُمُوضِ النُّكْتَةِ فِي ذَلِكَ ، قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ : قَدْ اسْتَشْكَلَ ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ حَتَّى رُوِيَ عَنِ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَنْ يُفَسِّرُهَا لِي لَضَرَبْتُ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْبَابِلِ ، أَيُّ : لَسَافِرَ إِلَيْهِ وَإِنْ بَعْدَ مَكَانِهِ ، وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا الْقَيْدَ يَكَادُ يَكُونُ بَدِيهِيًّا ؛ فَإِنَّ لَفْظَ الْمُحْصَنَاتِ قَدْ يَرَادُ بِهِ الْعَقِيفَاتُ ، أَوْ الْمُسْلِمَاتُ ، فَلَوْ لَمْ يَقُلْ هُنَا : مِنَ النِّسَاءِ ، لَتَوَهَّمَنَّ أَنَّ (الْمُحْصَنَاتِ) إِنَّمَا يَحْرُمُ نِكَاحَهُنَّ إِذَا كُنَّ مُسْلِمَاتٍ ، فَأَقَادَ هَذَا الْقَيْدُ الْعُمُومَ وَالْبَاطِلَ ، أَيُّ أَنَّ عَقْدَ الزَّوْجِيَّةِ مُحْتَرَمٌ مُطْلَقًا لَأَنَّ فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْكَافِرَاتِ وَالْحَرَائِرِ وَالْمَمْلُوكَاتِ ، فَيَحْرُمُ تَزْوُجَ أَيَّةِ امْرَأَةٍ فِي عِصْمَةِ رَجُلٍ وَحِصْنِهِ (تَفْسِيرُ الْمَنَارِ - سُورَةُ النِّسَاءِ » تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) .

المرأة وصاحب الغار

قص لنا الحبيب محمد ﷺ قصة الثلاثة نفر، الذين كانوا في أمة من الأمم التي سبقتنا، آواهم المبيت إلى غار، فاندردت عليهم صخرة من الجبل وسدت بار الغار، فلما أهمهم هذا الأمر جلسوا يتشاورون، فأسفرت المشورة علي أن الخلاص من هذه الورطة هو بيد الله ﷻ (فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ) وكان من بينهم رجل موثر له ابنة عم فقيرة، وكان يحبها حباً شديداً كأشد ما يحب الرجال النساء، فأرادها على نفسها، أي أرادها - والعياذ بالله - بالزنا؛ ليزني بها، ولكنها لم توافق وأبت، فألتمت بها سنة من السنين، أي: أصابها فقر شديد وحاجة، فلم تجد أحد من البشر تلجأ إليه إلا قريبها وابن عمها، فاضطرت إلى أن تجود بنفسها في الزنا من أجل الضرورة، وهذا لا يجوز، ولكن على كل حال؛ هذا الذي حصل، فجاءت إليه، فأعطاها مائة وعشرين ديناراً، من أجل أن تمكنه من نفسها، ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها، قالت له هذه الكلمة العجيبة العظيمة : (اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه) فخوفته بالله - عز وجل - وأشارت إليه

إلى أنه إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها، لكن كونه يفضُّ الخاتم بغير حق، هي لا تريده، ترى أن هذا من المعاصي؛ ولهذا قالت له: اتق الله، فلما قالت له هذه الكلمة - التي خرجت من أعماق قلبها - دخلت في أعماق قلبه، وقام عنها وهي أحب الناس عليه، يعني ما زالت رغبته عنها، ولا كرهها، بل حبها باق في قلبه، لكن أدركه خوف الله - عز وجل - فقام عنها وهي أحب الناس إليه، وترك لها الذهب الذي أعطاها - مائة وعشرين ديناراً، ولنسمع قصتها من النبي ﷺ: "..... وَقَالَ الْآخِرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّأ بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجَهْكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا....." (١).

(١) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري « كتاب الإجارة » باب من استأجر أجييراً فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر رقم ٢١٥٢، وصحيح مسلم _ برقم ٢٧٤٣.

يا لها من نفس مؤمنة، عفيفة، كريمة، خلد الله ذكرها وإن لم يعلم اسمها فالله يعلمه، وجعل عفتها مثلاً للمؤمنين والمؤمنات في خير أمة أخرجت للناس.

المرأة والكفل

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبِ عَمَلِهِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَىٰ أَنْ يَطَّأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أُرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتِكِ قَالَتْ لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمَلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ فَقَالَ تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ اذْهَبِي فَهِيَ لَكَ وَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفْلِ " رواه الترمذي (١).

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَدْ رَوَاهُ شَيْبَانٌ وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ عَنِ الْأَعْمَشِ نَحْوَ هَذَا وَرَفَعُوهُ وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ فَلَمْ يَرْفَعُوهُ وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْأَعْمَشِ فَأَخْطَأَ فِيهِ وَقَالَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ هُوَ كُوفِيٌّ وَكَانَتْ جَدَّتُهُ سُرَيَّةَ لَعْلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

أم حكيم بنت الحارث

لما كان يوم الفتح الأعظم (فتح مكة) أهدر النبي دم بعض من آذوه ولاقى منهم الشدة ، ومن هؤلاء عكرمة بن أبي جهل، فهرب ، غلي ساحل تهامة ليذهب إلي اليمن، فتأخذ له زوجته أمانا من النبي ﷺ ، ثم تذهب وراءه ، ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنيه حتى قدمت علي حي من عك، فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطا، وأدركت عكرمة علي ساحل من سواحل تهامة، وفي طريقهما إلي العودة ، أخبرت زوجها عكرمة بما حدث من الغلام فقتله.. وجعل عكرمة يطلب منها أن يجامعها فتأبى عليه، وهو زوجها، وتقول: أنت كافر، وأنا مسلمة، فيقول: إن أمراً منعك مني، لأمر كبير.

والله ما هو إلا الإيمان والتقوي والعفة التي تزينت به هذه المرأة الصالحة.

عَبْدُ اللَّهِ الرَّازِيُّ عُبَيْدَةُ الضَّبِّيُّ وَالْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ (وسنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ﷺ باب منه _ رقم ٢٤٩٦ - وأخرجه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال سمعت رسول الله ﷺ أكثر من عشرين مرة يقول فذكر نحوه، والحاكم والبيهقي من طريقه وغيرها).

حفصة بنت سيرين

روى أنها كانت تحتفظ بكفن دائم لها هو جزء من ملابسها فإذا حجت وأحرمت لبسته، وإذا جاءت الأيام العشرة الأخيرة من رمضان لبسته تقيم فيه. إنها حفصة بنت سيرين، المحدثّة الزاهدة، التي أمضت شبابها في عبادة وتقوى، وكانت تقول: يا معشر الشباب! خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني رأيت العمل في الشباب^(١).

قرأت القرآن الكريم، وتدبرت معانيه وعمرها اثنتا عشرة سنة، وكان أخوها "محمد بن سيرين" إذا استشكل عليه شيء من القرآن الكريم قال: اذهبوا إلى حفصة، واسألوها كيف تقرأ؟ واشتهرت حفصة بالزهد، والصبر الجميل على طاعة الله وعبادته، وكانت كثيرة الصيام، طويلة القيام، تدخل مسجدها تصلي فيه، وتتعبد بقراءة القرآن، ولا تخرج من بيتها إلا لحاجة أو لمقابلة من يأتون ليستفتونها، ويتعلمون منها. وكانت محدثة جليلة، نشأت في بيت علم، وكان لها ستة إخوة غيرها، كلهم يقرءون القرآن، ويشغلون بالحديث.

وكانت حفصة تحب العلم، وتبذل في سبيله كل غالٍ ونفيس؛ لأنها تعلم أن العلماء ورثة الأنبياء، كما عرفت حفصة بشدة تمسكها بتعاليم الإسلام

(١) صفة الصفوة ١ / ٤٠٤.

الحقة، وطاعتها لله ولرسوله؛ فعن عاصم الأحول قال: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ وَقَدْ جَعَلَتْ الْجَلْبَابَ هَكَذَا وَتَنَقَّبَتْ بِهِ فَنَقُولُ لَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، هُوَ الْجَلْبَابُ قَالَ فَتَقُولُ نَنَا: أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَنَقُولُ (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ) فَتَقُولُ هُوَ اثْبَاتُ الْجَلْبَابِ^(٢)..

عن هشام بن حسان، قال كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيقشره ويأخذ القصب. فيفلقه قالت حفصة: وكنت أجد قرة فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكاتون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلق وقوداً لا يؤذي دخانه ويدفئني. نمكث بذلك ما شاء الله. قالت: وعند من يكفيه لو أراد ذلك. قالت: وربما أردت أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلِكَ ثم أذكر ما يريد فأدعه. قالت حفصة: فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق غير أنني كنت أجد غصّة لا تذهب، قالت: فبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على

(١) سورة النور - الآية ٦٠.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٩١٨) صحيح.

هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ

الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) قالت: فأعدتها

فأذهب الله ما كنت أجد. قال هشام: وكانت له لقحة. قالت حفصة: كان يبعث

إلى بعلبة بالغداة فأقول: يا بني إنك لتعلم أني لا أشربه، أنا صائمه. فيقول:

يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل، اسقيه من شئت. (٢).

(٢).

وتوفيت "حفصة" - رحمها الله - وهي ابنة تسعين.



(١) سورة النحل - الآيات من ٩٥ : ٩٧ .

(٢) صفة الصفوة ١ / ٤٠٤ .

رحيمات

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا ، وَأُخْتُ تَقُودُهَا فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا سَأَلَتْهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهَا ، فَلَمَّا انْطَلَقَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " حَامِلَاتُ وَالِدَاتُ رَحِيمَاتُ ، لَوْلَا مَا يَأْتِيَنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ " (١).

وعائشة رضي الله عنها قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتهما فقسمتهما بين ابنتيهما، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: " من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار " متفق عليه.

(١) رواه ابن ماجة (٢٠٠٣ ، ٢٠١٣) وأحمد (٢١٦٣٥) وعبد الرزاق والحاكم ٤ / ١٧٣ رقم (٧٤١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٨١٧٤ ، ١٠٣٠٣)، والمعجم الكبير للطبراني (٧٩١٠) ، مسند أبو داود الطيالسي (٢٢١٠) وضعفه بعض أهل العلم بسبب الإنقطاع فضعه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير) (٢٦٧٨). وضعفه في ضعيف بن ماجه).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا، بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

فالمرأة هي الجندي المجهول في هذا الكون، ولهذا وصي بها النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ"، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: "ثُمَّ أَبُوكَ" (١).



(١) صحيح البخاري « كتاب الأدب » باب من أحق الناس بحسن الصحبة _ رقم ٥٦٢٦، صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب بر الوالدين وأنها أحق به [٢٥٤٨].

سفعاء الخدين

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أنا وامرأة سفعاء الخدين ^(١) كاهتين يوم القيامة " وأوماً بيديه يزيد بن زريع ، الوسطى والسبابة " امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على أيتامها حتى بانوا أو ماتوا " رواه أبو داود ^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرني فأقول لها : مالك ومن أنت فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي " رواه أبو يعلى ^(٣)

انظروا إلي هذه المرأة التي جعل الله في قلبها الحنان علي أولادها فلذات كبتها، فكان الثواب أن بادرت النبي صلى الله عليه وسلم في دخول الجنة. فكيف يفعل الله بمن ملئ قلبه بالحنان علي أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وخاف عليها من نار جهنم وقام بدعوتها إلي الله عزوجل ؟

(١) قال أبو سليمان الخطابي : السفعاء هي التي تغير لونها الى الكمودة والسواد من طول الأيمنة.

(٢) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح ص ٤١٢ .

(٣) المرجع السابق .

تائبات

امراة العزيز (زليخا)

زُليخة : أو زليخا أو زليخاء (واسمها راعيل بنت رماييل وزُليخة لقبها.
زوجة عزيز مصر عند قدوم يوسف إلى مصر على عهد الملك أمنحوتب
الثالث الذي يعد من أعظم الملوك الذين حكموا مصر عبر التاريخ..
وكانت مشهورة بجمالها وكبريائها الذي أضى تكبراً وأنفة.
وقد رأى يوسف في منامه في صغره في سن السابعة عشرة سنة أو
الثانية عشرة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له، فقصّ الرؤيا
على أبيه، فبشره بالنبوة وتعبير الأحلام
وكان يوسف رائع الجمال، محبوبا لدى أبيه، مما أثار حقد إخوته عليه
وتآمرهم عليه.

وكان جماله الرائع سبب محنته، روى مسلم في صحيحة أنه صلى الله
عليه وسلم قال : " أُعْطِيَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَطْرَ الْحُسْنِ " (١).

(١) رواه مسلم في صحيحة عن شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني
عن أنس : فذكر حديث الإسراء مرفوعا، وفيه: فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم ، إذا هو
قد أعطي شطر الحسن .

وقال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السرة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه؛ وكان حسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية.

وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة؛ وكانت قد أعطيت سدس الحسن؛ فلما رآه مالك بن دعر قال: { يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ } هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة؛ إلا ابن أبي إسحق فإنه قرأ: { يَا بُشْرِيَّ هَذَا غُلَامٌ } فقلب الألف ياء، لأن هذه الياء يكسر ما قبلها، فلما لم يجز كسر الألف كان قلبها عوضاً (١).

أخذه إخوته معهم إلى البرية بقصد السياحة واللعب، ثم ألقوه في البئر، وأخبروا أباهم كذبا أن الذئب أكله، فلم يقتنع الأب الصالح بكلامهم، واتهمهم بمكيدة أوقعوها فيه، ثم أنقذه الله بتعلقه بحبل دلو أدلي في البئر، ثم باعه آخذه في مصر بثمن بخس، وادعوا أنهم اشتروه من سيده، باعوه لرئيس الشرطة وهو العزيز في محافظة الشرقية قرب بحيرة المنزلة، فأحبه وقال

(١) الحاوي في التفسير.

لامراته: أكرمي مثواه، وجعله صاحب أمره ونهيه، ورئيس خدمه والمتصرف في بيته، وتولاه الله تعالى بالهداية والتربية والتوفيق.

أدخل العزيز نبي الله يوسف إلى بلاطه وهو طفل ولم يعامله معاملة العبيد بل أوصى زوجته زليخة بالإحسان إليه لما وجد فيه من الفطنة والذكاء والرأي الثاقب فقال لها: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ

أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ترعرع يوسف في قصر العزيز مدة أحد عشر عاماً إلى أن صار شاباً حسن الوجه حلو الكلام، شجاعاً قوياً، وذا علم ومعرفة.

فأحبته امرأة العزيز، وكان لا يمضي يوم إلا ويزداد شغفها بيوسف إلى أن راودته عن نفسه ظانةً منه أنه سيطيعها في معصية الله ﷻ، فأبى إيماناً بالله، وامتثالاً لأمره، واجتناباً لمنهياته.

(١) سورة يوسف - الآية ٢١.

وتقديرا لأفضال زوجها عليه: { إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } وامتنع همّه بها لوجود البرهان عنده، وهو حرصه على الطاعة، والتمسك بآداب آبائه.

لأن يوسف نبي ومن المخلصين، قال تعالى: { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } فأبى أن يرتكب الخطيئة وهرب خارجاً لكنهما وجدا سيدها عند الباب. ولما خابت في تحقيق رغبتها منه، حققت عليه، كما هو شأن السادة عند ما يخالفهم أحد الأتباع.

ولما رأت زوجها لدى الباب يريد الدخول، نفقت عليه التهمة، وأفهمته أنه يريد بها بسوء، فكذبها يوسف الصديق، فاحتكم الزوج العاقل إلى القرائن:

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *

وَأِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾

إن كان قميصه مزق من الأمام فهي الكاذبة، وإن مزق من الخلف فهو الصادق، لأن المقدم على المرأة يظهر أثر مقاومتها ودفاعها من الناحية الإمامية، والهاب من المرأة يظهر أثر لحاقها به من الخلف، فظهرت براءته، والتصقت التهمة بها، وأمر يوسف بكتمان الخبر، وأمرها بالاستغفار لذنبها.

وعندما رأى أن قميص يوسف قد قُدَّ مِنْ دُبُرٍ أيقن أن زوجته زليخة هي الخائنة وهي من راودت يوسف عن نفسه فقال كلمته الشهيرة ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢).

ومع هذا، شاع خبر امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة، ولامتها النساء، فأعدت لهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين، وآتت كل واحدة سكيها، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن، فبهرهن جماله، فقطعن أيديهن، وقلن: { مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } فعذرنها، ثم هددته

(١) سورة يوسف _ الآيات من ٢٥ : ٢٧.

(٢) سورة يوسف _ الآية ٢٨.

بالسجن إن لم يستجب لها، وفشا أمره بين الناس، فرأى سيده أن يزجه في السجن، ليحمي سمعة امرأته.

ينقل المؤرخون والمفسرون أن يوسف عليه السلام تزوج من امرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وذلك بعد توبتها، وذكروا كذلك أنه أنجب منها ولدين اثنين.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: لما قال يوسف للملك: اجعني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (قال الملك: قد فعلت ! فولاه فيما يذكرون عمل إطفير، وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء) ، الآية.

قال: فذكر لي - والله أعلم - أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الرِّيان بن الوليد، زوج يوسف امرأة إطفير " راعيل "، وأنها حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت: أيُّها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسناً وجمالاً، ناعمةً في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت.

فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف، وميشا بن يوسف، وولد لأفرائيم نون، والد يوشع بن نون، ورحمة امرأة أيوب عليه السلام. (١).



(١) رواه ابن أبي حاتم في " التفسير " (٢١٦١/٧)، والطبري في " جامع البيان " (١٥١/١٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق به .
وورد نحوه عن زيد بن أسلم التابعي الجليل، وعن وهب بن منبه المعروف بالرواية عن الإسرائيليات (نقل ذلك السيوطي في " الدر المنثور " ٥٥٣/٤)
ولما كانت حكاية محمد بن إسحاق من القصص التاريخية القديمة، ولا يعرف لها إسناد متصل ، ويغلب على الظن أنها مأخوذة عن علماء أهل الكتاب ، لم يكن لنا أن نصدقها ولا أن نكذبها كذلك ، وإنما نوردها على سبيل الحكاية السردية المجردة ، مفوضين العلم بحقيقتها إلى الله عز وجل .

المرأة وعبيد بن عمير

ذكر الإمام العجلي في تاريخه: أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به، قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير (١)، قالت: فأذن لي فيه، فلأفتننه، قال: قد أذنت لك، قال: فأنته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استتري، فقالت: إني قد فتنت بك، قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت

(١) عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ الْجَنْدَعِيِّ الْمَكِّيِّ ، الْوَاعِظُ الْمُفَسِّرُ وَوُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ وَأَمَّتَهُمْ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ يَذْكُرُ النَّاسَ ، فَيَحْضُرُ ابْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَجْلِسَهُ .
رَوَى حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَصَّ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَعَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَهُ : خَفِّفْ؛ فَإِنَّ الذُّكْرَ ثَقِيلٌ - تَعْنِي إِذَا وَعَظْتَ .

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو : رَأَيْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ وَكَهْ جُمَّةً إِلَى قَفَاهُ ، وَلِحْيَتُهُ صَفْرَاءُ . قُلْتُ : هُوَ مِنْ خَضَابِ السُّنَّةِ .

تُوفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ . (سير أعلام النبلاء _ بقية الطبقة الأولى من كبار التابعين _ عبيد بن عمير) .

صدقته نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك، قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أردت الممر على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك، قالت: اللهم لا، قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: اتق الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطل ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة! (١)



خائفات

أم المؤمنين

السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق

فعن عوف بن مالك بن الطفيل، أن عائشة (رضي الله عنها) ، حدثت أن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) ، قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة (رضي الله عنها) : والله ! لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ، قالت : أهو قال هذا ! قالوا : نعم ، قالت : هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً ، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة ، فقالت : لا ، والله لا أشفع فيه أبداً ، ولا أحنث في نذري . فلما طال ذلك علي ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وقال لهما : أنشد كما الله لما أدخلتاني علي عائشة (رضي الله عنها) ، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي ، فأقبل به المسور وعبد الرحمن حتى استأذنا علي عائشة فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ قالت عائشة (رضي الله عنها) : ادخلوا ، قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ادخلوا كلكم ، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا ، دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة (رضي الله عنها) ، وطفق يناشدها ويبكي ، وطفق المسور وعبد الرحمن

يناشدنها إلا كلمته وقبلت منه ، ويقولان إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فلما أكثروا علي عائشة من التذكرة والتحريج ، طفقت تذكرهما وتبكي ، وتقول : إني نذرت والنذر شديد ، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير ، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة ، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها . رواه البخاري (١) .

أخرج ابن سعد ، عن عمرو بن أبي سلمة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : والله ! لو ددت أني كنت مدرة ، والله ! لو ددت أن الله لم يخلقني شيئاً قط .

وعن ابن أبي ملكية أن ابن عباس ؓ دخل علي عائشة قبل موتها ، فأثني عليها ، قال : أبشري زوجة رسول الله ﷺ ...!!! ولم ينكح بكاراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء ، فدخل عليها ابن الزبير رضي الله عنه خلفه ، فقالت : أثني عليّ عبد الله بن عباس ولم أكن أحب أن أسمع أحداً يثنى عليّ ، لو ددت أني كنت نسياً منسياً (٢) .

وفي رواية الحاكم عن أبي ملكية قال جاء ابن عباس ؓ يستأذن علي عائشه (رضي الله عنها) في مرضها ، فأبت أن تأذن له ، فقال لها بنو أخيها : ائذني له ، فإنه من خير ولدك ، قالت : دعوني من تزكيتيه ، فلم

(١) رياض الصالحين - كتاب المنثورات والملح - ص ٢٢٨ - .

(٢) حياة الصحابة ٢/٦١٣ .

يزالوا بها حتى أذنت له ، فلما دخل عليها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما :
 : إنك سميت أم المؤمنين لتسعي ، وإنه لأسمك قبل أن تولدي .. إنك كنت
 من أحب أزواج النبي ﷺ ، ولم يكن النبي ﷺ يحب إلا طيبا ، وما بينك وبين
 أن تلقى الأحبة إلا أن تفارق الروح الجسد ولقد سقطت قلاذتك يوم الأبواء
 فجعل الله للمسلمين خيرة في ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى آية التيمم ، ونزلت
 فيك آيات من القرآن فليس مسجد من مساجد المسلمين ، إلا تلي فيه عذرك
 ، أناء الليل وأناء النهار ، فقالت : دعني من تركيتك لي يا ابن عباس ،
 فوددت أني كنت نسيا منسيا " (١)

أم المؤمنين

أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها)

أخرج بن سعد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دعني أم حبيبة -
 رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ عند موتها ، فقالت: قد كان يكون بيننا
 ما بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك ، فقلت: غفر الله لك ذلك
 كله وتجاوز وحلك من ذلك، فقالت: سررتني سررك الله ! وأرسلت إلي أم
 سلمة فقالت لها مثل ذلك (٢) .

(١) الحاكم في المستدرک وقال صحيح ووافقه الذهبي ٩/٤ .

(٢) حياة الصحابة - كتاب خروج الصحابة عن الشهوات - باب استرضاء المسلم ٤١٨/٢ .

المرأة الغامدية

عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي وزنيبتُ وإني أريد أن تطهرني ، فردّه فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله، إني قد زنيبتُ ، فردّه الثانية ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: أتعلمون بعقليه بأسا تُنكرون منه شيئاً ؟ ، فقالوا : ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا، فيما نرى، فاتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضاً، فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم ، قال : فجاءت الغامدية ، فقالت: يا رسول الله ، إني قد زنيبتُ فطهرني وإنه ردها ، فلما كان الغد ، قالت : يا رسول الله ، لم تردني لعك أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى ، قال: إما لآ فذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت: هذا قد ولدتُه ، قال: اذهبي فأرضعيه حتى تطفميه، فلما طفمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد طفمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس، فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على

وَجِهَ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهَلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ" (١).

آسِيَّةُ بِنْتُ الْفَرَجِ الْجُرْهُمِيَّةِ

وروى يَعْلَى بن الأشدق، عن عَبْدِ اللَّهِ بن جراد العقيلي قال: جاءت آسِيَّةُ بِنْتُ الْفَرَجِ امْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ كَانَتْ مَسْكُنَهَا بِالْحَجُونَ حَجُونَ مَكَّةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخْطَأْتُ عَلَى نَفْسِي وَزَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي، قَالَ: "فَهَلْ وَلَدْتَ؟" قَالَ: لَا. قَالَ: "فَكَمْ بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ وِلَادَتِكَ؟" فَأَخْبَرْتَهُ بِنَحْوِ شَهْرٍ، قَالَ: "لَسْتُ بِمَطْهَرِكِ حَتَّى تَلْدِي". أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَهٍ وَأَبُو نُعَيْمٍ. (٢).

آمِنَةُ بِنْتُ خَلْفِ الْأَسْلَمِيَّةِ

عن الحسن: أن آمِنَةَ بِنْتُ خَلْفِ الْأَسْلَمِيَّةِ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَصَابَتْ الْفَاحِشَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ مَحْصَنَةٌ وَزَوْجِي غَازٍ، وَإِنِّي أَصَبْتُ

(١) صحيح مسلم «كِتَابُ الْحُدُودِ» بَابُ مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ الزَّانَا _ رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣٢١٤.

(٢) أسد الغابة _ كتاب النساء _ حرف الهمزة _ آسِيَّةُ بِنْتُ الْفَرَجِ الْجُرْهُمِيَّةِ.

الفاحشة، فطهرني.. وذكر قصة طويلة، ودعا لها كثيراً حين رُجمت في نحو ورقتين.^(١)

نفوس كريمة عفيفة ، أخطأت .. أرغمها الخوف من الله ﷻ أن تعترف بزناها لتتطهر في الدين من الذنب وتلقى الله طاهرة نقية، ما الذي جاء بها إنه الإيمان بالله ﷻ والخوف منه ، وما تزعزع إيمانها في هذه المدة التي أرجئها فيها النبي حتى تضع وليدها ، وحتى تُرضعه حتى ينفطم، بل ازدادت إصرارا علي الرجم حتى تتطهر .



(١) المرجع السابق.

عابدات

مريم عليها السلام

قال تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ افْتَتِي لِرَبِّكِ وَاَسْجُدِي وَاَرْكَعِي مَعِ

الرَّاكِعِيْنَ﴾ (١)

قال قتادة في قوله ﴿افْتَتِي لِرَبِّكِ﴾ : أطيعي لربك .

وعن أبي سعيد : كانت مريم تصلى حتى ترم قدميها .

وعن الأوزاعي : كانت مريم تقوم حتى يسيل القيح من قدميها .

وعن مجاهد . قال : لما قيل لمريم ﴿افْتَتِي لِرَبِّكِ﴾ ، قامت حتى ورمت

قدميها .

وبسبب المجاهدة واليقين على الله ﷻ كان الله ﷻ يرزقها بغير

حساب كما في قولها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢)(٣)

(١) سورة آل عمران - الآية ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٣٧ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٩٥/٢ .

أم سليمان نبي الله عليه وعليهما السلام

عن عثمان بن أبي العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كان لداود (عليه السلام) من الليل ساعة يوقظ فيها أهله يقول: قوموا فصلوا، فإن هذه الساعة يستجيب الله عز وجل فيها الدعاء إلا لساحر أو عشار (١) ". رواه أحمد (٢) .

وكانت أم سليمان توصي ابنها وتقول: يا بني لا تدع الصلاة بالليل فإن النوم بالليل يجعل العبد فقيراً يوم القيامة .

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

وعن عروة: أن عائشة كانت تسرد الصوم، يقول: كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر.

وعن القاسم رحمه الله قال: كنت إذا غدوت - يعني: إذا صلى الغداة أو الصبح - أبدأ ببیت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي

(١) أخذ العشور من أموال الناس .

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب الصلاة - باب التحريض علي قيام الليل ٣٨٩٨ .

قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾^(١)، تدعو

وتبكي وتردها، فظللت منتظراً حتى مللت القيام.

ثم ذهبت إلى السوق لحاجتي فرجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي وتقول:

{ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ } .

أم المؤمنين

زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

كانت (رضي الله عنها) تحب قيام الليل ، لتخلوا بربها ﷻ ، فتقوم حتى

تتعب فتجعل لها حبل بين الأعمدة لتعتمد عليه ، فعن أنس رضي الله عنه .

قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا بحبل ممدود بيني الساريتين^(٢) ، فقال : "

ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت^(٣) تعلقت به . فقال

النبي ﷺ : " حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد " متفق

عليه . (٤).

(١) سورة الطور - الآية ٢٧ .

(٢) أي من سواري المسجد . وفي رواية مسلم : " بين ساريتين " والسارية العمود .

(٣) أي كسلت عن القيام في الصلاة .

(٤) رياض الصالحين - باب الاقتصاد في الطاعة ص ١٠٤ .

فى ((الإصابة)) : قالت عنها عائشة عند موتها : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل.

ومن حديث أم سلمة بسند موصل فيه الواقدي أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت: وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجبة وكانت يستكثر منها . وكانت سالحة صوامع قواماً صناعاً تصدق بذلك كله على المساكين.

أم المؤمنين حفصة

بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)

عَنْ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ فَجَاءَ خَالَهَا قُدَامَةَ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَطْعُونٍ ، فَبَكَتْ ، وَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ مَا طَلَّقْتَنِي عَنْ شَيْعٍ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَجَلَّبَبْتُ ، فَقَالَ : " إِنَّ جِبْرِيْلَ قَالَ لِي : رَاجِعِ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجُتُكَ فِي الْجَنَّةِ " رواه الطبراني برجال الصحيح ، والحاكم في المستدرک.

انظر لهذه المرأة الصالحة – الله عز وجل أنزل جبريل من أجلها يأمر النبي ﷺ بمراجعتها – لأن الله يحبها .. لما بينها وبينه سبب واصل وهو مداومتها على الصوم والصلاة .. ولهذا ذكر ابن كثير في كتابه البداية

والنهاية : أن رجلا سأل امرأة عابدة أن تدعو له . فقالت : فهل بينك وبينه سبب واصل ، فإذا دعوته لك استجاب لى .

معاذة بنت عبد الله

أم الصهباء العدوية البصرية (رحمها الله)

كانت إذا جاء النهار، قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت هذه ليلتي التي أموت فيها ، فما تنام حتى تصبح .. وإذا كان البرد كانت تلبس الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

وكانت تصلى في كل يوم وليله ستمائة ركعة، وتقرأ جزءها من الليل تقوم

به.

وكانت تقول عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقود في ظلم القبور.

وكان زوجها صلة بن أشيم في مغزى معه ابن له، فقال: أي بني! تقدم

فقاتل حتى احتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل .. ثم تقدم فقتل ، فاجتمعت النساء

عندها فقالت: إن كنتن جئتن لتهننني فمرحبا بكن وإن كنتن جئتن لغير ذلك

فارجعن .. ولم تتوسد معاذة فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت .

ولما جاءها الموت بكت ثم ضحكت فقيل لها مم بكيت ثم ضحكت؟ قالت :
أما البكاء الذي رأيتم ، فإنني ذكرت مفارقه الصيام والصلاة والذكر فكان
البكاء لذلك ... وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكى فإنني نظرت إلى أبى
الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نضر ما
رأيت لهم في الدنيا شبيها فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضا فماتت
قبل أن يدخل وقت الصلاة (١) .

حفصة بنت سيرين (رحمها الله)

نشأت في بيت تقوى وصلاح فأخوها محمد بن سيرين صاحب كتاب
تفسير الأحلام، قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة
تسعين سنة .. مكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة
(٢) .

قال هشام بن حسان: اشترت حفصة جارية، فقيل لها: كيف رأيت مولاتك
بالليل؟ فذكرت كلاماً بالفارسية معناه: إنها امرأة سالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً
عظيماً، فهي الليل كله تبكي وتصلي.

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ٧٦/٣ - صفه الصفوة لابن الجوزي ١٣٠/٤

(٢) صفه الصفوة لابن الجوزي ١٤/٤ .

فاطمة بنت محمد بن المنكدر (رحمها الله)

كانت نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادى بصوت حزين : هداً الليل
واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوت بك .

امراة رباح بن عمرو القيسي (رحمها الله)

كان زوجها رجل صالح وأراد أن يختبر عزمته على قيام الليل ، فتناوم
، فقامت هي تصلى وأيقظته، فادعى التناقل وأنه سيقوم ، فكررت إيقاظه بعد
ما مضى ربع الليل ، وهكذا إلى أن مضى الليل ولم يقم فقالت: مضى الليل
وعسكر المحسنون وأنت نائم ! ليت شعري من غرنى بك يا رباح (١) .

الحولاء بنت تُوَيْت

الحولاء بنت تُوَيْت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيَّة
الأسديَّة. هاجرت إلى المدينة، وكانت كثيرة العبادة.

(١) صفه الصفوة لابن الجوزي ٤/٤٤ .

عن عُرْوَةَ، عن عائشة: أن الحولاء بنت تويت مرّت بها وعندها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: هذه الحولاء يزعمون أنها لا تنام الليل. فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا".^(١)



(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة .

فقيهاات

فقه أمهات المؤمنين

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٢) .

(١) سورة التوبة - الآية ٧١ .

(٢) سورة الأحزاب - الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

فكان النبي ﷺ يجلس مع نساءه ويحدثهم، فيتعلمون منه أمور دينهم ، وما أشكل عليهم شيئاً إلا سألوا عنه ، فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب العلم أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك " قلت : أو ليس يقول الله : " فسوف يحاسب حساباً يسيراً " فقال : " إنما ذلك العرض ؛ ولكن من نوقش في الحساب يهلك " . متفق عليه .^(١)

وكان رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها متفق عليه .^(٢)

فما كان يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يُعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكتفي في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام ، فتقوم أمهات المؤمنين بتوضيح مراد رسول الله ﷺ ، كما تروي لنا السيدة عائشة (رضي الله عنها) ذلك ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكِ فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ

(١) مشكاة المصابيح - باب الحساب والقصاص والميزان ٣/١٥٣٩، البخاري - باب من سمع

شيئاً فراجع فيه حتى يعرفه انظر فتح الباري ١/٢٠٧.

(٢) رياض الصالحين - كتاب الآداب - باب الحياء وفضله والحث علي التخلق به ص ٢٩٤ .

أَتَطَهَّرُ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي فَاجْتَبَنْتُهَا إِلَيَّ
فَقُلْتُ تَتَّبَعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِّ (١) .

فكانت نساء الأنصار حريصات على معرفة الأحكام في أخص أمورهن،
فكانوا كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: نعم النساء، نساء الأنصار لم
يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

وتروى لنا أم سلمة رضي الله عنها قالت : قالت أم سليم : يا رسول الله
! إن الله لا يستحيى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال
: نعم ، إذا رأت الماء " فغطت أم سلمة وجهها ، وقالت : يا رسول الله !
أو تحتلم المرأة ؟ قال : " نعم " تربت يمينك ، فبم يشبهها ولدها ؟ "
وزاد مسلم برأوية أم سليم " إن ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة
رقيق أصفر ، فمن أيها علا أو سبق يكون منه الشبه . (٢)

وفى رواية : فقالت أم سلمة : لقد فضحت النساء ، ويحك أو تحتلم
المرأة ؟

وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ
الْقُرْظِيُّ قَالَتْ عَائِشَةُ وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ فَشَكَتُ إِلَيْهَا وَأَرْتَهَا خُضْرَةً بَجِلْدِهَا

(١) صحيح البخاري « كتاب الحيض » باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف
تغتسل _ رقم ٣٠٨ .

(٢) المرجع السابق ١/١٣٥ .

فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا قَالَتْ عَائِشَةُ مَا رَأَيْتُ
 مِثْلَ مَا يَلْقَى الْمُؤْمِنَاتُ لَجْلُدِهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا قَالَ وَسَمِعَ أَنَّهَا قَدْ أَتَتْ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا قَالَتْ وَاللَّهِ مَا لِي إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ
 إِلَّا أَنْ مَا مَعَهُ لَيْسَ بِأَغْنَى عَنِّي مِنْ هَذِهِ وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ ثَوْبِهَا فَقَالَ كَذَبَتْ
 وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَنْفُضُهَا نَفْضَ الْأَيْدِيمِ وَلَكِنَّهَا نَاشِرٌ تُرِيدُ رِفَاعَةَ فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ تَحْلِي لَهُ أَوْ لَمْ تَصْلُحِي لَهُ حَتَّى
 يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكَ قَالَ: وَأَبْصَرَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ، فَقَالَ: "بُنُوكَ هَؤُلَاءِ"
 قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "هَذَا الَّذِي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ فَوَاللَّهِ لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْ
 الْعُرَابِ بِالْعُرَابِ". رواه البخاري (١).

وفي صحيح مسلم عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ امْرَأَةً رِفَاعَةَ إِلَى
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلَّاقِي
 فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الزَّبِيرِ وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفَاعَةَ لَا حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ
 وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ" قَالَتْ وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَهُ وَخَالِدٌ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ

(١) صحيح البخاري _ كتاب اللباس _ باب ثياب الخضر _ رقم ٥٤٨٧ .

فَنَادَى يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَسْمَعُ هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

فكانت النساء يطرحن مشاكلهن أمام أمهات المؤمنين وخاصة عائشة رضي الله عنها، فعن إياس بن عبد الله (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذنرنا النساء على أزواجهن "أي اجترأن ونشزن"، فرخص في ضربهن "يعني إذا دعت الضرورة ولكن ضرباً غير مبرح" فأطاف بآل رسول الله ﷺ، "يعني أحاط النساء بيوت رسول الله ﷺ يشكون أزواجهن عند أمهات المؤمنين" فقال رسول الله ﷺ: «لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم» رواه أبو داود (٢) وابن ماجه (٣) وغيرهما.

وهذا يدل أيضاً على أثر أمهات المؤمنين في رفع المعاناة عن غيرهن، فكن رضي الله عنهن موائلاً ومرجعاً لكثير من القضايا التي يهتم لها المسلمون وخاصة ما له صلة بأهلهم وما يتعلق بالحياة البيئية.

(٢) صحيح مسلم _ كتاب النكاح _ باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها ١٤٣٣ .

(٢) سنن أبو داود _ رقم ٢١٤٦ .

(٣) سنن ابن ماجه _ رقم ١٩٨٥ .

ومما اعتنين به وبتبليغه للأمة: كثير من مسائل الطهارة عموماً، والمسائل النسائية خصوصاً.. ومن ذلك: ما رواه مسلم في "صحيحه" عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ فَقَالَتْ يَا عَجَبًا لِبْنِ عَمْرٍو هَذَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ أَفَلَا يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَحِلَّقْنَ رُءُوسَهُنَّ لَقَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنْاءٍ وَاحِدٍ وَلَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أُفْرِغَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثَ إِفْرَاغَاتٍ (١)

وأكدت هذا الحكم أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَشَدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِعُسْلِ الْجَنَابَةِ قَالَ لَا إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَحْتِثِي عَلَى رَأْسِكَ ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكَ الْمَاءَ فَتَطْهَرِينَ وَحَدَّثَنَا عَمْرٍو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى فِي هَذَا الْإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فَأَنْقُضُهُ لِلْحَيْضَةِ وَالْجَنَابَةِ فَقَالَ لَا ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ عَدِيٍّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ

(١) صحيح مسلم « كتاب الحيض » باب حكم ضفائر المغتسل رقم ٣٣١.

زُرَيْعٌ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ أَفَاحُّهُ فَأَغْسِلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَيْضَ (١).

وعن معاذة بنت عبد الله أن امرأة قالت لعائشة: أتجزئ إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله.

وفي رواية قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. متفق عليه (٢).

وإنما نسبتها إلى حروراء لأنها مكان تجمع الخوارج ولهم آراء مبتدعة ضالة، ومنها أنهم يرون أن على الحائض قضاء الصلاة وذلك على أصلهم في رد السنة.

وكان نساء الصحابة يكثرن من استفتاء أمهات المؤمنين وخاصة في مسائل الطهارة، وكن يرسلن إلى عائشة ليتبين الطهر، كما نقل ذلك البخاري في "صحيحه" (٣) عن عائشة.

وبين أمهات المؤمنين جوانب من هديه ﷺ في بيته وتعامله مع أهله، فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت أشرب وأنا حائض،

(١) صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب حكم ضفائر المغتسلة - رقم ٣٣٠.

(٢) صحيح البخاري - رقم ٣٢١، صحيح مسلم - رقم ٣٣٥.

(٣) في كتاب "الحيض"، باب إقبال المحيض وإدباره: وكن نساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف فيه الصفرة. فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء. تريد بذلك الطهر من الحيضة.

ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض " أي تأكل اللحم من العظم بأسنانها " ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في رواه مسلم (١).

وهذا يوضح مدى تطفه ﷺ بأهله، خاصة وأن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجالسوها في البيوت. ولما بلغ اليهود هذا الهدى قالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

فهكذا كن في حرصهن على معرفة ما ينفعهن من أحكام، يجعلهن يبحن، بأخص أسرارهن.. وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين.. من أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها.

وأوضحت عائشة - رضي الله عنها - ما يكون من رسول الله ﷺ حينما يكون في بيته، وبينت قيامه الليل وصلاته وتهجده، وبينت جوانب عظمة من تعامله ﷺ.

ومن ذلك ما رواه البخاري (٢) عنها أنها سألت: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إل الصلاة".

(١) صحيح مسلم - رقم ٣٠٠.

(٢) في صحيحه (رقم ٦٧٦، ٥٣٦٣، ٦٠٣٩).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في شرحه: وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله (١).

وترجم عليه المؤلف الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من "صحيحه" فقال: كيف يكون الرجل في أهله.

وروي عن عائشة أنها وصفت النبي ﷺ فقالت: "كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان بسّاماً".

فكان لزوجاته الطاهرات أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأفعاله البيتية.. وعلى رأسهن السيدة عائشة (رضي الله عنها) فكانت من الذكاء والفهم بمكان.. فعن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحداً أعلم بالقران ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بفقه، ولا بطب، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة" (٢)

وعن الزهري قال: لو جمع علم الناس كلهم، ثم علم أزواج رسول الله ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً" (٣)

وعن عطاء بن أبي رباح قال: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة. (٤)

(١) فتح الباري (٢/١٦٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ١١/٤ والمعجم الكبير للطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣) الحاكم في المستدرک ١١/٤.

(٤) المرجع السابق.

وعن سفيان بن عيينة قال : قال معاوية بن أبي سفيان، يا زياد، أي الناس أعلم ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أعزم عليك، قال: أما إذا عزمت عليَّ عائشة.

كان يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ .. فعن أبي موسى ﷺ قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً " رواه الترمذي وصححه الألباني . (١)

وعن القاسم بن محمد قال: كانت عائشة (رضي الله عنها)، قد اشتغلت بالفتوى زمن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وهلمَّ جرأً إلى أن ماتت وكنت ملازماً لها ."

وروى لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان حديث وعشرة أحاديث (٢٢١٠) أتفق الشيخان منهما على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم "ثمانية وسبعين .
وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) أجمعين.

• أخي المسلم .. أختي المسلمة :

تعالوا معي لننظر كم سنة صحبت عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ ، روى مسلم عنها: أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بنت سبع سنين،

(١) مشكاة المصابيح - كتاب المناقب - باب مناقب أزواج النبي ﷺ ٣/١٧٤٦ .

وزفت إليه وهي بنت تسع سنين ولعبها معها، ومات عنها وهي بنت ثمان عشر سنة "

نجدها صحبت رسول الله ﷺ تسع سنوات، فكان محصلتها هذا العلم الكثير، وقد ورد فيها حديث قال عنه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية أنه لا يثبت " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ."

وانت أخت المسلمة:

كم سنة صحبتي زوجك ؟ كم تعلمت منه !!؟

فلا أدري العيب فيك أم في زوجك ؟

صراحة لا نظلمك، فالعيب في الرجال، لأنهم في خارج البيت دعاة، وداخل البيت، أصحاب الطعام والشراب وقضاء الحاجات والشهوات، ونسوا قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

- والمرأة ظل الرجل ولا يستقيم الظل والعود أعوج.
- والمشايخ كل يوم يقولون يا أحباب اتقوا الله في النساء، وأقيموا حلقة التعليم في البيت ولكن لا حياة لمن تنادى !! إلا من رحم ربي.

نسأل الله عز وجل أن يجعل بيوتنا كبيت النبي ﷺ ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (١)

قالت أم سلمة رضي الله عنها : كان الناس علي عهد رسول الله ﷺ يضعون أبصارهم في الصلاة موضع سجودهم ، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه قريبا من سجودهم ، وفي عهد عمر طمحت أبصارهم إلي القبلة ، وفي عهد عثمان رضي الله عنه التفتوا يمينا وشمالا فحدثت الفتنة .

وهذا يدل علي فقه أم سلمة رضي الله عنها وفهمها ، حيث ربطت حال الأمة بحالهم في صلاتهم .. ودليل علي قوة استنباطها للأحكام الفقهية الموافقة للنبي ﷺ، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال : كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية، يمسح صدورنا، ومناكبنا، يقول : " لا تختلفوا فتختلف قلوبكم " رواه أبو داود بإسناد حسن (٢). وعن النعمان

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٤.

(٢) رياض الصالحين _ باب فضل الصف الأول ص ٣٩٥.

بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لتسون صفوفكم أو لا يخالفن الله بين قلوبكم " متفق عليه حسن (١) .
وقد رزقت أم سلمة هذا الفهم بسبب تضحيتها لدين الله عز وجل .

فقر

أم كلثوم بنت عقبة

عَنْ أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ عُقْبَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَكَرِهَتْهُ، وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَتْ لِلزُّبَيْرِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، رُوْحَنِي بِتَطْلِيْقَةٍ . قَالَتْ : وَذَلِكَ حِينَ وَجَدْتِ الطَّلُقَ . قَالَ : وَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ أُطَلِّقَكَ تَطْلِيْقَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ أُرَاجِعُكَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي أَجِدُنِي أَسْتَرُوْحُ إِلَى ذَلِكَ ، قَالَ : فَطَلَّقَهَا تَطْلِيْقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَتْ لِجَارِيَتِهَا : أَغْلِقِي الْأَبْوَابَ ، قَالَ : فَوَضَعَتْ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ : فَاتَى الزُّبَيْرُ فَبُشِّرَ بِهَا ، فَقَالَ : مَكَرَتْ بِي ابْنَةُ أَبِي مُعِيْطٍ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، " فَأَبَاتَهَا مِنْهُ " (٢) .

(٢) المرجع السابق .

(٢) المستدرك على الصحيحين « كتاب الطلاق » عدة الحامل المتوفى عنها زوجها_ رقم

فقرة أم الشافعي (رحمها الله)

شهدت أم الشافعي عند القاضي هي ورفيقتها، فأراد القاضي أن يفصل بينهما، فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (١).

فقرة

رباب بنت سيد التابعين (سعيد بن المسيب)

ومن حلقة التعليم في البيت تخرجت ابنة سيد التابعين سعيد بن المسيب (رحمه الله) التي خطبها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لابنه الوليد.. فرفض سعيد بن المسيب وخشي على ابنته من الترف في قصور بني أمية فتنسى ربها.... وفي يوم من الأيام غاب عن مجلسه تلميذه عبد الله بن وداعة، لبضعة أيام ثم عاد مرة ثانية، فسأله ابن المسيب: عن غيابيه؟ فأخبره بوفاة زوجته وانشغاله بذلك، فقال ابن المسيب: فهلا أخبرتنا حتى نشهدا ونشاطرك العزاء؟ ثم سأله: هل استحدثت امرأة؟ هل تزوجت بأخرى؟ قال ابن وداعة: لا ومن الذي يزوجني لا أملك من الدنيا إلا ثلاثة دراهم،

فقال ابن المسيب: أنا ثم وضع يده في يد عبد الله بن وداعة أمام الحاضرين إلى لمجلسه في مسجد رسول الله ﷺ ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى علي نبيه ﷺ، ثم أشهد جماعة المسلمين أنه زوج كريمته لعبد الله بن وداعة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأخذ سعيد بن المسيب ابنته ثم ذهب إلى بيت عبدالله بن وداعة ثم طرق الباب فخرج عبد الله فقال له سعيد: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، ثم تركهم وانصرف، ولما أراد ابن وداعة أن يخرج، قالت له زوجته: إلى أين؟ قال: لأحضر درس سعيد. فقالت له: اجلس هنا أعلمك علم سعيد.

• وهذه النريحة من فوائد عظيمة جداً:

١- درس وعبره لكل من ينتظر من يطرق عليه الباب خاطباً لابنته، فمن ينتظر؟ دكتور.. مهندس.. صاحب الشركة.. صاحب المصنع.. أم صاحب الدين!!؟

٢- كم كان في هذا الزواج من بساطة؟

٣- ماذا تدل كلمة المرأة لزوجها " اجلس حتى أعلمك علم سعيد "؟

تدل: على حلقات التعليم التي كان يبثها سعيد في بيته لزوجته ولأولاده .
فلا تتعجب فإن أبيها سيد فقهاء التابعين.. وأمها بنت أبي هريرة رضي الله عنه.

• ونختم بذكر بعض النساء الفقيهاات:

(١) نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة على السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت وطاقق إن نزلت . وطاقق إن وقفت .. فرمت بنفسها على السلم وسط الدار، فقال لها: فذاك أبى وأمي ، إن مات الإمام مالك أحتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

(٢) وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شئ من القراءة ، قال : اذهبوا فاسألوا حفصة بنت سيرين لأخته كيف تقرأ . (١).

(٣) وكانت أم عيسى بنت إبراهيم الحربي فاضلة عالمة تفتي في الفقه . (٢)

(٤) قال أبو الحسن الدار قطني: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحاملي .. حفظت القرآن والفقه علي مذهب الشافعي ، والفرائض وحسابها ، والنحو وغير ذلك من العلوم .. مسارعة في الخيرات، وحدثت وكتب عنها الحديث (٣) .

(٥) وهذه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي الحنفي صاحب كتاب " تحفة الفقهاء " حفظت التحفة فكانت فقيهة ، طلبها كثير من الرجال فلم يزوجها والدها، وعندما صنف أبو بكر الكاساني كتابه " بدائع الصنائع" وهو شرح التحفة عرضه على شيخه - أبوها - ففرح به كثيراً وزوجه ابنته وجعل

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ / ١٤ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

مهرها منه ذلك فقالوا : شرح تحفته فزوجه ابنته ، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها فلما تزوجت صاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها.. مهرها كتاب وأم سليم مهرها إسلام أبو طلحة .. نساء تشرف التاريخ بذكرهن .

٦) الأميرة مفسرة القرآن، زيب النساء (زين النساء)، بنت الملك أورنك زيب عالمكير سلطان الهند، كانت حافظة للقرآن مفسرة له، كتبت تفسيراً لكتاب الله عز وجل، ويعد تفسيرها هذا من أوائل التفاسير التي انفردت بها النساء، تفردت بتفسير القرآن العظيم كاملاً.



وفيات لأزواجهن

امرأة نبي الله أيوب (عليه السلام) ^(١)

كان أيوب (عليه السلام) رجلاً كثير المال من سائر صنوفه، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب، ذاكراً لله في ليله ونهاره وصباحه ومساءه، وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأيس، وأخرج من بلده، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، وكانت تتردد إليه وتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته، وضعف حالها، وقل مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر وتطعمه، وتقوم بأوده (رضي الله عنها) وهي صابرة معه على ما حل بها من فراق المال والولد، وما يختص به من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب (عليه السلام) خوفاً أن ينالهم من بلاءه أو تُعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها، فعمدت إلى شعرها فقصته، وباعت

(١) قيل: أن اسمها رحمة بنت إفرائيم، وقيل: ليا بنت يعقوب وقيل: ليا بنت منسا بن يعقوب.

لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام طيب كثير، فأنتت به أيوب، فقال من أين لك هذا، وأنكره، فقالتك خدمت به أناسا، فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأنتته به فأنكره أيضا وحلف لا يأكله، حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها مخلوقاً، قال في دعاءه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١) فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلي أيوب في مكانه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٢) أي اضرب الأرض بـرجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله له عينا باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها، فأذهب الله عنه ما كان يجد من الألم والأذى والسقم والمرض الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك كله، صحة ظاهرة وباطنة، وجمالا تاما، فجاءت فلم تجده، فاستبطأته، فتلقته تنظره، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته، قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله القدير علي ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحاً؟ قال: إني أنا هو.. فعوض الله صبرهما خيراً، وأبدلهما بعد الشقاء والعناء الراحة والسعادة، وأخلفهما الولد، وأعطاهما المال الكثير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنبياء _ الآية، ٨٢

(٢) سورة ص _ الآية ٤٢.

قَالَ : " بَيْنَمَا أَيُّوبُ يُغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْتِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَأَغْنِي لِي عَنْ بَرَكَتِكَ " رواه البخاري (١).

أختي المسلمة.. انظري إلي إخلاص هذه المرأة العظيمة لزوجها، وصبرها عليه، ووفاءها له، وصيانتها لنفسها، وتفانيها في خدمته، ولم تتركه في أيام محنته.. كل ذلك ابتغاء مرضاة ربه (٢).

نائلة بنت الفرافصة

زوجة عثمان بن عفان (رضي الله عنهما)

نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبى، ولدت من عائلة نصرانية في الكوفة، من بني كلب، أحد أشهر بطون العرب في الفصاحة والبلاغة، ولم تكن فصاحة قومها تقتصر على رجالهم بل شملت

(١) صحيح البخاري _ كتاب أحاديث الأنبياء _ باب قول الله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أني

مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) رقم: ٣٢١١.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٧٢.

نساءهم أيضاً.. خطبها عثمان بن عفان رضي الله عنه في العام الثامن والعشرين من الهجرة، وقد زوجها له أخوها ضب، وحملها إلى عثمان في المدينة، وكان مسلماً وكان أبوها نصرانياً، وقد تزوجها عثمان وهي نصرانية، وقبيلتها - قبيلة كلب - كلها يومئذ نصارى.

وقد أسلمت نائلة على يديه، وقيل: علي يد عائشة بنت أبي بكر.

وأنجبت له من الولد ثلاثاً: أم خالد، وأروي، وأم أبان الصغرى.

وحين اجتمع بها رفع قلنسوته عن رأسه فظهر الصلع فيه، فقال لها: يا بنت الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي! فإن تحته ما تحبين. فأمسكت عن الكلام.. فبادرها بقوله: إماماً تقومي إليّ، وإماماً أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع فإنني من نساء أحب بعولتهن إلهن السادة الصلع، وأما قولك: إماماً أن تقومي إليّ، وإماماً أن أقوم إليك، فوالله إن ما تجشمته من قطع الصحراء الواسعة والسفر الطويل، لأبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت وجلست إلى جواره.. فمسح على رأسها ودعا لها بالبركة، فبوركت بفضل من الله عز وجل.

أنجبت نائلة بنت الفرافصة لعثمان بنتاً، وقيل: بنتاً وولداً.. وكانت له طيلة حياتها معه الزوجة المطيعة الحانية، حتى وصل الطوفان إلى المدينة قادماً من البصرة والفسطاط، يحمل معه آلاف من الغوغاء الذين تأبطوا الشر بسيوفهم يريدون قتل الخليفة عثمان بن عفان.. فحاصروا بيته ونائلة معه تشد من عزيمته، وتؤنس وحدته.

حتى إذا خشي الرعاع من المحاصرين قدوم جيش من الشام لإنقاذ الخليفة المحاصر، قفزوا على داره لا يألون لبيته حرمة، ولا لصحبته مكانة، ولا لفضائله ذكراً في نفوسهم الآثمة، فقرروا قتله وهو صائم يقرأ القرآن!

عندها أرادت نائلة بنت الفرافصة أن تمنع دخولهم إلى منزلها، فنشرت شعرها ظناً منها أن في قلوبهم بضعة من إيمان وفضيلت يصبون عليهم دينهم.. لكن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) منعها في قوله لها: "خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليّ أهون من حرمة شعرك.

فلم يكن من نائلة وهي ترى السيوف تقترب من زوجها الحبيب إلا وضعت يديها لتتقي السيف عن عثمان، فقطع السيف أصابعها ومضى في بطن الخليفة الراشد وزوجته تحاول صد السيوف عن جسده حتى قُتل.

إنها لم تكن من صحابيات رسول الله ﷺ يوماً، ولكنها نهلت من معين أحد صحابته زوجها عثمان بن عفان.. كانت بجانبه يوم شدته، ودافعت عنه بجسدها حتى قُطعت أصابعها.. وحين هجم عليه أحدهم وهوى عليه بسيفه تلقت السيف بيدها فقطعت أناملها، فصرخت على رباح غلام عثمان، فأسرع نحو الرجل فقتله، وبينما كانت تهرع لإمساك سيف رجل ثانٍ لكن الرجل تمكن من أن يقطع أصابع يدها الأخرى وهو يدخل السيف في بطن عثمان ليقتله، وحين هموا بقطع رأسه ألقته عليه بنفسها إلا أنهم لم يرحموا ضعفها، ولم يعرفوا لعثمان قدره، فحزوا رأسه، ومثّلوا به، فصاحت والدم يسيل من أطرافها: إن أمير المؤمنين قد قُتل، إن أمير المؤمنين قد قُتل. ثم

دخل رجل عقب مقتل عثمان، فإذا رأسه في حجرها. فقال لها: اكشفي عن وجهه. قالت: ولم؟ قال الرجل: أطم حُرَّ وجهه فقد أقسمت بذلك. فقالت: أما ترضى ما قال فيه رسول الله (، قال فيه كذا وكذا. فقال: اكشفي عن وجهه. ثم هجم عليها فاطم وجه عثمان، فدعت عليه قائلة: يبس الله يدك، وأعمى بصرك.

فلم يخرج الرجل من الباب إلا وقد يبست يداه، وعمى بصره. وتركت جثة عثمان في مكانها دون أن يجرؤ أحد على تجهيزه ودفنه، فأرسلت إلى حويطب بن عبد العزى وجبير بن مطعم، وأبى جهم بن حذيفة، وحكيم بن حزام، ليجهزوا عثمان، فقالوا: لا نقدر أن نخرج به نهاراً. وحين حلّ الظلام خرجوا به بين المغرب والعشاء نحو البقيع، وهي تتقدمهم بسراج ينير لهم وحشة الظلام حتى تم دفنه بعد أن صلى عليه جبير بن مطعم وجماعة من المسلمين، ثم ألقوا عليها جداراً ليعفي أثره، حتى لا ينبشه الثوار، ثم قالت ترثيه:

ومالى لا أبكى وأبكى قرابتي	وقد ذهبت عنا فضول أبى عمرو
----------------------------	----------------------------

وبعد أن دُفن عثمان رضي الله عنه خطبت نائلة -رضى الله عنها- في المسلمين، فقالت: معاشر المؤمنين وأهل الله لا تستكثروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإنى حزينة أُصِبتُ بعظيم وتذوقت تكلماً من عثمان بن عفان ثالث الأركان من أصحاب رسول الله، فقد تراجع الناس في الشورى حين تقدم، فلم يتقدمه متقدم ولم يشك في فضله متأثم.

ولم تكتف نائلة بذلك بل أرسلت إلى معاوية بكتاب مرفق معه قميص عثمان ممزقاً مليئاً بالدماء، وعقدت في زر القميص خصلة من شعر لحيته، قطعها أحد قاتليه من ذقنه، وخمسة أصابع من أصابعها المقطوعة.

وأوصت إليه أن يعلق كل أولئك في المسجد الجامع في دمشق، وأن يقرأ على المجتمعين ذلك الكتاب، وكان بعض ما جاء فيه: إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه

بعزم الله عليكم، فإنه قال: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١). وقد اجتمع لسماعه

خمسون ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وأصابعها.

وعاشت نائلة حافظة لذكرى عثمان بن عفان رضي الله عنه وظلت وفيه له، فلم

تنزوج وكانت من أجمل النساء.

(١) سورة الحجرات _ الآية ٩ .

فتردد عليها الخطاب، وكلما جاءها خاطب رَدَّتْهُ، وكانت نائلة مليحة الثغر، فتقدم معاوية (رضي الله عنه) لخطبتها فأبَتْ، وسألت النساء عما يعجب الخطاب فيها، فقلن: ثناياك فكسرت ثناياها بحجر، وأرسلت بهن إلى معاوية وقالت: والله لا يجتليكن أحد بعد عثمان (١).

ولما سُئِلَتْ عما صنعت، قالت: حتى لا يطمع في الرجال بعد عثمان (رضي الله عنه). وقالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان، فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان، وذلك ما لا يكون أبداً. عاشت طيلة حياتها معه له زوجة مخلصه وفيه ومطيعه، وكان عثمان يستشيرها دائماً لسداد رأيها، وقد حظيت في بيته بمكانة كبيرة.. وقد روت السيدة نائلة عن عائشة -رضي الله عنها- بعضاً من أحاديث رسول الله، ثم توفيت بعد جهاد عظيم لخدمة الإسلام.

كم كان حبها ووفاءها النادر لزوجها الحبيب الذي بقي خالداً في ذكراها. فأين أنت أختي المسلمة من نائلة بنت الفرافصة تلميذة مدرسة عثمان بن عفان، التي تعلمت فيها حب الزوج حين أحبها، فوهبته حياتها حياً وميتاً.. ودافعت عنه بجسدها حين داهمه الخطر؟.

وأقول لكل رجل: أحبّ زوجتك لتحبك واعطها ودك لتودك، وأكرمها لتكرمك.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٢/٢٣٩ .

أم الدرداء (رضي الله عنهما)

اسمها هجيمة ويقال جهيمة تابعة عابدة عالمة فقيهة كان الرجال يقرؤون عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفحمة يشتغل عليها وهو خليفة، رضي الله عنها.

يأتيها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خاطبا بعد موت أبي الدرداء ، فأبت أن تتزوجه، وقالت سمعت أبا الدرداء يقول : قال النبي ﷺ : " المرأة في آخر أزواجها " أو قال : " لآخر أزواجها " أو كما قال ، ولست أريد بأبي الدرداء بدلا (١).

وعن جبير بن نفير، عن أم الدرداء، أنها قالت لأبي الدرداء عند الموت: إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة. قال: فلا تنكحين بعدي. فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان، فقال: عليك بالصيام.

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموية، كان أبوها أحد أمراء بني أمية، وأمها أم المغيرة بنت خالد

بن العاص المخزومية، وقد تزوجها عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد رحمه الله تعالى، وهي أم بعض بنيه. وكانت عوناً له على حياة الورع والزهد، وصبرت معه على تقشفه وزهده، وروت عنه كثيراً من العلم.

وقد اكتمل عقد فضلها حين أضفت عليه من جواهر العلم ودرره الشيء الكثير، فقد حرصت على طلبه، حتى أضحت راوية للحديث، وقد كانت ممن ذكرها أبو زرعة فيمن حدثت بالشام من النساء، وقد روى عنها عدد من العلماء والتابعين أمثال عطاء بن أبي رباح المكي التابعي مفتي أهل مكة ومحدثهم، وكذلك روى عنها أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وغيرهما.

وبذا اكتمل لفاطمة عقد كمال، بخيرة الرجال وهو الزوج الصالح، فأتى الله نعمته عليها وهو الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

فقد تربى ابن عمها عمر بين إختوتها في قصر والدها بعد وفاة أبيها عبد العزيز بن مروان حيث ضمه عبد الملك إليه ورباه بين أبنائه، وحين بلغت فاطمة سن الصبا اليافع، ونضج شبابهما، اختار لها أبوها ابن عمها عمر زوجاً وكفوراً لها.

فأعجبها اختيار أبيها، وفرح عمر بها، وأجاب عمه قائلاً: وصلتك الله يا أمير المؤمنين، فقد كفيت المسألة وأجزلت العطية، فإزداد عمه إعجاباً به.

وكان عمر منذ نشأته فصيحاً لساناً، فلما سأله عمه عن نفقته -ضماناً

لمعيشة ابنته- فأجابه: هي بين السيئتين .

قال: وما هما؟

قال: قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(١) فسُرَّ عبد الملك به وتساءل عن علمه هذا؟!!

وزُفَّت فاطمة إلى زوجها، فكان يوم زفافهما من الأيام المشهودة في دمشق، فقد ذكر من حضر عرسهما أنهم كانوا يسرجون القناديل بالغالية بدلاً من الزيت.

وهي التي يقول فيها وضاح اليمن:

أخت الخلف والخليفة زوجها	بنت الخليفة والخليفة جدها
--------------------------	---------------------------

فقد كان أبوها وجدها خليفتين من خلفاء بني أمية، وقد ولي الخلافة زوجها عمر بن عبد العزيز، ووليها أربعة من إخوتها وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وقد ذكر الزبير بن بكار والسيوطي أنه لم يحصل هذا لغيرها من النساء.

وعاشت فاطمة مع عمر عيشة مترفة منعمة، فقد أضحى عمر والي المدينة، ورزقهما الله منه بابنين اثنين هما: إسحاق ويعقوب.

ودامت هذه الحياة الهنيئة حتى كان عام تسع وتسعين من الهجرة حين تولى زوجها خلافة الأمة، فانقلبت حياته، وغدا _ وهو الشاب الذي غُذي من آنية الملك - إماماً زاهداً تتنقل مسئولية الخلافة كاهله.

قال لها عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة (وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله) : اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال، وإما

(١) سورة الفرقان _ الآية ٦٧ .

أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد، قالت: لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك، قالت لا والله، لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته.

وفي الزهد لابن المبارك أخبرنا إبراهيم بن نشيط حدثنا سليمان بن حميد عن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال ألا تخبريني عن عمر قالت ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ولا احتلام منذ استخلف(١).

ومع ذلك بكت عليه حتى عشي بصرها.. إنه الحب .. إنه الوفاء .. إنه الرباط الوثيق الذي لا يستطيع أحد أن يقطعه(٢).

سعدى الوفية!!!

ذكر أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق، وكان المجلس مفتوح الجوانب لدخول النسيم، فبينما هو

(١) سير أعلام النبلاء - باب ترجمة عمر بن عبد العزيز .

(٢) انظر ترجمتها في تاريخ الخلفاء للسيوطي، ٩٥/١، حلية الأولياء لأبي نعيم، عمر بن عبد

العزيز، رقم الحديث: ٧٣٥٠، تاريخ دمشق

على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجلٍ يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ، فتأمّله معاوية، ثمّ قال لجلسائه: لم يخلق الله ممّن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثمّ قال: يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصّته فوالله لئن كان فقيراً لأغنيّه، ولئن كان شاكياً لأنصفّه، ولئن كان مظلوماً لأنصرنّه، ولئن كان غنياً لأفقرنّه. فخرج إليه الرسول متلقياً فسلم عليه فردّ عليه السلام. ثمّ قال له: ممّن الرّجل؟ قال: سيدي أنا رجلٌ أعرابيٌّ من بني عذرة، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامه نزلت بي من بعض عمّاله.

فقال له الرّسول: أصبحت يا أعرابي؟ ثمّ سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثمّ أنشأ يقول:

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل	ويا ذا الندى والجود والنّابل الجزل
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي	فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بإنصافٍ من الجائر الذي	شواني شيئاً كان أيسره قتلي
سباني سعدى وانبرى لخصومتي	وجار ولم يعدل، وأغصبني أهلي
قصدت لأرجو نفعه فأثابني	بسجنٍ وأنواع العذاب مع الكبل
وهمّ بقتلي غير أن منيتي	تأبّت، ولم أستكمل الرّزق من أجلي
أغثني جزاك الله عني جنّة	فقد طار من وجدٍ بسعدى لها عقلي

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا أعرابي إنني أراك تشتكي عاملاً من عمّالنا ولم تسمه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وهو والله ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة.

قال معاوية: وما قصتك معه يا أعرابي. قال: أصلح الله الأمير، كانت لي بنت عمّ خطبتها إلى أبيها فزوجني منها. وكنت كلفاً بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقراية.

فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حالٍ وأنعم بالٍ، مسروراً زماناً، قرير العين.

وكانت لي صرمةً من إبلٍ وشويهات، فكنت أعولها ونفسي بها. فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر، فوقع فيها داءٌ فذهبت بقدرة الله.

فبقيت لا أملك شيئاً، وصرت مهيناً مفكراً، قد ذهب عقلي، وساءت حالي، وصرت ثقلاً على وجه الأرض. فلما بلغ ذلك أباهما حال بيني وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردني، ودفعها عني.

فلم أدر لنفسي بحيلةٍ ولا نصرةٍ. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمي، فبعث إليه، فلما وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط.

قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راضٍ بالجارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعةً، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني، وأمر بي إلى السجن.

فبقيت كأني خررت من السماء في مكانٍ سحيق، ثم قال لأبي بعدي: هل لك أن تزوجه مني، وأنقدك ألف دينار، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهمٍ تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوجتها منك. فلما كان من الغد بعث إليّ، فلما أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلق سعدى. قلت: لا أفعل.

فأمر بضربي ثم ردني إلى السجن، فلما كان في اليوم الثاني قال: عليّ بالأعرابي.

فلما وقفت بين يديه، قال: طلق سعدى.
فقلت: لا أفعل.

فسلّط عليّ يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحدٌ عليّ وصفه، ثم أمر بي إلى السجن؛ فلما كان في اليوم الثالث قال: عليّ بالإعرابي، فلما وقفت بين يديه قال: عليّ بالسيف والنّطع وأحضر السيّاف، ثم قال: يا أعرابي، وجلالة ربّي، وكرامة والدي، لئن لم تطلق سعدى لأفرّقن بين جسدك وموضع لسانك.

فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقاً واحدة على طلاق السنّة، ثمّ أمر بي إلى السّجن فحبسني فيه حتّى تمت عدتها ثمّ تزوّجها، فبنى بها، ثمّ أطلقتني.

فاتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدي الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبّها بلا عقل، ثمّ انتحب حتّى كادت نفسه تفيض. ثمّ أنشأ يقول:

في القلب مني نارٌ	والنار فيه الدّمار
والجسم مني سقيمٌ	فيه الطّبيب يحار
والعين تهطل دمعاً	فدمعها مدرار
حملت منه عظيماً	فما عليه اصطبار
فليس ليلى ليلٌ	ولا نهاري نهار
فارحم كئيباً حزيناً	فؤاده مستطار
اردد عليّ سعادي	يثيبك الجبار

ثمّ خرّ مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنّه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً، فلما نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثمّ جلس، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

اعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدّين، وإحساراً في حرم المسلمين، ثمّ قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديثٍ ما سمعت بمثله.

ثم قال: يا غلام عليّ بداوةٍ وقرطاسٍ فكتب إلى مروان: أمّا بعد، فإنّه بلغني عنك أنّك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدين، وانتهكت حرمةً لرجلٍ من المسلمين.

وإنّما ينبغي لمن كان والياً على كورةٍ أو إقليمٍ أن يغيضَ بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذّاته.

وإنّما الوالي كالرّاعي لغنمةٍ، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذنباً فمن يحوطها بعده.

ثمّ كتب بهذه الأبيات:

وليت، ويحك أمراً لست تحكمه	فاستغفر الله من فعل امرئ زاني
قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ	مع القراطيس تمثالاً وفرقان
حتى أتانا الفتى العذريّ منتحباً	يشكو إلينا ببثّ ثمّ أحزان
أعطي الإله يميناً لا أكفرها	حقّاً وأبرأ من ديني ودياني
إن أنت خالفتني فيما كتبت به	لأجعلنك لحماً بين عقباني
طلق سعاد وعجلها مجهّزةً	مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلّغت في بشرٍ	ولا كفعلك حقّاً فعل إنسان
فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها	أو أن تلاقي المنايا بين أكفان

ثمّ ختم الكتاب، وقال: عليّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبيّ البريد.

فلمّا وقفا بين يده قال: أخرجنا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا

تضعاه إلاّ بيده.

قال: فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه، فسَلِّمًا ثم ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردده، ثم قام ودخل على سعدى وهو باك، فلما نظرت إليه قالت له: سيدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد علي في أمرك يأمرني فيه أن أطلقك وأجهزك وأبعث بك إليه.

وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثم يقتلني، فكان ذلك أحبّ إليّ.

فطلقها وجهزها ثم كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

أوفي بنذك في رفق وإحسان	لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد
فكيف أدعى باسم الخائن الزاني	وما ركبت حراماً حين أعجبتني
منك الأماقي على أمثال إنسان	أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت
عند الخليفة إنس لا ولا جان	فسوف يأتيك شمس لا يعادلها
حتى أضمنّ في لحدٍ وأكفان	لولا الخليفة ما طلقته أبداً
حتى خلفته بأوصابٍ وأحزان	على سعادٍ سلامٍ من فتى قلق

ثم دفعه إليهما، ودفع الجارية على الصفة التي حدث له. فلما وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثم قال: والله لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء إلى نفسه.

ثم أمر بالجارية فأدخلت إليه، فإذا بجارية رعبوية لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها.

فَعَجِبَ مَعَاوِيَةَ مِنْ حَسَنِهَا ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى جِلْسَائِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةَ لِكَامِلَةِ الْخَلْقِ فَلَنْ كَمَلْتَ لَهَا النِّعْمَةَ مَعَ حَسَنِ الصَّفَةِ، لَقَدْ كَمَلْتَ النِّعْمَةَ لِمَالِكِهَا. فَاسْتَنْطَقَهَا، فَإِذَا هِيَ أَفْصَحُ نِسَاءِ الْعَرَبِ.

ثُمَّ قَالَ: عَلِيٌّ بِالْأَعْرَابِيِّ.

فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: هَلْ لَكَ عَنْهَا مِنْ سَلْوٍ، وَأَعْوَضَكَ عَنْهَا ثَلَاثَ جَوَارٍ أَبْكَارٍ مَعَ كُلِّ جَارِيَةٍ مِنْهُنَّ أَلْفَ دِرْهَمٍ، عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَ خَلْعٍ مِنَ الْخَزْرِ وَالذَّبِيحِ وَالْحَرِيرِ وَالكَتَّانِ، وَأَجْرِي عَلَيْكَ وَعَلَيْهِنَّ مَا يَجْرِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَجْعَلْ لَكَ وَلِهِنَّ حِظًّا مِنَ الصَّلَاتِ وَالنَّفَقَاتِ؟ فَلَمَّا أْتَمَّ مَعَاوِيَةَ كَلَامَهُ غَشِيَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ وَشَهَقَ شَهْقَةً ظَنَّ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْهَا. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: مَا بِكَ يَا أَعْرَابِي؟ قَالَ: شَرُّ بَالٍ، وَأَسْوَأُ حَالٍ، أَعُوذُ بِعَدْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جُورِ مَرْوَانَ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

لا تجعلني هداك الله من ملك	كالمستجير من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حران مكتتب	يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفته قلق ما مثله قلق	وأسر القلب منه أي إسعار
والله والله لا أنسى محبتها	حتى أغيب في قبوري وأحجاري
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها	فإن فعلت فإني غير كفار
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم	لا فعل غيرك، فعل اللؤم والعار

ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أُعْطِيتُنِي كُلَّ مَا احْتَوَتْهُ الْخِلاَفَةُ مَا رَضِيتُ بِهِ دُونَ سَعْدِي. وَلَقَدْ صَدَّقَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ حَيْثُ يَقُولُ:

أبي القلب إلا حب ليلى وبغضت	إلي نساء ما لهن ذنوب
وما هي إلا أن أراها فجاءةً	فأبتهت حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مقرّ عندنا أنك قد طلقته، وقد بانك منك ومن مروان، ولكن نخيرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحوّل معاوية نحوها ثم قال لها: يا سعدى أيتنا أحب إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره، أو مروان في غضبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأظماره؟. فأشارت الجارية نحو ابن عمّها الأعرابي، ثم أنشأت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأظمار	أعزّ عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التّاج أو مروان عامله	وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثمّ قالت: لست، والله، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحقّ من صبر معه على السراء والضراء، وعلى الشدة والرّخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروعتها وأمر لها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين^(١).



(١) أخبار النساء لابن الجوزي _ باب ما جاء في وصف النساء.

صابرات

أم سليم (رضي الله عنها)

عن أنس قال مات بن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب فقال ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت انه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو ان قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم الهم ان يمنعوهم قال لا قالت فاحتسب ابنك قال فغضب وقال تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ بارك الله لكما في غابر ليلتكما قال فحملت قال فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ قال يقول أبو طلحة انك لتعلم يا رب انه يعجبني ان اخرج مع رسولك إذا خرج وادخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى قال تقول أم سليم يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد انطلق فانطلقنا قال وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاما فقالت لي أمي يا أنس لا يرضعه أحد حتى نغدو به على رسول الله ﷺ

فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال فصادفته ومعه ميسم فلما رأيته قال لعل أم سليم ولدت قلت نعم فوضع الميسم قال وجئت به فوضعت في حجره ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في الصبي فجعل الصبي يتلمظها قال فقال رسول الله ﷺ انظروا إلى حب الأنصار التمر قال فمسح وجهه وسماه عبد الله^(١).

ولقد وجدت لها شبيهة في بني إسرائيل، فعن القاسم بن محمد، قال: هلكت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني فيها، فقال: إنه قد كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم، عابد مجتهد، وكانت له امرأة، وكان بها معجبا ولها محبا، فماتت فوجد عليها وجدا شديدا، وألقى عليها أسفا حتى خلى في بيت، وأغلق على نفسه، واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه أحد، وإن امرأة سمعت به، فجاءته، فقالت: إن لي إليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني إلا أن أشفه بها، فذهب الناس، ولزمت الباب، فأخبر، فأذن لها، فقالت: إني جئتك أستفتيك في أمر، قال: وما هو؟ قالت: إني استعرت من جارة لي حليا فكنت ألبسه وأعيده زمانا، ثم إنهم أرسلوا إليّ فيه فأرده إليهم؟ فقال: نعم والله، قالت: إنه مكث عندي زمانا، فقال: ذلك أحق لردك إياه حين أعار وكوه زمانا

(١) صحيح مسلم _ باب فضائل أبي طلحة الأنصاري ؓ.

، فقالت له : يرحمك الله ! فأتأسف علي ما أعارك الله! ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك ؟ ! فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها . رواه مالك في الموطأ - كتاب الجنائز - باب جامع الحسبة في المصيبة .
ولكن هناك فرق كبير بين أم سليم وامرأة بني إسرائيل، لأن أم سليم، المصاب هو فلذة كبدها، والإسرائيلية ليست المصيبة مصيبتها فكان الشبه في الموعظة فقط.

أم سعد بن معاذ (رضي الله عنهما)

عندما قتل ابنها عمرو بن معاذ (رضي الله عنه) جاءت تعدو، وسعد أخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله ! أمي، فقال: " مرحباً بها " ووقف لها ... فلما دنت عزاها بابنها عمر بن معاذ، فقالت: أما إذا رأيتك سالماً ، فقد اشتوت المصيبة (أي قلت) ثم دعا لأهل من قتل بأحد وقال: يا أم سعد ! أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفَعوا في أهلهم جميعاً قالت: رضينا يا رسول الله ! ومن يبكي عليهم بعد

هذا؟ ثم قالت : يا رسول الله ! أدع لمن خلفوا منهم ، فقال: " اللهم اذهب
حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا " (١).

وما أن تمر سنتان من موت عمرو إلا ويلحق به أخيه البطل الشهيد سعد
بن معاذ (رضي الله عنه) الذي اهتز له عرش الرحمن فرحا بقدم روحه
، علي أثر جرح قد أصابه في غزوة الخندق ، بعد أن حكمه رسول الله ﷺ
في بني قريظة - وهو ابن سبع وثلاثون سنة - فصاحت أمه فقال لها رسول
الله ﷺ: " ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من
ضحك الله إليه، واهتز له العرش " . (٢)

فجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد، فردها الناس فقال رسول الله ﷺ: "
دعوها " ، فأقبلت حتي نظرت إليه وهو في اللحد قبل أن يبني عليه اللبن
والتراب، فقالت: أحسبك عند الله، وعزاها رسول الله ﷺ علي قبره . (٣).
وماتت أم سعد رضي الله عنها في السنة الخامسة من الهجرة، في نفس
السنة التي مات فيها ابنها سعد رضي الله عنه (٤).

(١) السيرة الحلبية ٤٧/٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣٥/٤.

(٢) رواه الحاكم في المسترك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ١٠٦/٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٣٢/٣.

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٨٦/١٣.

أم كلثوم بنت عقبة

أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ ،
وَبَايَعَتْ، وَلَمْ يَتَّهَى لَهَا هِجْرَةٌ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ، وَكَانَ خُرُوجُهَا زَمَنَ
صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا أَخْوَاهَا الْوَلِيدُ وَعِمَارَةُ، فَمَا زَالَا حَتَّى
قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَا: يَا مُحَمَّدُ، فِ لَنَا بِشَرِّطِنَا، فَقَالَتْ: أَتَرُدُّنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ
إِلَى الْكُفَّارِ يَفْتِنُونِي عَن دِينِي وَكَأ صَبْرٍ لِي ، وَحَالُ النِّسَاءِ فِي الضَّعْفِ مَا قَدْ
عَلِمْتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ** الْآيَتَيْنِ فَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حَبُّ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالْإِسْلَامُ ! مَا خَرَجْتَنَ لَزَوْجٍ وَكَمَا مَالٍ، فَإِذَا قُلْنَا ذَلِكَ، لَمْ يُرْجِعْنَنَّ إِلَى
الْكَفَّارِ.

وَلَمْ يَكُنْ لِأُمِّ كَلْثُومٍ بِمَكَّةَ زَوْجٌ فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، ثُمَّ طَلَّقَهَا ،
فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ : إِبْرَاهِيمَ ، وَحَمِيدًا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ
عَنْهَا ، تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ؛ فَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ (١).

انظرن أيتها المسلمات إلي صاحبة هذه السيرة العطرة، كيف فعلت عندما
عُشي علي زوجها، أطمت الخدود؟ أم شقت الجيوب؟ بل لجأت إلي علام

(١) سير أعلام النبلاء_ أم كلثوم بنت عقبة.

الغيوب، الحي القيوم، تستعينُ بها ليرزقها الصبر، فعن عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة وكانت من المهاجرات الأول: في قول الله عز و جل { **و استعينوا بالصبر و الصلاة** } قالت غشي على عبد الرحمن بن عوف غشية فظنوا أنه فاض نفسه فيها فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة فلما أفاق قال: أغشي علي أنفا؟ قالوا: نعم قال: صدقتم إنه جاءني ملكان فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين فقال ملك آخر ارجعاه فإن هذا ممن كتبتم له السعادة وهم في بطون أمهاتهم ويستمتع به بنوه ما شاء الله فعاش بعد ذلك شهرا ثم مات (١).

(١) مستدرک الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

العجوز المؤمنة

وقفت عجوز أمام الحجاج بن يوسف الثقفي، يوم أن سجن ابنها، وحلف بالله للعجوز أن يقتله، فقالت في ثقة: لو لم تقتله لمات!.
ما أعقلك أيتها العجوز المؤمنة، الواثقة بربها.. وكيف أخذت هذا الأمر ببساطة؟ .. فما أحلي الإيمان، إذا امتلأ به القلب، وتنور به العقل، وفاض علي اللسان ، وتزينت به الأركان .

أعرابية مؤمنة

قال الأصمعي: أصيبت أعرابية بابنها وهي حاجة، فلما دفنته، قامت علي قبره وقالت : والله ! يا بني ، لقد غذوتك رضيعا ، وفقدتك سريعا ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها ، فأصبحت بعض النضارة والغضارة ورونق الحياة ، والتنسم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى ، جسدا هامدا ، ورفاة سحيقا ، وصعيداً جرزاً .
أي بني: لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء، وأسكنتك دار البلى، ورممتني بعدك بنكبة الردى.

أي بني: لقد أسفر لي عن وجه الدنيا، صباح داج ظلامه. ثم قالت: أي رب: منك العدل.. وهبته لي قررة عين، فلم تمتعني به كثيرا بل سلبتنيه

وشيكا ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قناعك ، فرحم الله علي من ترحم علي من استودعته الروح ، ووسدته الثرى - اللهم : ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تنكشف الهنات والسوءات .

ولما أرادت الرجوع إلي أهلها، قالت: أي بني ! إنني قد تزودت لسفري، فليت شعري، ما زادك لبعث طريقك، يوم معادك ؟
اللهم إنني أسألك له الرضا، برضائي عنه .

اللهم إنني أستودعك من استودعنتي إياه في أحشائي جنينا واثكل الوالدات، ما أمضى حرارة قلوبهن، وأقلق مضاجعهن، وأقصر نهارهن، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن من السرور، وأقربهن من الأحزان.. ثم حمدت الله ﷻ واسترجعت وانصرفت وأبكت كل الحاضرين.



مُحَبَّات

لِلْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

عن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما)، قال: ماتت رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء (رضي الله عنهما) وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، أما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد (١).

وأخرج ابن سعد عن أم درة، قالت: أتيت عائشة (رضي الله عنها) بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها ما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت لو كنت أذكرتين لفعلت (٢).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٤٣ .

(٢) كذا في الإصابة (حياة الصحابة - باب الإنفاق - قسم عائشة ٢/٢١٩).

وكانت (رضي الله عنها) إذا أخرجت الصدقة تعطرها، وتقول: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل.

وإذا قال السائل: جزاك الله خيرا، تقول للخادم قول له: جزاك الله خيرا. (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

أم المؤمنين

سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)

أخرج ابن سعد ، عن محمد بن سيرين: أن عمر (رضي الله عنه) بعث إلي سودة (رضي الله عنها) بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت في غرارة مثل التمر! ففرقتها .

أم المؤمنين

زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ : " أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا " ، قالت: فكن يتناولن، أيتهن أطول

يداً، قالت: وكان أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . رواه البخاري ومسلم ولللفظ لمسلم . (١)
وفي لفظ البخاري:

قالت عائشة (رضي الله عنها): فكنَّ إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ، نمد أيدينا في الجدار نتناول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة . (٢) .

وكانت زينب امرأة صناع اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله . كذا في الإصابة لابن حجر .

وكانت زينب رضي الله عنها تخاف من فتنة المال . . ويروي لنا ذلك بن سعد عن برة بنت رافع، قالت: لما خرج العطاء، أرسل عمر (رضي الله عنه) إلي زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها، قالت: غفر الله لعمر! غيري من إخواني كان أقوى علي قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، وقالت: صفوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت: أدخلني يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي به إلي بني فلان، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ! حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت لها

(١) صحيح مسلم شرح النووي - باب فضائل أم المؤمنين زينب ٨/١٦ .

(٢) مشكاة المصابيح - باب الإنفاق وكرامية الإمسك ٥٨٦/١ .

برة: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله! لقد كان لنا في هذا حق! قالت: فلکم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلي السماء، فقالت: اللهم! لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، فماتت .
وفي رواية أخرى لابن سعد:

عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش (رضي الله عنها (اثني عشر ألفا، لم تأخذه إلا عاما واحدا، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر (رضي الله عنه)، فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام، وقال: بلغني ما فرقت، فأرسل بألف درهم تستبقها، فسلكت به هذا المسلك كذا في الإصابة

أم الدحداح (رضي الله عنها)

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: أعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبي، قال: فأتاه أبو الدحداح (رضي الله عنه (فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل، فأتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له فقد أعطيتها، فقال: "كم من عزق

رداح لأبي الدحداح في الجنة " قالها مرارا، قال: فأتي امرأته فقال: يا أم الدحداح ! أخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة .

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا} (١) قال أبو الدحداح: يا رسول الله أو إن الله تعالى يريد منا القرض؟ قال: " نعم يا أبا الدحداح قال: أرني يدك؛ قال فناوله؛ قال: فإني أقرضتُ الله حائطًا فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أم الدحداح؛ قالت: لبيك؛ قال: اخرجي، قد أقرضتُ ربي عز وجل الحائط. قالت أمُّ الدحداح: ربح ببيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أقبلت على صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم؛ حتى أفضت إلى الحائط الآخر (٢).

ماذا تقولين لو كنت مكانها؟

تصوري، لو أن زوجك عاد إليك يوما من عمله، فقال: يا أم فلان! وأنا في عودتي إليك من العمل، وجدت قوما منكوبين، ويحتاجون إلي المال، فأعطيتهم كل مرتبي لهذا الشهر؟ أدع لك الإجابة، أما أم الدحداح فقد تصدق زوجها بالحائط كله ، الذي يقتاتون منه طول العام ، ولكن السعادة تملأ

(١) سورة البقرة - الآية ٢٤٥ .

(٢) تفسير القرطبي - الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

قلبها، وتقول: ربح البيع.. يا لها من كلمة مملوءة بالإيمان بالله ﷻ، والثقة فيما عند الله عز وجل (١).

وجدير بنا أن نختم هذا الباب بوصية النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر :
 " انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ، ولا توعي فيوعي الله عليك، ارضخي ما استطعت " متفق عليه (٢).

خَيْرَةُ امْرَأَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ

أخبرنا يحيى إجازة بإسناده عن ابن أبي عاصم قال: حدثنا الحسن بن علي، حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن رجل من ولد كعب بن مالك، يقال له: عبد الله بن يحيى، عن أبيه، عن جدته خيرة امرأة كعب بن مالك أنها أتت رسول الله ﷺ بحلي لها فقالت: إني تصدقت بهذا. فقال رسول الله ﷺ: "إنه لا يجوز للمرأة في مالها أمر إلا بإذن زوجها. فهل

(١) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبغوي (انظر كتاب حياة الصحابة ٢/١٤).

(٢) مشكاة المصابيح - باب الإنفاق وكرهية الإمسك ١/٥٨٣

استأذنتِ كعباً؟" فقالت: نعم. فبعث رسول الله ﷺ إلى كعب فقال: "هل أذنت
لخيرة أن تصدقَ بجليها؟" فقال: نعم. فقبله رسول الله ﷺ منها. (١).



(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ خيرة امرأة كعب بن مالك .

داعيات إلى الله ﷻ

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد

(رضي الله عنها)

كان إسلام خديجة خير وبركة علي كثير من نساء قريش، فكانت لها الأثر الكبير علي النساء لرجاحة عقلها ، وثقلها بين النساء، فقد ذكر ابن سعد في الطبقات: رقية بنت رسول الله ﷺ أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (١).

وذكر أيضا: أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (٢).

فكانت تجتهد علي النساء بدعوتهن إلي الله فيسلمن ويدخلن في الإسلام.

أم شريك (رضي الله عنها)

أم شريك واسمها غزية بنت جابر بن حكيم كان محمد بن عمر يقول هي من بني معيص بن عامر بن لؤي وكان غيره يقول هي دوسية من الأزد.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦/٨ .

(٢) المرجع السابق ٣٧/٨ .

هذه المرأة المسلمة التي أسلمت قديماً في مكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه: قال وقع في قلب أم شريك رضي الله عنها الإسلام، فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت (أبي العسكر الدوسي)، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهم إلى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لها لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا سنردك إليهم . قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شئ موطأ ولا غيره ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني، قال: فما أتت على ثلاث حتى ما فى الأرض شئ أسمع، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا أوثقوني فى الشمس وأستظلوا وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأثر شئ على برد منه، ثم رفع ، ثم عاد فتناولت، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ، ثم نزع منى، ثم عاد، فتناولته فشربته منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، ثم رفع، فصنع ذلك مراراً، حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا، فإذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: انحلتى فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ فقالت: لا الله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتى صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها وأسلموا بعد ذلك ^(١) .

أسلم زوجها وهو أبو العكر فهاجر إلى رسول الله مع أبي هريرة مع دوس حين هاجروا قالت أم شريك فجاءني أهل أبي العكر فقالوا لعك على

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٤٢/٢ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٣٨/٨ .

دينه قلت أي والله إني لعلي دينه قالوا لا جرم والله لنعذبنا عذابا شديدا فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كنا بذي الخلصة وهو موضعنا فساروا يريدون منزلا وحملوني على جمل ثفال شر ركابهم وأغلظه يطعموني الخبز بالعسل ولا يسقوني قطرة من ماء حتى إذا انتصف النهار وسخت الشمس ونحن قائظون فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ففعلوا ذلك بي ثلاثة أيام فقالوا لي في اليوم الثالث اتركي ما أنت عليه قالت فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد قالت فوالله إني لعلي ذلك وقد بلغني الجهد إذ وجدت برد دلو على صدري فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ثم انتزع مني فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض فلم أقدر عليه ثم دلي إلي ثانية فشربت منه نفسا ثم رفع فذهبت أنظر فإذا هو بين السماء والأرض ثم دلي إلي الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي قالت فخرجوا فنظروا فقالوا من أين لك هذا يا عدوة الله قالت فقلت لهم إن عدوة الله غيري من خالف دينه وأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقا رزقنيه الله قالت فانطلقوا سراعا إلى قريتهم وأدواهم فوجدوها موكأة لم تحل فقالوا نشهد أن ربك هو ربنا وأن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام فأسلموا وهاجروا جميعا إلى رسول الله وكانوا يعرفون فضلي عليهم وما صنع الله إلي وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهي من الأزدي فعرضت نفسها على النبي صلى

الله عليه و سلم وكانت جميلة وقد أسنت فقالت إني أهب نفسي لك وأتصدق بها عليك فقبلها النبي صلى الله عليه و سلم فقالت عائشة ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير قالت أم شريك فأنا تلك فسامها الله مؤمنة فقال وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة إن الله ليسرع لك في هواك^(١).

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ ، قَالَ : تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ ، أَنَا وَابْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا ، وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ ، فَبَلَغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعَذُّلُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعظتني موعظةً بليغةً ، ثُمَّ قَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَأَفَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ ؟ ذَهَبَتْ وَاللَّهِ مَيْمُونَةٌ وَرَمَى بِحَبْلِكَ عَلَيَّ غَارِيكَ ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتَقَاتِنَا لِلَّهِ وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحْمِ (٢).

رحم الله أمنا عائشة رضي الله عنها المؤمنة التقية النقية الطاهرة العفيفة الداعية إلى الواعظة.. فهي عندما رأت الخطأ ذكرت بالله ووعظت.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد « طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ » ذَكَرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ « مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَجِيرِ بْنِ الْهَزْمِ ١٣٨/٨ - رَقْمٌ ١٠٠٧٦ ، وَمُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ . ٣٢/٤ .

أم سليم (رضي الله عنها)

يأتيها أبو طلحة خاطبا، وهو مشرك فتدعوه للإسلام فقالت: يا أبا طلحة ! ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبدته نبت من الأرض ؟ قال: بلي. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غيره، قال: حتى انظر في أمري، فذهب ثم جاء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة فزوجها. كذا في الإصابة.

سفانة بنت حاتم الطائي

كان لسفانة بن حاتم دور كبير في دعوة أخيها عدي بن حاتم وأثرها عليه حتى دخل في الإسلام ، حيث أنها عاشرت بيئة الإسلام والدعوة في مسجد النبي بالمدينة المنورة، علي ساكنها أفضل التحية وأتم السلام، فعن شيبان بن سعد الطائي ، قال: كان عدي بن حاتم طيئ، يقول، فيما بلغني: " ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأة شريفا ، وكنت نصرانيا أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله ؛ كرهته ، فقلت لغلام ، كان لي عربي وكان راعيا لإبلي : لا أبا لك ، أعد لي من إبلي أجمالا ذللا سماتا مسانا فأحبسها قريبا مني ، فإذا سمعت بجيش

لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، فَأَذِنِّي ، فَفَعَلَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : يَا عَدِيُّ مَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعُهُ الْآنَ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ قَالَ: فَقُلْتُ: قَرِّبْ لِي جِمَالِي ، فَقَرَّبَهَا ، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقْ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فَسَلَكْتُ الْحُوشِيَّةَ وَخَلَفْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ ، أَقَمْتُ بِهَا . وَتَخَالَفَنِي خَيْلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فَيَمْنُ أُصِيبَ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي سَبَايَا طَيْئٍ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتِ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ بِهَا . فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَتْ إِلَيْهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَأْفِدُ ، فَاْمُنُّنُ عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ . قَالَ : " وَمَنْ وَافِدُكَ ؟ " قَالَتْ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : " الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ " قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ مَرَّ بِي وَقَدْ أَيْسَتْ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قُومِي إِلَيْهِ فَكَلِمِيهِ . قَالَتْ : فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَأْفِدُ ، فَاْمُنُّنُ عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ . قَالَ : " قَدْ فَعَلْتُ ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً ، حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ثُمَّ آذِنِينِي " . قَالَتْ : فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ كَلِمِيهِ . فَقِيلَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قَالَتْ : وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ مِنْ قُضَاعَةَ ، قَالَتْ : وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ ، قَالَتْ : فَجِئْتُ رَسُولَ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبِلَاغٌ، قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَنِي وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ . قَالَ عَدِيُّ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تُصَوِّبُ إِلَيَّ تَوْمُنًا، قَالَ: فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ . قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ، تَقُولُ: الْقَاطِعُ الظَّالِمُ احْتَمَلَتْ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَتَرَكَتْ بُنْيَةَ وَالِدِكَ وَعَوْرَتَهُ . قَالَ: قُلْتُ: يَا أُخِيَّةُ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا لِي عُدْرٌ لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ . قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً : مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَتْ : أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا ؛ فَالسَّابِقُ إِلَيْهِ لَهُ فَضِيلَةٌ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا ؛ فَلَنْ تُذَلَّ فِي عِزِّ الْيَمَنِ وَأَنْتَ أَنْتَ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِلرَّأْيِ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدُمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : " مَنْ الرَّجُلُ ؟ " فَقُلْتُ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِعَامِدٌ بِي إِذْ لَقِيْتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً ، فَاسْتَوْقَفْتُهُ فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمْتُ فِي حَاجَتِهَا . قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، فَتَنَاوَلَ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُورَةً لِيَفًا فَقَذَفَهَا إِلَيَّ ، فَقَالَ لِي : " اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ " ، قَالَ : قُلْتُ : لَا بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا . قَالَ : " لَا بَلْ أَنْتَ " ، فَجَلَسْتُ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَرْضِ . قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ! ثُمَّ قَالَ : " إِيهِ يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ

رَكُوسِيًّا؟" ، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : " أَوْلَمْ تَكُنْ تَسِيرَ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ " ، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : " فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ " . قَالَ : قُلْتُ : أَجَلٌ وَاللَّهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : " لَعَلَّهُ يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لِيُوشِكَنَّ الْمَالُ يَفِيضُ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوْجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَرُورَ هَذَا الْبَيْتِ ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ ؛ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ، وَآيُمُ اللَّهِ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فَتَحَتْ " . قَالَ : فَاسْأَلْتُمْ " . فَكَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ يَقُولُ : مَضَتْ الثُّنْتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّلَاثَةُ ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ ، قَدْ رَأَيْتُ الْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فَتَحَتْ ، وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ شَيْئًا حَتَّى تَحْجَّ هَذَا الْبَيْتِ ، وَآيُمُ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّلَاثَةُ لِيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يُوْجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ " قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَفِيهَا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بَنِي تَمِيمٍ . . تم الطائي. تقدم نسبها عند أخيها عدي، وكان أبوها حاتم يكنى أبا سفانة. (١).

(١) تاريخ الطبري _ ذَكَرُ الْخُبْرِ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ٥٦/٣ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أُسْدِ الْغَابَةِ _

كتاب النساء _ ترجمة سفانة بنت حاتم.

فاطمة بنت الخطاب

فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية، أخت عمّ
بن الخطاب زوجة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أسلمت قديماً.
وقيل : أسلمت قبل زوجها ، وقيل مع زوجها وذلك قبل إسلام عمر أخيها
رضي الله عنها ، وخبرها في إسلام عمر خبر عجيب وقد ذكر في أبواب
أخري من هذا الكتاب، فأعرضنا عن ذكره هنا خشية التكرار.
وكل النساء في عهد النبوة كن داعيات إلى الله عز وجل ولكن ذكرنا
بعض الذي ذكرت لنا كتب السيرة دعوتهن.



مضحيات

آسية بنت مزاحم (عليها السلام)

زوجة الطاغية فرعون حاكم مصر عليه اللعنة الذي تجبر وعلا حين ادعي الربوبية والالوهية، فقال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (١) ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (٢)

فأكرمها الله بالهداية، فأمنت بموسي عليه السلام وأحبتة، وكانت تنفق عليه وعلي كل من اتبعه، فلما علم فرعون عليه اللعنة أمر بتعذيبها، بالشمس، فإذا انصرف عنها، أظلتها الملائكة بأجنحتها، فلما اشتد بها التعذيب ﴿ قَالَتْ

رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

، قال العلماء: ما أحسن هذا الكلام اختارت الجار قبل الدار، فهي تطمع في جوار الله قبل القصور، وفي الآية دليل علي قوة إيمانها وتصديقها بالبعث

(١) سورة النازعات _ الآية ٢٤ .

(٢) سورة القصص _ الآية ٣٨ .

(٣) سورة التحريم - الآية ١١

، وبعد أن طلبت جوار الله ، طلبت النجاة من فرعون وطغيانه، وأتباعه
(وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فشد يديها
 ورجليها، وهي صابرة، فرأت بيتها في الجنة، فضحكت حين رأتها، فقال:
 فرعون: ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها
 ونجاها الله تعالى أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتتعم.

فجعل الله حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم حيث
 كانت في الدنيا تحت أعدي أعداء الله (فرعون) وهي في أعلي غرف
 الجنة.. فلم يضرها اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح
 ولوط، اتصالهن بهما وهما رسولا رب العالمين .

وبهذه التضحيات العظيمة التي ضححت بها السيدة آسية، حيث ضححت
 بالأبهة والعظمة، حيث أنها كانت سيدة القصر الفرعوني، حيث الخدم
 والحشم.. فالله جل جلاله أعزها ورفع شأنها وذكرها في أشرف كتبه
 المنزلة، وزوجها بخير البشر (محمد ﷺ) في الجنة .

الأحاديث التي وردت في فضلها:

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " حسبك من نساء العالمين

بأربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت

خويلد ، وفاطمة بنت محمد " . رواه أحمد .

(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم امرأة عمران ، وفضل عائشة علي النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام . متفق عليه .

(٣) عن سعد بن جنادة ، هو العوفي ، قال : قال رسول ﷺ : " إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وامرأة فرعون وأخت موسى " رواه الطبراني .

(٤) عن يعلي بن المغيرة، عن أبي داود، قال : دخل رسول الله ﷺ، علي خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه ، فقال لها : " بالكره مني ما أري منك ، ما أري يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا ، أما تعلمين أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران و كلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون " قالت : وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله ؟ قال : " نعم " قالت: بالرفاء والبنين .

أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)

كانت خديجة رضي الله عنه امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها فلما بلغها من صدق رسول الله ﷺ، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، فبعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذاك، وخرج معه غلامها (ميسرة) حتى نزل الشام، فنزل ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى "ميسرة" فقال: من هذا الرجل الذي تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي.

وكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلاله.. فلما قدم مكة أخبر ميسرة خديجة بما رأى من إظلال الملائكة لمحمد ﷺ وما سمع من قول الراهب فيه.

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، فذكرت ذلك لورقة بن نوفل وكان ابن عمها، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن "محمداً" نبي هذه الأمة.. عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه.

فبعثت خديجة للنبي ﷺ وأخبرته بإرادتها للزواج منه، وتزوجته ﷺ.. فلما بلغ سن الأربعين حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث

فيه - وهو التعبد الليلي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها.. حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .. فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١).

فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني .. زملوني .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع .. فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله ، لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم .. وتقرى الضيف، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتعين علي نوائب الحق .. فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل - ابن عم خديجة وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية ... وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ... وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة: يا بن عم ! أسمع من ابن أخيك . فقال له (ورقة): يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

(١) سورة العلق - الآيات من ١ : ٥ .

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي كان ينزل على "موسى" يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم؟! فقال نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب " ورقة أن توفى وفتن الوحي فترة . رواه البخاري .

وقالت خديجة لرسول الله ﷺ : يا بن عم ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذ جاءك؟ قال نعم . قالت : فإذا جاء فأخبرني به .
فجاء جبريل ، فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت : قم يا بن عمي فاجلس على فخذي اليسرى : فقام رسول الله فجلس عليها .
فقالت : هل تراه؟ قال : نعم . قالت : فتحول واقعد على فخذي اليميني ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخدها اليميني ، فقالت هل تراه؟ قال نعم ، فحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه؟ قال: لا . قالت: يا بن عم اثبت وأبشر فو الله إنه بملك ما هذا بشيطان " رواه البيهقي (١)

فكانت (رضي الله عنها) عاقلة لبيبة .. فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاء به من عند الله ووازرته على أمره ، فخفف الله بذلك عن رسوله ،

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣١٤/٢ - وصفوة السيرة النبوية لابن كثير

لا يسمع بشيء يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله بذلك عنه ، إذا رجع إليها تثبته ، وتخفف عنه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس يرحمها الله تعالى (١).

وحيثما قاطعت قريش رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني عبد مناف وفرضوا عليهم الحصار في شعب أبي طالب ، لمدة ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر ، وداموا على ذلك ثلاث سنوات ، كما قال ابن اسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا (بينهم) أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم (٢).

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ نقلا من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/٤٠٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٧٥/١ .

وفي ذلك الوقت العصيب لم تتخلي خديجة عن زوجها وحبیب قلبها النبي ﷺ بل ظلت بجواره تؤازره وتسانده في هذه المحنة حتى ماتت، يقول ابن هشام: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت علي رسول الله المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق علي الإسلام (١) وبسب هذه التضحيات العظيمة التي قدمتها أمنا خديجة، ووقوفها بجوار حبيبه و نبيه محمد ﷺ بشرها الله ﷻ بيت في الجنة، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام، فإذا أتتك، فاقراً عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب " متفق عليه . (٢)

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرأ على خديجة السلام ، فقالت : إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام ، وعليه السلام ورحمة الله " (٣)

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سئل عن خديجة أنها ماتت قبل أن تنزل الفرائض والأحكام قال : أبصرتها على نهر

(١) المرجع السابق ١/٣٧٥.

(٢) المرجع السابق .

(٣) رواه النسائي ، والحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة - خديجة - وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

من أنهار الجنة في بيت من قصب ، لا لغو فيه ولا نصب " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان والدولابي . (١)

قال السهيلي في الروض الآنف : النكتة في قوله " من قصب " ولم يقل " من لؤلؤ ، أن في لفظ القصب مناسبة ، لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها . (٢)

وفي العام الذي ماتت فيه خديجة وعمه أبو طالب سمي عام الحزن .. لحزن رسول الله ﷺ على موتها .. فكان يُكثر الثناء عليها فروى الإمام أحمد بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة رضي الله عنها أثنى فأحسن الثناء عليها ، قالت فغرت يوماً ، فقلت : ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها ، فقال : " ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء . (٣)

وعن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم

(١) سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد ٤٣/١٢

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٧/١٢ .

(٣) المرجع السابق ٤٤, /١٢

يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم تكن في الدنيا إلا خديجة فيقول : " إنها كانت ، وكان لي منها الولد " متفق عليه . (١)

وبهذا قد تحصلت على الخيرية ، ففي الحديث عن علي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد " متفق عليه . (٢)

يقول د/ نعمان أبو الليل^(٣):

لماذا فضلت خديجة (رضي الله عنها) علي عائشة (رضي الله عنها) ؟
فرغم علم عائشة (رضي الله عنها) وفقها ، وكثرة روايتها للحديث ،
وخديجة (رضي الله عنها) لم ترو حديث واحد ، وعائشة بنت الصديق أبو بكر ،
وخديجة لم يدرك أبيها الإسلام .. مع ذلك فالفرق واضح في تفضيل خديجة علي عائشة ، وذلك لأن خديجة عاشت مع النبي في الفترة المكية التي كانت كلها مشاق وتعب وقلق واضطراب والنبي كل يوم يشتم ويضرب ، ويتهم بالسحر .. والكذب .. والكهانة .. والشعر ، ويؤذي في الله ، وما يستطيع

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) إستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية ومن علماء التبليغ والدعوة بالأردن.

أن يعبد الله إلا سراً، فكانت توأسيه بمالها ونفسها، وتؤازره وتسانده وتثبته علي دعوته، فما أن يرجع إلي بيته، فلا يجد منها إلي صدر الأم الحنون .

وبالطبع إذا سب، وقيل له:

ساحر .. فهي زوجة من ؟

مجنون .. فهي زوجة من؟

أما عائشة (رضي الله عنها) تزوجت الرسول ﷺ في الفترة المدنية، التي لاقى فيها ترحيب أهل المدينة (طلع البدر علينا) والمسلمون ملتفون حول رسول الله ﷺ، وأبيها الصديق أبو بكر الوزير والصاحب الأول لرسول الله ﷺ (وثاني اثنين إذ هما في الغار) فأخذت مكانة اجتماعية عالية فتنادي: يا أم المؤمنين ! .. والرسول ﷺ يدلها (يا عائش .. يا عويش .. يا موفقة .. يا ابنة الصديق) .. وهذا هو السبب الأول .

أما السبب الثاني: في فضل خديجة هو قوة تضحياتها وإنفاقها، مثل آسية " امرأة فرعون " فقد ضحت بالجاه والمنصب والمكانة الاجتماعية المرموقة ، فهي زوجة الملك وسيدة القصر وتنادي بالملكة والأميرة .

أختي المسلمة: بعد أن قرأت كل هذا عن أول امرأة ضحت في سبيل الله

ﷺ من أجل هداية الناس وانتشار الإسلام ، وكيف نالت كل الخير بسبب التضحيات التي قدمتها من أجل دين الله ﷻ ، حيث نالت محبة الله ﷻ ، ومحبة جبريل عليه السلام ، ومحبة محمد ﷺ ، بل محبة جميع خلق الله من

المسلمين إلى أن تقوم الساعة .. فهل نويت أختي المسلمة أن تكوني مثلها فتقومي بجانب زوجك جانباً لجنب ، وتؤازريه ، وتناصره ، وتشجعيه ، على نصره دين الله ﷻ وتجهزيه للحركة في الأرض والخروج في سبيل الله ﷻ لدعوة الناس إلى الله ﷻ لتتالي ما نلته أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) .

زينب بنت رسول الله (ﷺ)

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: حدثت عن زينب بنت رسول الله ﷺ قالت بينما أنا أتجهز بمكة إلي أبي تبعثني هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقالت: يا بنت محمد ألم يبلغني أنك تريدين اللحق بأبيك، قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت أي ابنة عم لا تفعلي إن كانت لك حاجة في متاع مما يرفق بك في سفرك وتبلغين به إلي أبيك فإن عندي حاجتك، قالت زينب: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك، فتجهزت، فلما فرغت من جهازي قدم حموي كنانة بن الربيع أخو زوجي، فقدم لي بعير فركبت، وأخذ قوسه وكنانته، فخرج بي نهاراً يقودها وهي في هودج لها، فتحدث بذلك رجال من قريش (ابن عبد العزي ونافع بن قيس الفهري لقراة من بني أبي عبيد بإفريقية) يرونها هبار بن الأسود بالرمح ، وهي في هودجها ، وكانت المرأة حاملا فيما يزعمون ، فلما وقعت طرحت ذا بطنها ، فبرك حموها ونثر كنانته ، ثم قال : لا يدنو مني رجل إلا

وضعت فيه سهمي ، فتلكأ الناس عنه وأتي أبو سفيان في جلة من قریش ، فقال : أيها الرجل كف عنا نبيك حني نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان ، حتى وقف عليه فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة علي رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ﷺ ، فيظن الناس وقد أخرج بابنته إليه علانية علي رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذل أصابتنا عم مصيبتنا التي كانت وأن ذلك ضعف بنا ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدا الصوت وتحدث الناس أنا قد رددناها فسر بها سرا فألحقها بأبيها ، قال ، ففعل ، فرجع فأقامت لياليا ، حتى إذا هدا الصوت خرج بها ليلا ، حتى سلمها إلي زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمما بها علي رسول الله ﷺ . رواه الحاكم (١).

وفي رواية أخرى للحاكم:

عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب مع كنانة أو ابن كنانة، فخرجوا في أثرها فأدركهما هبار بن الأسود فلم يزل يطعن بغيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها وأهراقت دما فحملت فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقال بنو أمية نحن أحق بها، وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص، فصارت عند هند بنت عتبة بن ربيعة وكانت تقول لها هند: هذا بسبب أبيك فقال رسول الله ﷺ

(١) في المستدرک وقال حديث فيه إرسال بين عبد الله بن أبي بكر وزينب ٤/٢٤

لزید بن حارثة: ألا تنطلق فتجيئي بزینب، قال: بلي يا رسول الله ! قال: " فخذ خاتمي فأعطاها إياه فانطلق زيد فترك بغيره فلم يزل يتلطف، حتى لقي راعيا فقال: لمن ترعي، قال: لأبي العاص، قال: فلمن هذه الغنم، قال: لزینب بنت محمد، فسار معه شيئا، ثم قال له: هل لك أن أعطيك شيئا تعطيها إياها ولا تذكره لأحد قال: نعم فأعطاه الخاتم، فانطلق الراعي فأدخل غنمه، وأعطاها الخاتم، فعرفت، فقالت: من أعطاك هذا، قال: رجل، قالت: وأين تركته، قال: بمكان كذا وكذا، قال: فسكتت حتى إذا جاء الليل خرجت إليه، فلما جاءته، قال: لها اركبي، قالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراعه، حتى أتت فكان رسول الله ﷺ يقول هي أفضل بناتي أصيبت في، فبلغ ذلك علي بن الحسين، فانطلق إلي عروة، فقال: ما حديث بلغني عنك تحدثت به تنقص به حق فاطمة، قال: عروة إني لا أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة (رضي الله عنها) حقا هو لها، وأما بعد فإن لك أن لا أحدث به (١)

الشهيدة ليلة العرس

أم حكيم بنت الحارث بن هشام

(رضي الله عنها)

لما كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، امرأة عكرمة بن أبي جهل، ثم قالت أم حكيم: يا رسول الله ! قد هرب عكرمة منك إلي اليمن وخاف أن تقتله فأمنه، فقال رسول الله ﷺ: " هو آمن " فخرجت في طلبه ومعه غلام لها رومي، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنيه حتى قدمت علي حي من عك، فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطا، وأدركت عكرمة علي ساحل من سواحل تهامة، فركب البحر فجعل نوتي السفينة يقول له: أخلص، قال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله، قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم علي هذا من الأمر، فجعلت تليح إليه، وتقول: يا ابن عم! جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته، فقالت إني استأمنت لك رسولا الله ﷺ قال: أنت فعلت؟ قالت نعم ! أنا كلمته فأمنك، فرجع معها، فقالت: ما لقيت من غلامك الرومي، وخبرته خبره فقتله عكرمة وهو يومئذ لم يسلم، فلما دنا من مكة،

قال: رسول الله ﷺ لأصحابه: " يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت "، قال: وجعل عكرمة يطلب منها أن يجامعها فتأبى عليه، وتقول: أنت كافر، وأنا مسلمة، فيقول: إن أمراً منعك مني، لأمر كبير، فلما رأى النبي ﷺ عكرمة وثب إليه وما علي النبي ﷺ رداءً فرحا بعكرمة، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجته منتقبة، فقال: يا محمد ! إن هذه أخبرتني، أنك آمننتي، فقال رسول الله ﷺ: صدقت فأنت آمن، فقال عكرمة: فإلى م تدعو يا محمد! قال: " أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل وعد خصال الإسلام، فقال عكرمة: والله! ما دعوت إلا إلي الحق وأمر حسن جميل، قد كنت والله! فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً، وأبرئنا براً. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، علّمني خيرَ شيءٍ أقوله. فقال: تقول: « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ». فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ تقول « أشهد الله، وأشهد من حضر أي مسلم مجاهد مهاجر ». فقال عكرمة ذلك. فقال

رسول الله: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتك». قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير أوضعتُ فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له ما نال مني من عرض في وجهي أو أنا غائب عنه». فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله. ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله! لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صدّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتى قُتل شهيداً. فردّ رسول الله ﷺ إمرأته بذلك النكاح الأول. قال الواقدي عن رجاله؛ وقال سهيل بن عمرو يوم حنين: لا يختبرهما محمد وأصحابه. قال يقول له عكرمة: إن هذا ليس يقول إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء، إن أُدب عليه اليوم فإنّ له العاقبة غداً. قال يقول سهيل: والله إنَّ عهدك بخلافه لحديث، قال: يا أبا يزيد، إنّنا والله نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع. كذا في كنز العمال (١).

(١) حياة الصحابة _ قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أمان عكرمة حين استأمنت له زوجته أم حكيم ١/١٥٥ .

كم من الفيافي والصحراء قطعتها أم حكيم، وكم جاء عليها من ليل ونهار، وهي تتبع زوجها، تتحرك علي قدميها، وتحمل المشاق، لتحمل له نور الإيمان والهداية، وكم لاقت من غلامها الرومي في الطريق من المرادة عن النفس، وهي تتحمل وتصبر حتي جعل الله لها مخرجا.

وظلت عابدة مجاهدة في سبيل دينها وفيه لزوجها، حتي جاء يوم اليرموك فخرجت معه، وكانت خلف الجيش مع النساء ترد المتراجعين والفارين من أرض القتال، وقفت هي وغيرها من النساء يشجعن الرجال، ويسقين الجرحى، ويداوين المرضى، وأمسكت بعضهن بأعمدة الخيام يرجعن من فر من أرض المعركة، أو يوبخنه قائلات: إلى أين يا لكع، أنتركوننا للعلوج والكفار؟

فكان لكلماتهن أكبر الأثر في رفع همم الرجال. لما علمت أم حكيم بمقتل زوجها عكرمة وأبيها الحارث بن هشام، تأثرت بذلك كثيراً، ولكنها هدأت وقرت عينها حين تذكرت أنهما شهيدان، وأنهما قتلا في سبيل الله. ولما أكملت عدتها تقدم لخطبتها اثنان من كبار قواد المسلمين يزيد بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وافقت أم حكيم على الزواج من خالد بن سعيد وقدم مهرها، لكن الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والروم، والمفروض أن يؤجل الزواج حتى تنتهي الحرب، لكن خالد بن سعيد الصحابي الجليل رأى الزواج في الحال دون انتظار فرفضت أم حكيم، فالوقت غير مناسب، ولأنها رأت أعداداً من الروم قد اتجهت نحو

المكان، فقالت: لو أخرت الدخول حتى يصد الله هذه الجموع! لكن خالداً أصر على موقفه وقال: إن نفسي تحدثني أنني سأصاب في جموعهم وسأقتل، فوافقت أم حكيم مرغمة، وقالت له: الرأي ما ترى. أقيمت الأعراس، ونصبت الخيام للولائم في مرج الصفر عند قنطرة على النهر، سميت بقنطرة أم حكيم ثم بدأت المبارزة فخرج العريس، وقاتل قتال المستميت، فقتل منهم عدداً لا يستهان به، لكنهم تكاثروا عليه وقتلوه كما قتلوا ابنه من قبل، ترك عروسه التي في الدنيا، واستقبلته الحور العين. كانت العروس أم حكيم في خيمتها تسمع وترى ما يجري في المعركة وتراقب الأحداث، فلما علمت بمقتل زوجها اندفعت هي الأخرى تقاتل، فشدت عليها ثيابها، واقتلعت عموداً من خيمة عرسها، وانتظرت قدوم الروم من نحوها وسلاحها في يديها، مر الرومي الأول فضربته بالعمود فأردته قتيلاً، ثم مر الثاني فأردته قتيلاً، ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس، حتى قتلت سبعة؛ وما أن ابتعد الروم قليلاً حتى خرجت تقاتل مع الرجال، فأصيبت بسهم كان سبب مصرعها، فخرت شهيدة رضي الله عنها. وانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير، وأسفرت المعركة عن استشهاد العروسين في صبيحة عرسهما. فضربت أروع الأمثلة في العفة والتضحية من أجل حب الله وحب رسوله صلي الله عليه وسلم.

أم شريك (رضي الله عنها)

هذه المرأة المسلمة التي أسلمت قديماً في مكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: قال وقع في قلب أم شريك رضي الله عنها الإسلام، فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت (أبي العسكر الدوسي)، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهم إلى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لها لو قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا سنردك إليهم . قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني، قال: فما أنت على ثلاث حتى ما فى الأرض شيء أسمع، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا أوثقوني فى الشمس وأستظلوا وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذ أنا بأثر شيء على برد منه، ثم رفع ، ثم عاد فتناولت، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ، ثم نزع مني، ثم عاد، فتناولته فشربته منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، ثم رفع ، فصنع ذلك مراراً، حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابي، فلما استيقظوا، فإذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لى: انحلتى فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ فقالت: لا الله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنتى صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها وأسلموا بعد ذلك (١) .

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٤٢/٢ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٣٨/٨ .

فجهد المرأة على المرأة مثلها، من أحسن الجهود قبولاً، حيث أن المرأة كثيراً ما تأثر في زوجها وأولادها، وذوى رحمها، ولا سيما إذا كان بينهم المودة والمحبة، كما فعلت أم حكيم بنت حزام رضي الله عنها، حيث كانت حريصة على إسلام زوجها عكرمة بن أبي جهل ؓ.

أم سليم (رضي الله عنها)

تضحى بصداقها إذا أسلم زوجها .. فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس ؓ أن أبا طلحة ؓ خطب أم سليم ؓ قبل أن يسلم، فقالت: يا أبا طلحة! أأنت تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره، قال: حتى انظر في أمري، فذهب ثم جاء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة فزوجها. كذا في الإصابة.

انظروا إلى عقل هذه المرأة العظيمة التي ما رضيت بصداق غير الإسلام فكان صداقها أعظم صداقاً في الإسلام..وقصة أم سليم أكبر مظهر من مظاهر مسئولية المرأة عن الدعوة إلى الله ﷻ وتضحياتها.

أسماء بنت أبي بكر الصديق

(رضي الله عنها)

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) قالت : كنت مرة في أرض أقطعها النبي ﷺ لأبى سلمه والزبير (رضي الله عنهما) في أرض بني النضير ، فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ، ولنا جار من اليهود ، فذبح شاة فطبخت ، فوجدت ريحها ، فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط ، وأنا حامل بابنتي خديجة فلم أصبر ، فدخلت على امرأة اليهودي اقتبس منها ناراً لعلها تطمئني ، وما بي من حاجة إلى النار ، فلما شممت الريح ورأيت أنه ازددت شرها (١) ، فأطفأته ، ثم جئت ثانياً اقتبس ؛ ثم ثالثة ، ثم قعدت أبكى وأدعو الله ، فجاء زوج اليهودية فقال : أدخل عليكم أحد ؟ قالت : العربية تقتبس ناراً . قال : فلا آكل منها أبداً أو ترسلي إليها منها ، فأرسلت إليّ بقدحة - يعنى غرفة - فلم يكن شئ في الأرض أعجب إليّ من تلك الأكلة .

كذا في الإصابة (٢) .

(١) أي شدة الحرص .

(٢) حياة الصحابة - باب تحمل الجوع في الدعوة إلى الله ﷻ - جوع أسماء رضي الله عنها ١/٣٠٠ .

أم المؤمنين أم سلمة

(رضي الله عنها)

عن أم سلمة^(١) (رضي الله عنها) قالت : لما أجمع أبو سلمة ﷺ الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ، ثم حملني عليه ، وجعل معي سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بغيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ، فنزعوا خظام البعير من يده ، وأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، وقالوا : والله ! لا نترك ابننا عندها ، إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة ! قالت : ففرق بيني وبين ابني وبين

(١) وهي هند بنت أبي أمية - واسمه حذيفة ، وقيل سهيل - ويدعي زاد الركب وكانت قبل زواجها بالنبي ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، ابن عمّة النبي برة بنت عبد المطلب ، وكان أبا النبي من الرضاعة ، أرضعتها وحزمة ثويبة مولاة أبي لهب .. ولدت له (سلمة .. وعمره .. ودرّة) أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان أول من هاجر إلي الحبشة .. وأول من هاجر إلي المدينة ، وكان قد جرح بأحد جرحا ، ثم انتقض عليه - ولما مات كان الذي أغمضه النبي ثم دعا له ، فمات سنة أربع ، فتزوجها النبي وكانت من أجمل النساء - وهي آخر نساءه وفاة (تاريخ الإسلام / ١ / ٣٥١) .

زوجي^(١) ، فكننت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح ، فما أزال أبكى حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحماني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجوا هذه المسكينة ، فرقمتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : قالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت ، قالت : فرد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني ، فوضعتة في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت : وما معي أحد من خلق الله^(٢) حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أبا بني عبد الدار ، فقال : إلي أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة ، قال : أو ما معك أحد ، قلت : ما معي أحد إلا الله ، وبني هذا ، فقال : والله ! ما لك من مترك ، فأخذ بخطام البعير فانتطلق معي يهوى بي ! فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت ، استأخر ببعيري فحط عنه ، ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلي شجرة فاضجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلي ببعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي فإذا استويت علي ببعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي ، حتى إذا قدمنا المدينة ، فلما

(١) أتدرون ما جزاء هذه التضحية العظيمة من السيدة الجليلة أم سلمة (رضى الله عنها) هو الزواج من الحبيب محمد ﷺ ، وأصبحت أما للمؤمنين ، وصدق الله العظيم ، حيث قال : " إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا " . [سورة: الكهف - الآية : ٣٠]

(٢) عذمت علي الهجرة واللحوق بزوجها وحدها فريدة - رحلة تبلغ خمسمائة كيلو مترا - غير عابئة بما تلقاه في سبيل الله من وحش أو من قاطع طريق ... ومما تفعل إذا أتى عليها الليلة بظلمته ووحشته .. فسخر الله عز وجل لها عثمان بن طلحة وهو كافر ليصحبها .

نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها علي بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .. فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ^(١) كذا في البداية ^(٢) .

سمية بنت الخياط

أول شهيدة في الإسلام

سمية بنت الخياط، هي أم عمار بن ياسر، أول شهيدة استشهدت في الإسلام، وهي ممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهي من المبايعات الصابرات الخيرات اللاتي احتملن الأذى في ذات الله. كانت سمية بنت خياط أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، تزوجت من حليفه ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي. وكان ياسر عربياً قحطانياً مذحجياً من بني عنس، أتى إلى مكة هو وأخويه الحارث والمالك طلباً في أخيهما الرابع عبد الله، فرجع الحارث

(١) ولذا أكرمه الله عز وجل بالإسلام بعد الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما) معا (البداية ١٦٩/٣) .

(٢) حياة الصحابة باب الهجرة ١ / ٣٤٢ .

والمالك إلى اليمن وبقي هو في مكة، حالف ياسر أبا حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج من أمته سمية وانجب منها عماراً، فأعتقه أبو حذيفة، وظل ياسر وابنه عمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، فلما جاء الإسلام أسلم ياسر وأخوه عبد الله وسمية وعمار.

فكانت سمية من الأولين الذين دخلوا في الدين الإسلامي وسابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد الرسول وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها.

فالرسول قد منعه عمه، أما أبوبكر الصديق فقد منعه قومه، أما الباقيون فقد ذاقوا أصناف العذاب وألبسوا أذراع الحديد وصهروا تحت لهيب الشمس الحارقة.

عن مجاهد، قال: أول شهيد استشهد في الإسلام سمية أم عمار.

قال: وأول من أظهر الإسلام رسول الله، وأبوبكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وسمية أم عمار.

أخرج الطبراني، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بعمار وأهله وهم يعذبون، فقال: «أبشروا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة». قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة اهـ.

وعند الحاكم في الكنى وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام.

فقال أبو عمار. يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال: «صبراً يا آل ياسر. اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت». وأخرجه أيضاً أحمد، والبيهقي، والبغوي، والعقيلي، وابن منده، وأبو نعيم، وغيرهم بمعناه عن عثمان رضي الله عنه كما في الكنز. وأخرجه ابن سعد عن عثمان رضي الله عنه بنحوه. وأخرج أبو أحمد الحكم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهو يؤذون في الله تعالى، فقال لهم: «صبراً يا آل ياسر، صبراً يا آل ياسر؛ فإنّ موعدكم الجنة». ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وزاد: وعبد الله بن ياسر؛ وزاد: وطعن أبو جهل سمية في قبلها فماتت، ومات ياسر في العذاب، ورمي عبد الله فسقط. كذا في الإصابة. وعند أحمد عن مجاهد قال: أول شهيد كان في أول الإسلام إستشهد أم عمار سمية، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها. كذا في البداية.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عماراً رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما وراءك؟» قال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت

آلهتهم بخير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فكيف تجد قلبك ؟ » قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: « فإن عادا فعد ». وأخرجه ابن سعد عن أبي عبيدة نحوه. وأخرج أيضاً عن محمد: أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول: «أخذك الكفار فغطوك في الماء؛ فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم ». وأخرج أيضاً عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرّ به ويمرّ يده على رأسه فيقول: «يا نارُ كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية».

وقد أنزلت آية في شأن عمار في قوله عزوجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمّار، وسمية، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فمنعهما قومهما، وأما الآخرون فألبسوا أدرع الحديد، ثم صهروا في الشمس؛ وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها.

(١) سورة آل عمران - الآية ١٦٩.

نالَت سمية الشهادة بعد أن طعنها أبوجهل بحربة في قلبها فماتت على إثرها. وكانت سمية حين استشهدت امرأة عجوز، فقيرة، متمسكة بالدين الإسلامي، ثابتة عليه لا يزحزحها عنه أحد، وكان إيمانها الراسخ في قلبها هو مصدر ثباتها وصبرها على احتمال الأذى الذي لاقته على أيدي المشركين.

هاجر عمار إلى المدينة عندما اشتد عذاب المشركين للمسلمين، وشهد معركة بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان والجمل واستشهد في معركة صفين في الربيع الأول أو الآخر من سنة سبع وثلاثين للهجرة، ومن مناقبه، بناء أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء.

أم الشهداء

عفراء بنت بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار

أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تزوجت الحارث بن رفاعة فأنجبت منه معاذ ومعوذ ثم إنه طلقها، فقدمت

مكة حاجة، فتزوجها بكير بن عبد ياليل فأنجبت له خالد وإياس وعائل

وعامر ثم طلقها، ثم رجعت إلى المدينة، فراجعها زوجها الأول الحارث بن رفاعة ، فولدت له عوفا.

في غزوة بدر: قتل معاذ وعافل.

وفي غزوة أحد: استشهد خالد في سرية الرجيع.

وفي بئر معونة: استشهد عامر.

وفي حرب مسيلمة الكذاب: استشهد معاذ وإياس وبقي عوف.

فقدت رضي الله عنها ستة من أولادها، وكانت كلما جاءها خبر استشهاد

أحد أولادها، تحمد الله وتردد ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(١). ثم تعد باقي أولادها وتحمسهم

وترغبهم علي الجهاد، حتي استشهد منم ستة، ولما بقي عوف ظنت أنه شر،

قال ابن الكلبي: لما قتل معاذ ومعوذ، جاءت عفراء بنت عبيد إلى النبي ﷺ،

فقال لعوف: يا رسول الله، هذا شر بني، فقال: لا.

ومن شدة احتضانها لأولادها وحسن تربيتها لهم علي التضحية والجهاد،

أصبح إسمها علما لهم، فلا يعرفون إلا بإسمها.

(١) سورة آل عمران - الآية، ١٦٩.

الشهيدة

أم الشهداء (رحمهم الله تعالى)

عن وهب بن منبه قال: أتت امرأة من بني إسرائيل يقال لها سارة وسبعة بنين لها إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير فدعا أكبرهم فقرب إليه لحم الخنزير فقال: كل فقال: ما كنت لأكل شيئاً حرّمه الله عز وجل أبداً فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قطعه عضو عضواً حتى قتله ثم دعا بالذي يليه فقال: كل فقال: ما كنت لأكل شيئاً حرّمه الله تعالى فأمر بقدر من نحاس فملئت زيتاً ثم أغليت حتى إذا غلت ألقاه فيها ثم دعا الذي يليه فقال: كل فقال: ما كنت لأكل شيئاً حرّمه الله تعالى فقتله ثم دعا الذي يليه فقال: أنت أذل وأقل وأهون على الله من أن أكل شيئاً حرّمه الله تعالى علي فضحك الملك ومال: أتدرون ما أراد بشتمه إياي أراد أن يغضبني فأعجل في قتله وليخطئه ذلك وأمر به فجز جلدة عنقه ثم أمر به أن يسلخ جلدة رأسه ووجهه فسلخوه سلخاً فلم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه حتى بقي أصغرهم فالتفت به إلى أمه فقال: لقد رثيت لك مما رأيت فانطلقني بابنك هذا فاخلي به وانقديه على أن يأكل لقمة واحدة إخوتك حق ولي عليك حقان.

وذلك إني أرضعت كل واحد حولين فمات أبوك وأنت حمل فأرضعتك لضعفك ورحمتي إياك أربعة أعوام فأسألك بالله وحقي أما صبرت ولم تأكل

شيئاً مما حرمه الله عليك ولا تلقين أخوتك يوم القيامة ولست معهم فقال: الحمد له الذي أسمعني هذا منك أما كنت أخاف أن تريدني على أن آكل مما حرمه الله ثم جاءت به إلى الملك فقالت: ها هو ذا قد أردته وعرضت عليه فأمره الملك أن يأكل فقال: ما كنت لأكل شيئاً حرمه الله علي فقتله وألحقه بأخوته وقال لأهمهم: إني لأجدني أرثي لك فما رأيت اليوم ويحك فكلي لقمة ثم أصنع بك ما شئت وأعطيك ما أحببت تعيشين به.

قالت: ما أجمع بين ثكل ولدي ومعصية الله عز وجل فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك وما كنت لأكل شيئاً مما حرمه الله تعالى أبداً فقتلها وألحقها ببنيها (١).

الخنساء (رضي الله عنها)

وقد ضربت أروع الأمثلة في التضحية بفلذات كبدها في موقعة القادسية، فقد وقفت بين أبنائها الأربعة، عندما تهيئوا للخروج مجاهدين في سبيل الله، توصيهم بالصبر عند اللقاء، وتحرضهم على التضحية والفداء، فقد ذكر الزبير بن بكار، عن مُحَمَّد بن الحسن المخزومي، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَبْدِ اللَّهِ عن أبيه عن أبي وَجْزَة، عن أبيه: أن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يا بني، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو

(١) المنتظم لابن الجوزي الجزء الثاني .

امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستبصرين. وإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، واضطربت لظى على سياقها، وجلّت ناراً على أرواقها، فتيّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة. فخرج بنوها قابلين لنصحتها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهدوا رحمهم الله. فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته^(٢).

(١) سورة آل عمران - الآية ٢٠٠.

(١) أسد الغابة « كتاب النساء » باب الخاء: خنساء بنت عمرو الشريد بن رباح بن ثعلبة، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

صاحبة الذابتين

لما سبى الروم بعض نساء المسلمين، فبلغ الخبر الرقة وبها أمير المؤمنين هارون الرشيد.. فقبل لمنصور بن عمار: لو اتخذت محل بالقرب من أمير المؤمنين، فحرضت الناس على الغزو، ففعل ، فبينما هو يذكرهم ويحرض، إذا نحن بخرقه مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، فكك الكتاب، فقرأه ، فإذا فيه: إني امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمين، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شئ من بدني، وهما ذابتاي، فقطعتهما، وصررتها في هذه الخرقه المختومة ، وأناشدك بالله العظيم، لما جعلتهما قيد فرس غازٍ في سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر إليّ على تلك الحال نظرةً فيرحمني بها. قال : فبكى وأبكى الناس ، وأمر هارون أن ينادى النفير ، فغزا بنفسه ، فأنكى فيهم ، وفتح الله عليهم . انظروا إلى هذه المرأة العظيمة التي لم تجد مالا تضحى به فضحت بأكرم شئ عليها .. وأعز شئ على المرأة شعرها الذي به تتزين ، فعمدت إليه وقصته ليكون قيذا لفرس في سبيل الله ... فيا من امتلأت يديها وصدرها بالذهب ماذا نويت أن تقدمين؟؟ .

امراة وبنوها

يحكى الإمام الطبري في تاريخه: أن امرأة كان لها أربعة من البنون، شهدوا القادسية ، فقالت لهم : إنكم أسلمتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم فلم تثوبوا (١) ولم تنب بكم البلاد (٢) ولم تقحمكم السنة (٣) ثم جئتم بأمكم عجوز كبير فوضعتموها بين يدي أهل فارس ... انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره ، فأقبلوا يشدون ، فلما غابوا عنها ، رفعت يديها إلى السماء ، وهى تقول : اللهم ادفع عن بني ، فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال ، ما كلم منهم رجل كلما(٤)(٥) .

عصمة الدين خاتون

عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين أنر حاكم دمشق. من أبرز الشخصيات النسائية التي لعبت دوراً مهماً في مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، وذلك أثناء الهجمة الصليبية الشرسة على العالم

-
- (١) أى لم ترجعوا عن هجرتكم .
 - (٢) أى لم يستثقلكم الناس .
 - (٣) أى لم يضعفكم القحط والجوع .
 - (٤) يعنى لم يجرح أحدهم جرحاً .
 - (٥) التاريخ الكبير للإمام الطبري ٣/٥٤٤

الإسلامي، حيث أسهمت بشكل غير مباشر في التمهيد لتحرير بيت المقدس من براثن الصليبيين.

نالَت الشرف مرتين؛ مرّة حين تزوجت من البطل نور الدين محمود زنكي سلطان مصر والشام، والمرّة الثانية حين تزوجت من خلفه الناصر صلاح الدين الأيوبي، رحمهما الله.

نشأت عصمة الدين في بيت منشغل بقضايا الأمة، متفاعل معها؛ فأبوها الأتابك معين الدين أتر كان القائم بتسيير أمور الدولة بدمشق في عهد حكم (السلاجقة الأتابكة)، واستطاع أن يسيطر على الحكم الفعلي للدولة في ظل ضعف الملك " مجير الدين أبق " حاكم دمشق وتوابعها.

في بداية أمره تحالف مع الفرنجة لحماية دولة دمشق من الوقوع في سيطرة آل زنكي حكّام حلب والموصل، إلا أنه عاد عن ذلك وتحالف مع السلطان نور الدين زنكي في عام ٥٤٢هـ / ١١٤٨م.

ويذكر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي صاحب كتاب (الوافي بالوفيات)، والإمام الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غير) أنه: " كان عاقلاً سائساً مدبراً، حسن الديانة، ظاهر الشجاعة، جليل القدر، عالي الهمة، موصوفاً بالرأي، مُحِبّاً للعلماء والصُّلحاء، كثير الصدقة والبر.

وورد في السيرة الزنكية لمؤلفه د. علي محمد محمد الصلابي أن عصمت الدين ظلت في قلعة أبيها في دمشق حتى وقع عدد من التغيرات في الخريطة السياسية للعالم الإسلامي كان لها أثرها الكبير على حياتها، أبرزها

محاولات البطل نور الدين زنكي الذي انتهج مع الإمارات الإسلامية سياسة التآلف والتناصح، فتحوّل الصراع بين دمشق وآل زنكي إلى محاولات للوحدة والتقريب، وترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين أنر حاكم دمشق، واستقرت الحال بينهما على أجمل صفة، وتأكّدت الأمور على ما اقترح كل منهما، ولتأكيد هذه العلاقة خطب نور الدين من " معين الدين أنر " ابنته عصمت الدين ووافق الأخير، وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في شهر شوال، وما إن تمّ إعداد الجهاز حتى قفل الوفد عائداً وبصحبه ابنة معين الدين.

فكان هذا الزواج رمزا لوحدة إسلامية، وبمثابة خطوة علي طريق تحرير بيت المقدس، ولما كانت الغاية نبيلة، بارك الله في هذه الزيجة لم يكن التحالف مع معين الدين أنر هو الغرض الوحيد من التقدّم للزواج من عصمة الدين، وإنما السمعة الطيبة التي كانت تحظى بها، إذ قال عنها المؤرخون ومنهم ابن كثير في (البداية والنهاية): " كانت من أحسن النساء، وأعفهنّ وأكثرهن خدمة، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى ". هذه السيرة دفعت صلاح الدين بعد وفاة نور الدين ليتقدم لخطبتها ويعقد عليها، فكانت له نِعْم الزوجة.

زوجها: نورالدين محمود زنكي والملقب بالملك العادل من أشهر وأعظم ملوك المسلمين المجاهدين والمدافعين للصليبيين.

عرف عنه رحمه الله حبه للعلم وتكريم العلماء وإجلالهم، وكان يحرص على التشبه بهم والافتداء بسيرة من سلف منهم، وكان العلماء عنده في المنزلة الأولى والمحل العظيم، يحضرهم الى مجلسه، فيدنيهم ويتواضع لهم، وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه، ويعتقه ويجلسه معه على سجادته، ويقبل عليه بجديته، كأنه أقرب الناس إليه، تعظيماً وتوقيراً واحتراماً، ووصف مجلسه بأنه يشبه مجلس رسول الله ﷺ، فهو مجلس حلم وحياء، لا تؤبن فيه الحرم، ولا يذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين، والمشورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو.

أطلق عليه المؤرخون لقب: سادس الخلفاء الراشدين، لشبهه الكبير بعمر بن عبدالعزيز الذي عرف بخامس الخلفاء الراشدين.

أكرم الله نور الدين بذكر مجيد وسيرة عطرة ولم يقطف من هذه الدنيا سوى ثمانية وخمسين عاماً.

يقول الإمام ابن عساكر: بلغني أنه (نور الدين محمود) في الحرب رابط الجأش، ثابت القدم، شديد الانكماش، حسن الرمي بالسهم، صليب الضرب عند ضيق المقام، يقدم أصحابه عند الكرة، ويحمي منهزمهم عند الفرقة، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة.

وعن شجاعته وأقدامه: قال ابن الأثير : وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيهما، فإنه كان أصبر الناس في الحرب، وأحسنهم مكيدة ورأياً، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم، وبه كان يضرب المثل في ذلك،

سمعت جمعاً كثيراً من الناس لا أحصيهم يقولون: إنهم لم يروا على ظهر
الفرس أحسن منه، كأنه خلق منه لا يتحرك و لا يتزلزل."

وعن زهده يقول سبط ابن الجوزي " كان إذا أقام الولائم العظيمة لا يمد يده
إليها إنما يأكل من طبق خاص فيه طعام بسيط.

وظل طيلة ثمانية وعشرين عاما لا يبتسم، فذكروا له حديثا نبويا عن
الابتسامة فرد غاضبا: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني متبسما
والمسلمون محاصرون بالفرنج.

ولذا اجتهد في توحيد الشام وضمه إلي مملكته، وهذا مما زاد المسلمين
هيئة أمام الروم، وجع

قال أبو شامة المقدسي صاحب كتاب (الروضتين في أخبار النورية
والصلاحية): "وفي آخر صفر تزوج السلطان بالخاتون المنعوتة عصمت
الدين بنت الأمير معين أنر، وكانت في عصمة نور الدين -رحمه الله تعالى-
فلما توفي أقامت في منزلها بقلعة دمشق، رفيعة القدر، مستقلة بأمرها،
كثيرة الصدقات، والأعمال الصالحات. فأراد السلطان حفظ حرمتها، وصيانتها
وعصمتها، فأحضر (شرف الدين بن أبي عسرون) وعُدوله، وزوجه إياها
بحضرتهم أخوها لأبيها الأمير سعد الدين مسعود بن أنر بإذنها، ودخل بها
وبات عندها، وقرن بسعده سعدا". كما ذكر ابن كثير في تاريخه " محبة
صلاح الدين لها، وأنه كان يكتب لها أثناء مرضه في حران كل يوم كتاباً
طويلاً.

كما تميزت الخاتون عصمة الدين برجاحة العقل، اكتسبتها أثناء نشأتها في بيت والدها حيث اطلّعت على أوضاع أمتها، وأدركت حجم المخاطر التي تتعرض لها وتفاعلت معها؛ مما انعكس على حياتها الزوجية مع نور الدين زكي الذي كان كثيراً ما يأخذ برأيها.. ومن القصص الطريفة التي تُروى أن نور الدين شبهها ذات مرة بالقاضي الفاضل لرجاحة عقلها وسداد رأيها - وكان قاضياً حكيماً ووزيراً من الوزراء- فابتسمت الخاتون عصمة الدين وقالت لزوجها: " ولكني أجمل منه ". كما ذكر الإمام الذهبي أن " صلاح الدين كان يصدر عن رأيها.

أثر نور الدين في زوجته:

أثر مسلك نور الدين في حياة زوجته، وسرى حاله وعبادته إليها، فكانت عصمت الدين خاتون زوجته من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى وكانت لها اوقاف وصدقات كثيرة وبر عظيم، وكانت تكثر القيام في الليل، وحدث أنها نامت ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبي، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائمين لقيام الليل وخصص للضاربين أجراً جزيلاً.

أثمر زواج الخاتون عصمة الدين من نور الدين زكي عن ابنة وولدين، هما أحمد الذي توفي طفلاً، والصالح إسماعيل الذي توفي عنه أبوه وهو بعد غلام، فاهتمت أمه عصمة الدين بتربيته ولم تفسده بتدليلها - كونه ابنها

الوحيد - بل عملت على تأهيله للقيام بالأعباء العظام التي تنتظره.. فملك الشام والجزيرة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٩هـ، وكان عمره إحدى عشرة سنة، وتلقب بالملك الصالح. اشتهر بتقواه وورعه، ذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) أنه رفض الأخذ برأي الأطباء في شرب شيء من الخمر للتداوي عندما ألحّت عليه علة " القولنج " - التي أودت بحياته - فقال: لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء. فاستفتى، فأفتاه فقيه من مدرّسي الحنفية بجواز ذلك، فقال له: رأيت إن قدر الله - تعالى - بقرب الأجل، أيؤخره شرب الخمر؟ فقال له الفقيه: لا. فقال: والله لا لقيت الله - سبحانه - وقد استعملت ما حرّمه عليّ. ولم يشربها، فتوفي - رحمه الله - ولم يبلغ العشرين من العمر.

كما كانت الخاتون عصمة الدين نموذجاً للمرأة الصابرة؛ ذكر الدكتور ياسر نصر في كتابه (فجر أمة) أنها ظلت وزوجها نور الدين صابرين على قضاء الله وقدره لمدة عشرين عاماً حتى ولد لهما إسماعيل.

لم يقف دور عصمة الدين عند تربية الأبناء ومساندة زوجها نور الدين ثم صلاح الدين - مجدداً حركة الجهاد في الأمة في القرن السادس الهجري - وشدّ أزرهما وعدم البخل عنهما بأية مشورة أو رأي، وإعانتها على طاعة الله رغم عظم هذا الدور وأهميته.. لكنها تجاوزت ذلك إلى محاولة إصلاح المجتمع والنهوض به، وفي سبيل ذلك أوقفت أموالاً طائلة على أعمال الخير وتعليم الأمة وتربيتها، قال عنها عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) : "هي من أعف النساء وأعصمهن

وأجلّهن في الصيانة وأحزمهنّ، متمسكة من الدين بالغروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقهاء، وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها.

وُصِفَت الخاتون عصمة الدين بأنها فقيهة في المذهب الحنفي، ولشدة اعتنائها بهذا المذهب بنت المدرسة الخاتونية سنة ٥٧٣هـ على مذهب الإمام الحنفي بدمشق بمحلة كانت تُعرف بحجر الذهب، وقد اهتمت بها؛ وتكفلت بتمويلها مادياً عن طريق الوقف وتسخير إيراداته للمدرّسين والطلبة، ولقد توالى على التدريس في هذه المدرسة مجموعة من أكابر علماء الفقه الحنفي.

هكذا كان بيت عصمة الدين بيت قيادة، أسرة يتوق أفرادها لتحرير بيت المقدس، ويحملون بين جنّاتهم همّ الإسلام ونصرتة... كم نحن بأمسّ الحاجة إلى الاسترشاد بهذه النماذج وإسقاطها على واقعا روحانيّاً وفكريّاً وتربويّاً! وهذا - بلا أدنى ريب - سيكون له أثر كبير في تنشئة جيلٍ يحذو حذو البطلين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، رحمهما الله.

توفيت رحمها الله عام ٥٨١هـ، قبل أن تكحلّ عينيها برؤية المسجد الأقصى محرراً، ودُفنت بالتربة التي بنتها على سفح قاسيون على نهر بردى، رحمها الله رحمة واسعة.

جهاد (وا إسلاماه)

نوجة محمود الملقب بسيف الدين قطز هازم التتار في عين جالوت

خرج قطز يوم الإثنين الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ -
١٢٦٠م بجميع عسكر مصر ومن انضم إليهم من عساكر الشام ومن العرب
والتركمان وغيرهم من قلعة الجبل في القاهرة.
التقى الفريقان في المكان المعروف باسم عين جالوت في فلسطين في ٢٥
رمضان ٦٥٨ هـ - سبتمبر ١٢٦٠ م (وقت وصول الجيشين تماما مختلف
فيه).

قام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش
يختبئ بين التلال وفي الوديان المجاورة كقوات دعم أو لتنفيذ هجوم مضاد أو
معاكس. وكان قطز قد اجتمع بالإمراء، فحرضهم على قتال التتار وذكرهم بما
وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وخوفهم وقوع مثل ذلك،
وحرضهم على استنقاذ الشام من التتار ونصرة الإسلام والمسلمين، فضجوا
بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتار ودفعهم عن البلاد.

قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم انسحبت متظاهرة
بانهزام مزيف هدفه سحب خيالة المغول إلى الكمين، في حين كان قطز قد

حشد جيشه استعدادا لهجوم مضاد كاسح، ومعه قوات الخيالة الفرسان الكامنين فوق الوادي.

وانطلقت الحيلة على كتبغا فحمل بكل قواه على مقدمة جيش المسلمين واخرقه وبدأت المقدمة في التراجع إلى داخل الكمين، وفي تلك الأثناء خرج قطز وبقية مشاة وفرسان الجيش وعملوا على تطويق ومحاصرة قوات كتبغا، حيث كانت جيوش المسلمين ينزلون من فوق تلال الجليل، والمغول يصعدون إليهم. ثم هجم كتبغا بعنف شديد إلى درجة أن مقدمة جيش المسلمين ازيحت جانبا، فاستبسل كتبغا في القتال، فاندحر جناح ميسرة عسكر المسلمين وإن ثبت الصدر والميمنة.

كانت الحرب ضارية.. أخرج التتار فيها كل إمكانياتهم، وظهر تفوق الميمنة التتارية التي كانت تضغط على الجناح الأيسر للقوات الإسلامية، وبدأت القوات الإسلامية تتراجع تحت الضغط الرهيب للتتار، وبدأ التتار يخترقون الميسرة الإسلامية، وبدأ الشهداء يسقطون، ولو أكمل التتار اختراقهم للميسرة فسيلتفون حول الجيش المسلم.

كان قطز يقف في مكان عال خلف الصفوف يراقب الموقف بكامله، ويوجه فرق الجيش إلى سد الثغرات، ويخطط لكل كبيرة وصغيرة، وشاهد قطز المعاناة التي تعيشها ميسرة المسلمين، فدفع إليها بآخر الفرق النظامية من خلف التلال، ولكن الضغط التتاري استمر.

فما كان من قطز إلا أن نزل ساحة القتال بنفسه؛ وذلك لتثبيت الجنود ورفع روحهم المعنوية، ألقى بخوذته على الأرض تعبيراً عن اشتياقه للشهادة، وعدم خوفه من الموت، وأطلق صيحته الشهيرة: "وإسلاماه".

وقاتل قطز مع الجيش المسلم قتالاً شديداً، حتى صوب أحد التتار سهمه نحو قطز فأخطأه ولكنه أصاب الفرس الذي كان يركب عليه قطز فقتل الفرس من ساعته، فترجل قطز على الأرض، وقاتل ماشياً لا خيل له. وراه أحد الأمراء المماليك وهو يقاتل ماشياً، فجاء إليه مسرعاً، وتنازل له عن فرسه، إلا أن قطز امتنع، وقال: "ما كنت لأحرم المسلمين نفعك!!" وظل يقاتل ماشياً إلى أن أتوه بفرس من الخيول الاحتياطية.

وقد لامه بعض الأمراء على هذا الموقف وقالوا له: لم لم تتركب فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك، وهلك الإسلام بسببك. فقال قطز: "أما أنا كنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه، وقد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقاً من الملوك (مثل عمر وعثمان وعلي) فأقام الله للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضع الإسلام.

أما جنار حب الرمان هي زوجة الملك المظفر سيف الدين قطز وصاحبة العبارة الشهيرة ((وإسلاماه)) والتي كانت آخر كلمة نطقت بها قبل أن تموت شهيدة على يد التتر في عين جالوت.

ذكرت بعض الروايات: منها رواية (وإسلاماه) للمؤلف علي أحمد باكثير : لما كان يوم عين جالوت حضر سيف الدين قطز ومعه زوجته جنار

حب الرمان المعركة وأثناء القتال تمكن التتر من زحزحة صفوف المسلمين حتى إنهم وصلوا إلى خيام المعسكر فضربوا جنار وهب قطز إليها وهي تلتف أنفاسها الأخيرة فقال (واحبيبتاه .. وازوجاه) فردت عليه وهي على حالها (لا تقبل واحبيبتاه بل قل وإسلاماه) ثم فاضت روحها إلى بارئها

ونهب قطز من مكانه وانقض على جيش التتر يقتل فيهم وهو يصرخ (الله

أكبر .. وإسلاماه) فتحمس المسلمون واشتدوا في قتالهم حتى هزموهم بإذن

الله، هزيمة منكرة.

لذا نجد أن المرأة المسلمة قد شاركت من أول يوم في التضحية للدين وتحمل المسؤولية تجاه الدفاع عن دينها وعقيدها.. حيث هاجرت وتحملت ما تحملت من مشاق الغربة وترك الوطن ، من أجل الحفاظ علي دينها وإيمانها وإعلاء كلمة ربها (لا إله إلا الله) .



مهاجرات

يقول ابن القيم (رحمه الله) :

فلما اشتد البلاء ، أذن الله سبحانه وتعالى لهم بالهجرة الأولى إلي الحبشة وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانوا اثني عشر رجلا وأربع نسوة :

- عثمان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ .
- وأبو حذيفة وامراته سهلة بنت سهيل .
- وأبو سلمة وامراته أم سلمة هند بنت عبد الأسد .
- وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت حثمة .

وفي الهجرة الثانية : خرج ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء تسع نسوة منهم أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان مع زوجها عبد الله بن ربيعة الذي تنصر ومات كافرا (١) .

(١) زاد المعاد لابن القيم ٨٠/٢ .

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله):

في كتابه حياة الصحابة في باب الهجرة: كيف تركت الصحابة أوطانهم
العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس، بحيث أنهم لم يرجعوا إلى
أوطانهم إلى الموت؟ .

وكيف كان ذلك أحب إليهم من الدنيا ومتاعها؟.

وكيف قدموا الدين على الدنيا، فلم يباليوا بضاياعها ولم يلتفتوا إلى
فنائها؟.

وكيف يفرّون من بلاد إلى بلاد إحتفاظاً لدينهم من الفتنة، فكأنهم كانوا قد
خلقوا للآخر وكانوا من أبنائها فصارت الدنيا كأنها خلقت لهم.

والمأمل يجد أن نساءهم كانوا لهن مثل الظل يهاجرن معهم ويؤذين
معهم ويتحملن معهم المشقات والمجاهدات من أجل إحياء هذا الدين العظيم،
فرضي الله عنهن.



مهاجرات اكبشة

من قريش: من بني هاشم	رقية بنت رسول الله ﷺ، مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما.
من بني أمية	أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت: من مكة ، ورجعت بها معها
من بني مخزوم	أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزینب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك.
من بني تيم بن مرة:	ريطة بنت الحارث بن جبيلة . هلكت بالطريق ، وبناتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزینب بنت الحارث ، هلكن جميعا ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة
من بني سهم	رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة .
من بني عدي	ليلی بنت أبي حثمة بن غاتم
من بني عامر	سودة بنت زمعة بن قيس؟ وسهلة بنت سهيل بن عمرو .. وابنة المجلل .. وعمرة بنت السعدي بن وقدان . وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

من غرائب العرب	أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية - وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار، وحسنة . أم شرحبيل بن حسنة .
----------------	--

أبنائهم بالكحبة

وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الكحبة:

من بني هاشم	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
من بني عبد شمس	محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد.
من بني مخزوم	زينب بنت أبي سلمة بن الأسد
من بني زهرة	عبد الله بن المطلب بن أزر .
من بني تيم	موسى بن الحارث بن خالد . وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .
الذكور منهم خمسة	عبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث

<p>أمة بنت خالد وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر (١).</p>	<p>الإناث منهن</p>
--	--------------------

الهجرة إلى المدينة

(١) هجرة أم سلمة: عن أم سلمة (رضي الله عنها) (٢) .

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم نعلم قرشية خرجت من بين أباؤها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة في الهدنة هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقدموا المدينة من الغد يوم قدمت فقالا يا محمد ف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه وقالت أم كلثوم يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني ولا

(١) السيرة النبوية لابن هشام « ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة » مهاجرات الحبشة.

(٢) وقد ذكرت قصة هجرتها وما نالت من المشقة في: (باب مضحيات) من هذا الكتاب.

صبر لي فقبض الله العهد في النساء في صلح الحديبية وأنزل فيهن المحنة وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم وفي أم كلثوم نزل فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فامتحنها رسول الله وامتحن النساء بعدها يقول والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال فإذا قلن ذلك تركن وحبسن فلم يرددن إلى أهليهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للوليد وعمارة ابني عقبة قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه فانصرفا ولم يكن لأم كلثوم بنت عقبة بمكة زوج فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى فولدت له وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها الزبير بن العوام بن خويلد فولدت له زينب أخبرنا يزيد بن هارون عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال كانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط تحت الزبير بن العوام وكانت فيه شدة على النساء وكانت له كارهة فكانت تسأله الطلاق فيأبى عليها حتى ضربها الطلق وهو لا يعلم فألحت عليه وهو يتوضأ للصلاة فطلقها تطليقة ثم خرجت فوضعت فأدركه إنسان من أهله فأخبره أنها قد وضعت فقال خدعتني خدعها الله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال سبق فيها كتاب الله فاخطبها قال لا ترجع إلي أبدا قال محمد بن عمر ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميدا ومات عنها عبد الرحمن فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده أخبرنا خالد بن مخلد حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز قال حدثني بن شهاب قال كان المشركون قد شرطوا على رسول الله يوم الحديبية إنه من جاء من قبلنا وإن كان على

دينك رددته إلينا ومن جاءنا من قبلك رددناه إليك فكان يرد إليهم من جاء من قبلهم يدخل في دينه فلما جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة جاء أخوها يريدان أن يخرجها ويرداها إليهم فأنزل الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله قال هو الصداق وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا قال هي المرأة تسلم فيرد المسلمون صداقها إلى الكفار وما طلق المسلمون نساء الكفار عندهم فعليهم أن يردوا صداقهن إلى المشركين فإن أمسكوا صداقا من صداق المسلمين مما فارقوا من نساء الكفار أمسك المسلمون صداق المسلمات اللاتي جئن من قبلهم^(١).



(١) الطبقات الكبرى لابن سعد _ باب مبايعة النساء للنبي الجزء الثامن.

مواقف بطولية

من صنع النساء

تضحياتهن وثباتهن على الإيمان

المرأة المؤمنة والأخدود

وهي التي ذكرها النبي ﷺ في قصة أصحاب الأخدود عندما آمن الناس برب الغلام ، وأمر الملك بالأخدود بأفواه السكك فخذت وأضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقموه فيها ... فجاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها خوفاً على ولدها فأتطق الله ولدها في المهد وقال لها : يا أمه اصبري فإنك على الحق "

انظري أختي المسلمة إلى هذا الثبات على الإيمان والتضحية من أجل الله ﷻ حيث أقت بنفسها وولدها في النار.

فكتب الله ﷻ لها خلودين، خلود في الدنيا ^(١) فقد سجل الإمام مسلم في صحيحه تضحية هذه المرأة ، لتكون مثلاً لأمة الحبيب محمد ﷺ رجالاً ونساءً في التضحية والثبات على الإيمان والعقيدة ، حتى لو وصل الأمر إلى إزهاق

(١) انظر قصة أصحاب الأخدود بتمامها في كتاب رياض الصالحين باب الصبر ص ٦٠ - .

النفوس والأرواح من أجل الله ﷻ ... والخلود الثاني في الفردوس مع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

ماشطة ابنة فرعون

مر الحبيب محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وهو في طريقه إلى بيت المقدس فوجد ريحاً طيبةً ، فقال : " يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ " قال : هذه رائحة ما شطة بنت فرعون وأولادها ، بينا هي تمشط بنت فرعون إذا سقط المشط . فقالت : بسم الله ، تعس فرعون : فقالت ابنة فرعون ، أولك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ، ربي وربك الله . وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة زوجها أن يرجعها عن دينها ، فقال : إنى قاتلكما ، فقالا : إحسانا منك إن قتلتنا أن تجعلنا في بيت . وفي رواية قالت : إن لى إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدى ، فتدفنا جميعا ، قال : ذلك لك بما لك علينا من حق ، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها هي وأولادها ، فألقوا واحداً واحداً حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم ، فقال : يا أمه قع ولا تقاعسي فإنك على الحق .^(١)

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣ / ١١٦ .

آسية بنت مزاحم (عليها السلام)

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل، وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلما قتلت الماشطة، رأت آسية الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر إليها وهي تعذب فلما رأت الملائكة قوة إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون، فأخبرها خبر الماشطة، قالت: له آسية: الويل لك ما أجراك على الله، فقال لها: لعنك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت: ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين.

فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى، فأرادتها على موافقة فرعون، فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله فأمر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت فلما عاينت الموت قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١) فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامة فضحكت فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهي في

العذاب ثم ماتت (١).. وقد مر ذكرها في باب تضحيات نسائية، وقد كررنا ذكرها هنا لما كان في قصتها أعظم الثبات علي الإيمان.

فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها)

فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عمر، وهي كانت سبب إسلام أخيها عمر.

يدخل عليها عمر حين علم بإسلامها هي وزوجها سعيد بن زيد ، ويقول : ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرؤون " طه " فقالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعلما صبوتما . قال له ختنه سعيد بن زيد ﷺ : أرأيت يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأاً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها، فقالت وهي غضبي: يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله الخ (٢).

(١) سورة التحريم - الآية ١١

(٢) انظر القصة بتمامها في حياة الصحابة باب تحمل الصحابة الشدائد في الدعوة إلى الله - تحمل سعيد بن زيد وزوجته.

روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر عن إسلامه، فقال: خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي وكان قد أسلم فقلت: تركت دين آبائك وأتبع دين مُحَمَّد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني! قلت: من هو؟ قال: أختك وختك. قال: فانطلقت فوجدت الباب مغلقاً، وسمعت همهمة، ففتح الباب، فدخلت فقلت: ما هذا الذي أسمع؟ قالت: ما سمعت شيئاً. فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس خنتي فضربته فأدميته، فقامت إليّ أختي فأخذت رأسي فقالت: قد كان ذاك على رغم أنفك! قال: فاستحييت حين رأيت الدم، وقلت: أروني هذا الكتاب.. وذكر قصة إسلام عمر في ترجمته. أخرجها الثلاثة. (١).

وفي رواية البزار قال: فلما فتحت لى أختي الباب، قلت: أيا عدوة نفسها! صبوت؟ قال: ورفع شيئاً فضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت: يا بن الخطاب: اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت... الخ. (٢).

وكانت هذه التضحية وتحمل الضرب والإيذاء سبباً في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

رحمك الله ورضي عنك يا بنت الخطاب، فحلقة التعليم التي أقمتها في بيتك أنت وزوجك، كانت سبباً في إسلام فاروق الأمة، وبشراك ما بين مبين الآن في النساء ولا أقام حلقة التعليم إلا وذكرك يا فاطمة، فكانت حلقتك نبراساً للأمة إلي يوم القيامة.

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ ترجمة فاطمة بنت الخطاب.

(٢) المرجع السابق .

سمية بنت الحياط

وكانت امرأة عجوزة كبيرة، وقد مر تعذيب أبا جهل لها ، حتى رزقها الله الشهادة علي يديه وهي صابرة ثابتة علي دينها .

جاريت

بنت عمرو بن مؤمل

أسلمت بمكة قديما وكانت ممن يعذب في الله وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم هو الذي يعذبها ليردها عن الإسلام فيعذبها حتى يفتر ثم يدعها ويقول والله ما أدعك إلا سامة فتقول كذلك يفعل بك ربك

قصة الغلام

وابن قدامة المقدسي رحمه الله

يحكى أنه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يقال له أبو قدامة الشامي، وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه ، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيت في الجهاد ؟

فقال أبو قدامة نعم إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملاً أشتريه ليحمل السلاح ، فبينما أنا يوماً جالساً إذ دخلت علي امرأة فقالت : يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رُزقتُ من الشعر ما لم يُرزقه غيري من النساء ، وقد قصعته وأصلحت منه شكالاً للفرس وعفرته بالتراب كي لا ينظر إليه أحد ، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرتَ في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورُميت النبال وجُردت السيوف وشرُعت الأسنّة ، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله ، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قُتلوا في سبيل الله ولو كان عليّ جهاد لجاهدت.

وناولتني الشكال . وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قُتل خلف لي غلاماً من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي على القوس وهو قوام بالليل صوام بالنهار وله من العمر خمس عشرة سنة وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل وأنا أسألك بحرمة الإسلام، لا تحرمني ما طلبت من الثواب.

فأخذت الشكال منها فإذا هو مظفور من شعرها. فقالت: ألقه في بعض رحالك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي. فطرحته في رحلي وخرجتُ من الرقة ومعني أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبدالمك إذا

بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلاً يرحمك الله، فوفقت وقلت لأصحابي تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا أنا بفارس قد دنا مني وعانقتي وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً. قلت للصبي أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا به غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة.

قلت للصبي: ألك والد؟ قال: لا بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي لأنه استشهد فعمل الله يرزقني الشهادة كما رزق أبي. قلت للصبي: ألك والدة؟ قال: نعم. قلت: اذهب إليها فاستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد، لأن الجنة تحت ظلال السيوف وتحت أقدام الأمهات. قال: يا أبا قدامة أما تعرفني قلت: لا. قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أُمِّي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، سألتك بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، فإني حافظ لكتاب الله عارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عارف بالفروسية والرمي وما خلفت ورائي أفرس مني فلا تحقرني لصغر سني وإن أُمِّي قد أقسمت على أن لا أرجع، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله تعالى ومجاورة أبيك مع إخوانك الصالحين في الجنة فإذا رزقك الله الشهادة

فأشفع فيّ فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها ورفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي ومولاي هذا ولدي وريحانة قلبي وثمره فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه.

فلما سمعت كلام الغلام بكيت بكاءً شديداً أسفاً على حسنه وجمال شبابه ورحمة لقلب والدته وتعجباً من صبرها عنه. فقال: يا عم مم بكائك؟ إن كنت تبكي لصغر سني فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه. قلت: لم أبك لصغر سنك ولكن أبكي لقلب والدتك كيف تكون بعدك.

وسرنا ونزلنا تلك الليلة فلما كان الغداة رحلنا والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب وخادماً إذا نزلنا منزلاً، وصار كلما سرنا يقوى عزمه ويزداد نشاطه ويصفو قلبه وتظهر علامات الفرحة عليه. فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاماً لإفطارنا وكنا صياماً، فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينما هو نائم إذ تبسم في نومه فقلت لأصحابي ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه، فلما استيقظ قلت: بني رأيتك الساعة ضاحكاً مبتسماً في منامك، قال: رأيت رؤيا فأعجبني وأضحكتني. قلت: ما هي. قال: رأيت كأني في روضة خضراء

أنيقة فبينما أنا أجول فيها إذ رأيت قصرًا من فضة شُرفه من الدر والجواهر، وأبوابه من الذهب وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور وجوههن كالأقمار فلما رأيني قلن لي: مرحبا بك فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن فقالت: لا تعجل ما أن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض هذا زوج المرضية، وقلن لي تقدم يرحمك الله فتقدمت أمامي فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر قوامه من الفضة البيضاء عليه جارية وجهها كأنه الشمس لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية. فلما رأيتي الجارية قالت: مرحبا وأهلا وسهلا يا ولي الله وحبيبه أنت لي وأنا لك فأردت أن أضمها إلى صدري فقالت: مهلا، لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا، وإن الميعاد بيني وبينك غداً بعد صلاة الظهر فأبشر.

قال أبو قدامة: قلت له: رأيت خيراً، وخيراً يكون. ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري، انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا. فما كان إلا ساعة، وإذا جيش الكفر خذله الله قد أقبل كالجراد المنتشر، فكان أول من حمل منّا فيهم الغلام فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالاً وجندلاً أبطالاً فلما رأيت أنه كذلك لحقته فأخذت بعنان

فرسه وقتلت: يا بني ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب. فقال: يا عم ألم تسمع قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار}، أتريد أن أدخل النار؟ فبينما هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، حالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه واشتغل كل واحد منا بنفسه.

وقُتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان إذ القتلى لا يحصون عددا فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ودمائهم تسيل على الأرض ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء، فبينما أنا أجول بين القتلى وإذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة فأقبلت عليه عندما سمعت صياحه فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب فقلت: أنا أبو قدامة. قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه ومسحت التراب والدم عن محاسنه وقتلت: يا بني لا تنس عمك أبا قدامة في شفاعتك يوم القيامة. فقال: مثلك لا يُنسى لا تمسح وجهي بثوبك ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحوراء التي وصفتها لك قائمة على رأسي تنتظر خروج روحي وتقول لي عجل فأنا مشتاقة إليك، بالله يا عم إن رذك الله سالماً فتحمل ثيابي

هذه المضمخة بالدم لوالدي المسكينة الثكلاء الحزينة وتسلمها إليها لتعلم أنني لم أضيع وصيتها ولم أجبن عند لقاء المشركين، وقرأت مني السلام عليها، وقل لها أن الله قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة لها من العمر عشر سنين كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني عند مخرجي، وقد قالت لي بالله يا أخي لا تبط عنا فإذا لقيتها فقرأ عليها مني السلام وقل لها يقول لك أخوك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ثم خرجت روحه فكفناه في ثيابه ووريناه رضي الله عنه وعنا به.

فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله وهي قائمة بالباب وتقول لكل من مر بها: يا عم من أين جئت فيقول من الغزو، فتقول: أما رجعت معكم أخي فيقولون لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها فقالت لي: يا عم من أين جئت، قلت: من الغزو قالت: أما رجعت معكم أخي ثم بكت وقالت ما أبالي، يرجعون وأخي لم يرجع فغلبتني العبرة، ثم قلت لها: يا جارية قل لي لصاحبة البيت أن أبا قدامة على الباب، فسمعت المرأة كلامي فخرجت وتغير لونها فسلمت عليها فردت السلام وقالت: أمبشراً

جئت أم معزياً. قلت: بيّني لي البشارة من التعزية رحمك الله. قالت: إن كان ولدي رجع سالماً فأنت معز، وإن كان قُتل في سبيل الله فأنت مبشر. فقلت: أبشري. فقد قُبلت هديتك فبكت وقالت: الحمد لله الذي جعله نخيرة يوم القيامة، قلت فما فعلت الجارية أخت الغلام. قالت: هي التي تكلمك الساعة فتقدمت إلي فقلت لها إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت ووقعت على وجهها مغشياً عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه وودعتها وانصرفت حزينا على الغلام والجارية ومتعجبا من صبر أمهما^(١).



(١) صفة الصفوة: ذكر المصطفيات من عابدات الرقة .

يبايعن النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَعْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

معنى البيعة:

(١) البيعة لغتاً: مصدر من الباء والياء والعين، أصل واحد، وهو بيع الشيء، وربما سمي الشراء بيعاً، والمعنى واحد، وقيل: البيع ضد الشراء، وهو من الأضداد (٢).

(٢) والبيعة اصطلاحاً هي: الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة، والبيعة: المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر؛ كقولك: أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهدته (٣)، والبيعة - بفتح الباء - من باع وبايع:

(١) سورة الممتحنة؛ الآية: ١٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ٥٥٧/١.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب" (٥٥٧/١).

صفة البيع، وهي: المعاقدة والمعاهدة والتولية، وبذل العهد على الطاعة والنصرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١)(٢).

قال ابن حجر: والمبايعة: عبارة عن المعاهدة؛ سُميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية^(٣).

وقال ابن خلدون في "مقدمته": اعلم أنّ البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسُمي بيعة، مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ^(٤).

فنخلص من ذلك بأن معنى البيعة الاصطلاحي هو: عهد بين المبايع من والمبايع له من الولاية على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وتفويض الأمور إليه، وطاعته في المعروف، دون شقاق ولا منازعة.

(١) سورة الفتح؛ الآية: ١٠ .

(٢) قلنجي، محمد رواس، وحامد صادق قنبي، "معجم لغة الفقهاء"، (ص ١١٥).

(٣) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (١/٦٤).

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، "مقدمة ابن خلدون" (ص ٢٠٩).

وكانت بيعة النبي للنساء بيعة جماعية علي الإيمان بالله وحده لا شريك له، وفعل الطاعات وترك المنكرات والفواحش التي كانت منتشرة في الجاهلية وأحياناً كان يزيد علي مافي آية البيعة من أمور الجاهلية مثل النياحة ، وخمش الوجوه وشق الجيوب، ونشر الشعور والدعاء بالويل والثبور، وغش الأزواج.

أحاديث بيعة النساء:

رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَغَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مِنْ بَيْعَةِ الرَّجَالِ أَخَذَ فِي بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ أَسْفَلُ مِنْهُ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُبَلِّغُهُنَّ عَنْهُ ، وَهَنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ مَتَّقَتَهُ مُتَنَكِّرَةً خَوْفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْرِفَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : "أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، فَرَفَعَتْ هَنْدُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَبَدْنَا الْأَصْنَامَ وَإِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا مَا رَأَيْتُكَ أَخَذْتَهُ عَلَى الرَّجَالِ ، تُبَايِعُ الرَّجَالَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ فَقَطْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَلَا تَسْرِقْنَ ، فَقَالَتْ هَنْدُ : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِهِ هِنَاةً فَمَا أَدْرِي أَتَحِلُّ لِي أَمْ لَا ؟ فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ مَا أَصَبْتَ مِنْ شَيْءٍ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا غَبَرَ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَهَا ، فَقَالَ لَهَا :

وَإِنَّكَ لَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، قَالَتْ: نَعَمْ فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ
عَنْكَ ، فَقَالَ: وَلَا تَزِينِي ، فَقَالَتْ: أَتَزْنِي الْحُرَّةُ ، وَفِي رِوَايَةٍ مَا زَنْتُ مِنْهُنَّ امْرَأَةً
قَطُّ ، فَقَالَ : وَلَا تَقْتُلِي أَوْلَادَكُنَّ ، فَقَالَتْ: رَبِّبَاهُمْ صِغَارًا وَقَتَلْتَهُمْ كِبَارًا ،
فَأَنْتُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ ، وَكَانَ ابْنُهَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ،
فَضَحِكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: وَلَا
تَأْتِيَنِ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِيْنَهُ ، وَهُوَ أَنْ تَقْدِفَ عَلَى زَوْجِهَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ،
فَقَالَتْ هِنْدُ : وَاللَّهِ إِنَّ الْبُهْتَانَ لَأَمْرٌ قَبِيحٌ وَمَا تَأْمُرُنَا إِلَّا بِالرُّشْدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
، فَقَالَ : وَلَا تَعْصِيْنِي فِي مَعْرُوفٍ ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا هَذَا
وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ نَعْصِيْكَ فِي شَيْءٍ (١) .

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِ
اللَّهِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ إِلَى قَوْلِهِ غُفُورٌ رَحِيمٌ
﴿ قَالَ: عُرْوَةُ قَالَتْ: عَائِشَةُ فَمَنْ أَقْرَأَ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ
قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَايَعْتِكِ كَلَامًا وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ

(١) التفسير الكبير للإمام للرازي .

يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ قَدْ بَايَعْتُكَ عَلَيَّ
ذَلِكَ. رواه البخاري (١).

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ كَانَتْ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا
هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُمْتَحَنَنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا
جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ إِلَى آخِرِ آيَةِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقْرَبَ
بِالْمِحْنَةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْرَبَنَّ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُنَّ وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلامِ قَالَتْ عَائِشَةُ وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
كَفَّ امْرَأَةً قَطُّ وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ قَدْ بَايَعْتُنَّ كَلَامًا. رواه
مسلم (٢).

(١) صحيح البخاري _ كتاب تفسير القرآن _ سورة الممتحنة _ رقم ٤٦٠٩ .

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الإمارة _ باب كيفيةبيعة النساء _ رقم ١٨٦٦ .

وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ قَالَتْ مَا مَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا فَأَعْطَتْهُ قَالَ: " اذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكَ " رواه مسلم (١).

وعن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يباعنه، فقلنا: نبايعك يا رسول الله! علي أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ: " فيما استطعتن وأطقتن "، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله! فقال: " إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة، كقولي لامرأة واحدة " أخرجه مالك وصححه ابن حبان .. وأخرجه الترمذي وغيره مختصراً. (٢).

وفى رواية أخرى: عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: جاءت أميمة بنت رقيقة (رضي الله عنها) إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام، فقال: أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقني، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفتره بين يديك

(١) المرجع السابق.

(٢) حياة الصحابة - كيف كانت الصحابة يبايعون النبي ﷺ - بيعة النساء ١/٢٣٤.

ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلين الأولى.
أخرجه الطبراني - والنسائي وابن ماجه - والأمام أحمد - وصحه
الترمذي. (١).

وعن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عطية عن جدته أم عطية قالت لما
قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر
بن الخطاب فجاء حتى قام على علينا فقال السلام عليكم فرددنا عليه
السلام فقال أنا رسول الله إلكن فقلنا مرحبا برسول الله ورسول رسول
الله فقال تباعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا
تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين بهتان تفتريه بين أيديكن
وأرجكن فقلنا نعم قالت فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل
البيت ثم قال اللهم اشهد قالت وأمرنا بالعيدين أن نخرج فيهما
العتق والحيض ولا كم علين ونهانا عن اتباع الجنابة قال
إسماعيل فسألت جدتي عن قوله ولا يعصينك في معروف قالت نهاتها عن
النياحة.

(١) المرجع السابق .

وعن أسيد بن أبي أسيد بن أبي أسيد البراد عن امرأة من المبايعات قالت فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه فيه من المعروف أن لا نخمش وجهها ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا ولا ندعوا ويلا.

وعن أم عطية قالت أخذ علينا في البيعة أو ثم البيعة أن لا ننوح فما وفي خمس أم سليم وأم العلاء بنت أبي سبرة وامرأة معاذ وأم معاذ وامرأة أخرى.

وعن مصعب بن نوح قال أدركت عجوزا لنا ممن بايع النبي ﷺ فأتته تبايعه قالت فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن قالت عجوز يا رسول الله إن ناسا أسعدني على مصابة أصابنتي وإنهم أصابتهم مصيبة فأنا أريد أن أسعدهم قال انطلقى فأسفديهم فانطلقت ثم أتته فبايعته وقالت هو المعروف الذي قال الله تعالى ولا يعصنك في معروف.

وعن سالم بن أبي الجعد عن أبي المليح الهذلي قالت جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تبايعه فقرا عليها هذه الآية فلما قال ولا يعصنك في معروف قال لا بئرين قالت يا رسول الله إن امرأة أسعدتني فأسعدها فأمسك رسول الله ﷺ حتى قالت مرتين أو ثلاثا فلم يرخص لها ثم أقرت فبايعها.

وعن بكر بن عبد الله قال أخذ رسول الله ﷺ في البيعة على النساء أن لا يشققن جيبا ولا يدعين ويلا ولا يخمشن وجهها ولا يقتلن هجرا.

وعن سلمى بنت قيس قالت أتيت النبي ﷺ أبايه في نسوة من الأنصار وكان مما أخذ علينا أن لا تغششن أزواجكن قالت فلما انصرفنا قلنا والله لو

رجعنا إلى رسول الله فسألناه ما غش أزواجنا فرجعنا فسألناه فقال أن تحابين أو تهادين بماله غيره.

وعن عطاء الخراساني أن رسول الله ﷺ أخذ على النساء فيما أخذ أن لا ينحن ولا يقعدون مع الرجال في خلاء. أخبرنا وكيع بن الجراح عن أبي الأشهب ومبارك عن الحسن أن النبي ﷺ لما بايع النساء أخذ عليهن أن لا يحدثن من الرجال إلا محرما من الرجال إلا محرما.

وعن ضابيء بن عمرو قال دخلنا على الحسن نعوده في وجع فقال إن رسول الله ﷺ لما نزلت بيعة النساء بايعهن واشترط عليهن أن لا يتحدثن مع الرجال وهو الذي في كتاب الله.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال كان عمر وعائشة إذا أتيا مكة نزلا على ابنة ثابت وكانت من النسوة السبع اللاتي بايعن رسول الله ﷺ بمكة. وعن سعد قال لما بايع رسول الله ﷺ النساء قامت إليه امرأة كأنها من نساء مضر فقالت يا رسول الله إنا كل على أبائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه.

وقالت أم عمارة (نسيبة بنت كعب) كانت الرجال تصفّق على يدي رسول الله (ليلة العقبة، والعباس أخذ بيد النبي ﷺ، فلما بقيت أنا وأم منيع أختي؛ نادى زوجي "غزيرة بن عمرو": يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعاتك، فقال النبي ﷺ: "قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إنى لا أصافح النساء، قالت: فرجعنا إلى رجالنا فلقينا رجلين من قومنا سليط بن

عمرو وأبا دواد المازني يريدان أن يحضرا البيعة فوجدا القوم قد بايعوا فلما كان بعد بايعا أسعد بن زراة وكان رأس النقباء في السبعين ليلة العقبة. وعن السوداء قالت أتيت رسول الله ﷺ لأبأبعه فقال انطلقني فاختضبي ثم تعالي أبأبعك.

وعن عمرو ابن شعيب عن أبي عن جده قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة للهجرة كان نساء قد أسلمن فدخلن عليه فقلن يا رسول الله إن رجالنا قد بايعوك وإنا نحب أن نبايعك قال فدعا رسول الله ﷺ بقدر من ماء من ماء فادخل يده فيه ثم أعطاهن امرأة فكانت هذه يبعتهن.

وعن أسماء بنت يزيد قالت بايعنا رسول الله ﷺ فأخذ علينا أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن الآية وقال إني لا أصافحكن ولكن آخذ عليكن ما آخذ الله عليكن.

وعن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد قال سمعت أم عامر الأشهلية تقول جئت أنا وليالي بيت الخطيم وحواء بنت يزيد بن الموطأ بن كرز بن زعوراء فدخلنا عليه ونحن متلففات بموطننا بين المغرب والعشاء فسلمت ونسبني فاتسبت ونسب صاحبتني فانتسبتا فرحب بنا ثم قال ما حاجتكن فقلنا يا رسول الله جئنا نبايعك على الإسلام فإننا قد صدقنا بك شهدنا أن ما جئت به حق فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي هداكن للإسلام ثم قال قد باعتكن قالت قالت أم عامر فدنوت منه فقال رسول الله ﷺ إني لا أصافح النساء قولي

لألف امرأة كقولي لامرأة واحدة وكات أم عامر تقول إنا أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن عاصم بن عمر بن قتادة قال أول من بايع النبي ﷺ أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع بن عبيد وأم عامر بنت يزيد بن الموطأ وحواء بنت يزيد ابن الموطأ ومن بني ظفر ليلى بنت الخطيم ومن بني عمرو بن عوف ليلى ومريم وتميمة بنات أبي سفيان أبي البنات قتل بأحد والشموس بنت أبي عامر الراهب وابنتها جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح وطيبة بنت النعمان ابن ثابت بن أبي الأفلح.

المبايعات:

قد ذكر ابن سعد في الطبقات عددا كبيرا من النساء المبايعات للنبي ﷺ في الجز الثامن، فمن أرد أن يتعرف عليهن فليراجعه.

الفرق بين بيعت الرجل والمرأة:

أولاً: الأمور التي تتساوى فيها المرأة مع الرجل في أم البيعة:

- (١) البيعة مشروعة للرجال والنساء.
- (٢) الاجتماع للبيعة، وتجاوز البيعة فرادي.

٣) تكرار أمر البيعة: فقد تكرر أمر البيعة عند كل من الرجال والنساء فعند الرجال كانت في أكثر من موطن وهي البيعات الثلاث المعروفة ببيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان.. وعند النساء تكررت البيعة ثلاث مرات كما ثبت ذلك في الروايات: فالأولى ببيعة النساء المهاجرات: كما في حديث عائشة. والثانية: ببيعة نساء الأنصار كما في حديث أم عطية في قولها جمع نساء الأنصار، والثالثة: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الفطر مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد. خرج النبي ﷺ كأنني انظر إليه حين يجلس بيده، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء معه بلال فقال: {يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك}. ثم قال حين فرغ منها: أنتن على ذلك؟ قالت امرأة واحدة منهن _ لم يجبه غيرها_: نعم. لا يدري حسن من هي قال الثعالبي: أعاد الآية على من لم يبائعه من أهل مكة، لقرب عهدهم بالإسلام، والله أعلم.

ثانياً: الأمور التي اختلفت فيها المرأة عن الرجل في أمر البيعة:

الاختلاف في الكيفية:

١) مبايعة النساء بالكلام فقط أما مبايعة الرجال فهي بالكلام والمصافحة.

(٢) أن بيعة النساء جاءت بعد بيعة الرجال: عن معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال قال: ثم دعا النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وعمر أسفل منه، يبايع النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً»، وقال ابن حبان: كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفاء، بعد ما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه، قال الخضيرى: هذا، ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء.

الاختلاف في المضمون:

(١) اختلف مضمون بيعة النساء على بيعة الرجال، فقد كانت بيعة النساء كما بينتها الأحاديث السابقة أن هناك أمور اشترك فيها الرجال مع النساء وهناك أمور اقتص بها الرجال دون النساء وهناك أمور اقتص بها النساء دون الرجال.

(٢) أن النساء أتى إليهن النبي ﷺ وفي الأخرى أرسل إليهن عمر وكذلك في البيعة الثالثة أتى إليهن في مكانهن في المسجد، بينما الرجال دعاهم كما في الحديث دعانا رسول الله فبايعناه.

(٣) أن اجتماع النساء في بيت وفي المسجد كما في الحديث: جمع نساء الأنصار في بيت بينما الرجال لم يكن لهم مكان محدد.

واجتماعهن في البيت وفي المسجد يؤكدان علي عدم اختلاط النساء بالرجال.. وفي هذا الجهد المبارك يكون الحرص علي اجتماع النساء للبيان والخروج بهذا الترتيب.

ثالثاً: الأمور المشتركة بين الرجال والنساء في البيعة:

١ - عدم الإشراف بالله.

٢ - عدم السرقة.

٣ - عدم قتل الأولاد.

٤ - عدم الاتيان ببهتان.

٥ - عدم المعصية في المعروف .

البيعة على النصرة والمنعة: كما في حديث جابر «تبائعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة». فقمنا نباعه فأخذ. وهذه الامور ببيع عليها الرجال والنساء. والمرأة تستطيع ان تنصر دين الله بالدعوة إليه كما تستطيع نصرة دين الله بتربية أبنائها عليه.

رابعاً: أمور اخنص لها الرجال عن النساء:

البيعة علي: الهجرة.. والجهاد.. والنصح لكل مسلم.. والسمع والطاعة في العسر واليسر.. بيعة علي أن لا يسألوا الناس شيئاً..
بيعة علي ألا ينازعوا الأمر أهله.. البيعة علي الموت.



حب النساء

للجهاد والخروج في سبيل الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ إذا خرج للجهاد فكان يقرع بين نساءه، فمن وقع سهمها خرجت معه.. وتخرج معه نساء المؤمنين يسقين المرضى، ويداوين الجرحى . ويقمن على خدمتهن .. فعن أم عطية الأنصارية (رضى الله عنها) قالت : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على الزماني .. أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجة (١) .

وعن أنس (رضى الله عنه) قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم (رضى الله عنهما) وإنهما لمشمرتان ، أرى خدماً سوقهما تنقزان (٢) القرب ؟ رواه البخاري .

(١) حياة الصحابة - باب خدمة النساء في الجهاد .

(٢) أى تنقلان .

وقال غيره : تنقلان القرب على متونهما ^(١) ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم أخرجه مسلم ^(٢) .

وكانت النساء مع جهد الخدمة، والسقاية، ومداواة الجرحى، يقمن بالقتال من وراء الرجال إذا اشتدت الحاجة لذلك، كما روى عن أم سعد بنت سعد بن الربيع (رضى الله عنها) كانت تقول: دخلت على أم عمارة ^(٣) (رضى الله عنها) فقلت لها: يا خالة ! أخبريني خبرك ؟ فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلي رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ فقامت بأبشر القتال وأدب عنه بالسيف، وأرمى عنه القوس حتى خلصت الجراح إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت لها من أصابك بهذا ؟ قالت: ابن قمنة، أقماه الله! لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ؓ وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضرِبني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

كذا في البداية ^(٤) .

(١) علي ظهورهما .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نسيبة بنت كعب .

(٤) حياة الصحابة - باب الجهاد - قتال النساء فى الجهاد ١/٥٧٩ .

وتقول : لقد رأيتني وقد انكشف الناس عن رسول الله وما بقي إلا نفر يتمون عشرة وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين ورآني لا ترس معي فرآى رجلاً مولياً معه ترس . فقال لصاحب الترس : ألقى ترسك لمن يقاتل ، فألقى ترسه فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل على فرس فضربني فترست له فلم يصنع سيفه شيئاً فولى فأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح : يا أم عمارة أمامك قالت : فعاونني عليه حتى أوردته شعوب المنية.

وعن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما التفت يوم أحد يميناً وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني. كذا في الإصابة ^(١)

وكانت صفية ^(٢) في غزوة أحد بيدها رمح تضرب به في وجوه المشركين.

(١) المرجع السابق .

(٢) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أم الزبير بن العوام، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي شقيقة حمزة والمقوم وحجل بني عبد المطلب لم يختلف في إسلامها من عمات النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في عاتكة وأروى، والصحيح أنه لم يسلم غيرها، كانت في الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أخو أبي سفيان بن حرب، فمات عنها، فتزوجها العوام بن خويلد، فولدت له الزبير وعبد الكعبة، وعاشت كثيراً، وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب، ولها ثلاث وسبعون سنة. ودفنت بالبقيع، وقيل: إن العوام

وقتل يومئذ رجل من اليهود (١).

أخبرنا أسامة حماد بن أسامة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لقتال عدوه من المدينة رفع أزواجه ونساءه في أطم حسان بن ثابت لأنه كان من أحسن أطام المدينة، وخلف حسان يوم أحد فجاء يهودي فلصق بالأطم يستمع ويتخبر فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان: انزل إلى هذا اليهودي فاقتله، فكأنه هاب ذلك فأخذت عموداً فنزلت فقتلته حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً ثم حملت عليه فضربته بالعمود فقتلته (٢).

وعن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارح حصن حسان بن ثابت، يعني في وقعة الخندق قالت: وكان حسان معنا في الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ، قالت صفية: فمر بنا رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود، فانزل إليه فاقتله. فقال: يغفر

تزوجها أولاً، وليس بشيء، قاله أبو عمر. ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجداً شديداً، وصبرت صبراً عظيماً (أسد الغابة في معرفة الصحابة - باب النساء - ترجمة صفية بنت عبد المطلب).

(١) حياة الصحابة - باب الجهاد - قتال النساء في الجهاد ١/٥٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد - الجزء الثامن.

الله لك يا ابنة عبد المُطَلِّب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا! قالت صفية: فلما قال ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت وأخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان، انزل فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. فقالوا: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المُطَلِّب.

قال يونس: وحدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن صفية بنت عبد المُطَلِّب، مثله ونحوه، وزاد فيه: وهي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين. أخرجها الثلاثة. (١)

وكانت أم سليم في غزوة حنين تحمل خنجراً .. وتقول: إذا دنى أحد من المشركين بقرت به بطنه (٢).

وهذه أسماء بنت عم معاذ بن جبل (رضى الله عنهما)، قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود الفسطاط. رواه الطبراني (٣). فكانت المرأة تقف بجوار الرجل جنباً لجنب لنصرة دين الله ﷻ وتتحمل مسؤولية الدين.



(١) أسد الغاية في معرفة الصحابة _ كتاب النساء _ حرف الصاد _ صفية بنت عبد المطلب .
 (٢) حياة الصحابة - باب الجهاد - قتال النساء في الجهاد ١/٥٧٩ .
 (٣) المرجع السابق .

حب الشهادة

في سبيل الله وَعَجَلًا

أم حرام بنت ملحان

(رضي الله عنها)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأطعمته ثم جلست تغطي رأسه (١) فنام ثم أستيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : " أناس من أمي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة " يشك أيهما قال ،

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: اتفق العلماء على أنها كانت محرم له صلى الله عليه وسلم واختلفوا في كيفية ذلك ... فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة .. وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار (صحيح مسلم شرح النووي

قالت : فقلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : " ناس من أمي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله ، كما قال في الأولى . وقالت : فقلت يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم قال : أنت من الأولين " فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر " (١) . رواه مسلم (٢) .

وفي رواية أخرى لمسلم " بعد أن قال : أنت من الأولين ... قال : فتزوجها عبادة بن الصامت بعد فغزا في البحر فحملها معه فلما أن جاءت قربت لها بغلة فركبتها فصرعتها فدقت عنقها " .

(١) قال أكثر أهل العلم بالسير والأخبار أن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن فيها ركب أم حرام وزوجها إلى قبرص فصرعت عن دابتها ، ودفنت هناك في جزيرة قبرص (المرجع السابق)

(٢) المرجع السابق .

أم ورقة

بنت عبد الله بن اكارث الأنصارية

كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا، قالت له: أتأذن لي أن أخرج معك ، أداوى جرحاكم، وأمراض مرضاكم، لعل الله يهدى لي الشهادة. وكان رسول الله ﷺ يزورها في بينها، وجعل لها مؤذنًا يؤذن لها في بيتها .. وأمرها أن تؤم أهل دارها . . فقتلها غلام وجارية لها غمًا زمن عمر بن الخطاب ؓ ، فصلبهما ، وساق الله ﷻ لها الشهادة^(١).



(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود وأبو يعلى والحاكم وابن سعد في الطبقات (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣١٥/١٢) .

أين الملتقي؟

بعث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، حبيب بن مسلمة الفهري، قائداً علي جيش من المسلمين لتأديب الروم، وكانت زوجته معه، وقبل أن تبدأ المعركة، قالت له زوجته: أين ألك إذا حمي الوطيس وماجت الصفوف؟ قال: في خيمة قائد الروم، أو في الجنة.. وما هي إلا ساعات قلائل، ونصرهم الله علي الروم، وأسرع حبيب إلي خيمة قائد الروم فإذا بزوجه داخل الخيمة.

انظروا إلي هذه الهمة العظيمة، والشجاعة القوية، والقلب الجريء.. إنها قوة الإيمان واليقين .



أجر

الخارج في سبيل الله

عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فأتته امرأ فقالت، إنك بعثت هذه السرية، وإن زوجي فيها وقد كنت أصوم بصيامه، وأصلي بصلاته، وأتعبد بعبادته، فدلني علي عمل أبلغ به عمله، قال: "تصلين فلا تقعدين، وتصومين فلا تفطرين، وتذكرين فلا تفترين" قالت: وأطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: "ولو طقت ذلك، والذي نفسي بيده ما بلغت العشير من عمله".^(١)



(١) رواه الحاكم في المستدرک - کتاب الجهاد - وقال صحیح ووافقه الذهبی ٧٣/٢.

ثواب

المرأة إذا خَلَفَتْ زوجها

المرأة الصالحة التي تعين زوجها على التفريغ لعمل الدعوة إلى الله عز وجل والخروج في سبيل الله عز وجل ، وتخلفه في أولاده بخير (تحوط عليهم ، وتربيتهم وتنفق عليهم إن كان بها سعة أو من مال زوجها) . . فكأنما غزت في سبيل الله ﷺ .. وقد تشاركه في الأجر ، وهذا ما صرحت به أحاديث النبي ﷺ ، فعن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزاً ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا " رواه مسلم (١)

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان من هذيل فقال : " لينبعث من كل رجلين أحدهما ، والأجر بينهما " رواه مسلم (٢)

(١) صحيح مسلم شرح النووي ٤٠/١٣ .

(٢) المرجع السابق .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ بعث إلى بنى لحيان:
ليخرج من كل رجلين رجلاً، ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج
في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج. رواه مسلم (١).
فهي تخلفه في بيتها بالقيام على أعمال النبوة والحديث فعن زيد بن
خالد الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من جهز غازياً في سبيل الله
فقد غزاً، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا " رواه مسلم (٢)
وأول ما خلف الغازي وتتحمل فراق وأنس وحنان ورعاية
الرجل هي زوجته، علاوة على نقص بعض الحاجات، وتحملها مسئولية
البيت سواء هذه المرأة زوجة أو أم، فالنساء يريدون التضحية للدين
مثل الرجال فما أعظمها وأشرفها وأجملها من حقوق.



(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح مسلم شرح النووي ٤٠/١٣ .

حرمة نساء المجاهدين

عن يريدة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : " حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله ، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة ، فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم " ؟ رواه مسلم .

وفى رواية : فقال : " فخذ من حسناته ما شئت " قالتفت إينا رسول الله ﷺ فقال : " فما ظنكم " (١) .



(١) صحيح مسلم شرح النووي ٤٢/١٣ .

وافدة النساء

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية (رضي الله عنها) ، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك - واعلم نفس لك الفداء - أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهى على مثل رأيتي ، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك وبإهلك الذي أرسلك ، وإنا معشر النساء محصورات ومقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضي شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات ، وعبادة المرض ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه " ؟ فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال : " انصرفي أيتها المرأة ، واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل

إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله " ، فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً . " رواه البيهقي (١) .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : جاءت المرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يُصيبوا أُجروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : " أبلغني من لقيت من النساء ، إن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله " رواه البزار واللفظ له والطبراني (٢) .



(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي ٥٣٢/٢ .

(٢) حياة الصحابة ٣٢٣/١ .

المرأة والشورى

لا بأس أن يستشير الرجل زوجته وأولاده ، فى كثير من الأمور، التى تحتاج إلى شورى ولكن يكون الفصل فى الشورى للرجل ، فالاستئناس بآراء الآخرين أمر مهم ، فكثير من الرجال يفهم حديث النبي ﷺ أن المرأة ناقصة عقل ودين ، على غير معناه فيهمل امرأته فى بيته ويفعل من أم رأسه ما يتراءى له ، فيستبد برأيه ، وهذا يورث الضغائن عند النساء لأزواجهن ، فكثير من النساء عقلها يزن ألف رجل ، مثل { **خديجة .. أم سلمة .. عائشة ..** إلخ } فنشاورهن، وإذا رأينا ما يخالف رأيهن نوضح لهن ذلك .

• نماذج من الشورى مع النساء :

(١) مشاورة النبي ﷺ لأم سلمة (رضي الله عنها) يوم الحديبية :

لما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح قال ﷺ : " قوموا فانحروا ، ثم احلقوا فو الله ما قام رجل منهم ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فاشتد ذلك عليه ، فدخل على أم سلمة فقال : " هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا " .

وفى رواية : " ألا ترين الناس أمرهم بالأمر فلا يفعلونه - وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي " فقالت : يا رسول الله ! لا تلمهم ، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من الشفقة فى أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح ، يا نبى الله ! أخرج ولا تكلم أحداً ، حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك ، فيحلقك - فجلى الله تعالى عن الناس بأمر سلمة - فقام رسول الله ﷺ واضطبع بثوبه ، فخرج فأخذ الحربة ويمم هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعاً صوته : " بسم الله .. الله أكبر " ونحر ، فتواثب المسلمون إلى الهدى ، وازدحموا عليه ينحرونه ، حتى كاد بعضهم يقع على بعض ، وأشرك رسول الله ﷺ بين أصحابه فى الهدى ، فنحر البدنه عن سبعة وكان هدى رسول الله ﷺ سبعين بدنه .

وفى رواية ابن سعد : عن جابر فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن دخل قبة من أدم حمراء ، ودعا بخراش بن أميه بن الفضل الكعبي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة كانت جنبه من سمرة خضراء ، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه (يتقاسمونه) وأخذت أم عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبراً ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً (١)

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٩٢/٥ .

وفى كلامه ﷺ لأم سلمة في توقف الناس عن امتثال أمره ، جواز
مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ووفور عقلها .

(٢) بنت شعيب عليه السلام :

حيث أشارت إلي أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام فقالت " استأجره
إن خير من استأجرت القوى الأمين "

(٣) آسية بنت مزاحم (رضي الله عنها) (١) :

حيث أشارت على فرعون عليه اللعنة ، في عدم قتل موسى عليه السلام
فقال : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢).

والمشايخ يقولون: لا بد يومياً من الشورى علي: من يقوم بالتعليم ..
ومن يقوم بنظافة البيت.. ومن يقوم بإعداد الطعام.. ومن يقوم باستقبال
الضيوف.. ومن يقوم بصلة الأرحام.. ومن يقوم بالزيارات.. ومن يقوم
بنصرة الجماعات الخارجة في سبيل الله .

(١) وكانت من خيار النساء المعدودات، ومن بنات الأنبياء، وكانت أما للمسلمين ترحمهم
وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها .

(٢) سورة القصص _ الآية ٩ ،

فنشرك الرجال والنساء كل حسب استعداده.

ومن خلال الشورى نشرك النساء يوم الجولة بالجلوس من المغرب إلى

العشاء في دعا ، وقراءة القرآن، والدعاء لنزول الهداية .

ومن خلال التعليم في البيت نحرص الشباب علي التضحية والخروج في

سبيل الله لمدة طويلة لإقامة الدين ونشر الدين في العالم ونحملهم المسؤولية

ويأتي ذلك بذكر قصص الصحابة رضي الله عنهم وأبنائهم وحبهم للتضحية

والخروج في سبيل الله .. وهكذا .



الحث

على التعليم في البيت

أختي المسلم تشغلين وقتك في نظافة البيت والملابس وطهي الطعام ،
فماذا تركت من الوقت لنظافة قلبك ؟

نظافة القلب لا تأتي إلا بسماع كلام الإيمان (كلام الله ﷻ وكلام رسوله
ﷺ) ، وذلك بالجلوس في حلقات تعليم البيت ليتحقق فينا قول ربنا ﴿
وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (١)

بالجلوس في حلقات التعليم يتحقق فينا أيضا قول ربنا ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٤ ،

(٢) سورة التوبة - الآية ٧١ ،

وقيل: البيت الذي يذكر فيه الله يكثر خيره ويقل شره ويتسع علي أهله.

• التعليم في البيت يأتي بالنور في حياتنا :

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١)

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: كنت أخيط الثوب فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع وجه رسول الله . رواه ابن عساكر (٢) .

وعن ابن عباس ؓ قال: لم يكن لرسول الله ﷺ ظل ولم يقيم مع شمس إلا غلب ضوءه، ضوء الشمس ، ولم يقيم مع سراج إلا غلب ضوءه ضوء السراج .

فهذا نور جسده الشريف، فكيف بنور كلامه، وهديه ﷺ ؟
فعائشة طغى نور بصيرتها ، على نور عينيها فرأت الإبرة في نور رسول الله ﷺ ، فبنور الإيمان نرى حقيقة الأشياء المادية ، والحقائق الغيبية .
فلما نستقيم على حلقة التعليم في البيت ، فالذي عنده بصيرة عندما يدخل بيوتنا فيرى فيها نور كلام الله وكلام الرسول ﷺ .

(١) سورة المائدة - الآية ١٥،

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد .

وكان رسول الله ﷺ من أحرص الناس علي تعليم زوجاته بنفسه ، فقد مرّ علي زوجته جويرية بنت الحارث وقد كانت عابدة قانتة لله تعالى فقال لها : " ألا أعلمك كلمات تقولينهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته " رواه مسلم .

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان : أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية علي يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية فلما تزوجها النبي ﷺ طلب إلي الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

ومن أسباب الصلاح عند الأبناء أن نذكر لهم دائماً قصص الأنبياء والصالحين والصالحات ، حتى ينشأ في قلوبهم حب الصلاح ، ويقدر ما سمعهم نربي فيهم الفضائل فكان الإمام أحمد كثيراً ما يحدث أبناءه عن فضل الإمام الشافعي وعلمه وتقواه فدعاه الإمام أحمد لزيارته ، فلما تناول طعام العشاء ، توجه الشافعي في فراشه واستلقى عليه ونام . فقالت بنت الإمام أحمد : يا أبتاه أهذا هو الشافعي الذي تحدثنا عنه ؟ قال لها : نعم ، قالت : لقد لاحظت عليه ثلاث أمور انتقدته فيها : إنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيراً وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلي قيام الليل والتهجد وقد صلى بنا الفجر من غير أن يتوضأ ! فذهب أحمد للشافعي وسأله عن هذه الأمور ... قال له الشافعي : يا أحمد ! لقد أكلت كثيراً لأنني أعلم أن طعامكم

من الحلال ... وأنت كريم وطعام الكريم دواء ، وطعام البخيل داء ، وما أكلت لأشبع ، وإنما أكلت لأتداوى بطعامك . وأما أنني لم أقم الليل، لأنني عندما وضعت رأسي لأنام، نظرت كأن كتاب الله وسنة نبيه أمام عيني، فاستتببت اثنين وسبعين مسألة فقهية ينتفع بها المسلمون، فلم يكون هناك فرصة لقيام الليل. . وأما أنني صليت بكم الفجر من غير وضوء ما ذقت عيني طعم النوم حتى أجدد الوضوء، فلقد بقيت طول الليل يقظاناً، فصليت الفجر بوضوء العشاء .



تربية الأولاد

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) ، يقولُ : " كلُّكم راعٍ ومسئولٌ عن رعيته ، والِإمامُ راعٍ ومسئولٌ عن رعيته ، والرجلُ راعٍ في أهله ومسئولٌ عن رعيته ، والمرأةُ في بيتِ زوجها راعيةٌ ومسئولةٌ عن رعيتهَا ، والخدامُ في مالِ سيدهِ راعٍ ومسئولٌ عن رعيته ، قال : وحسبتُ أنْ قدْ قالَ : والرجلُ راعٍ في مالِ أبيه " . متفق عليه . (٢)

(١) سورة التحريم - الآية ٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الحج - أبواب المَحْضَرِ وَجَزَاءِ الصَّيْدِ - رقم ٢٥٦٠ ، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر - رقم ٣٤١٤ .

وفي وصايا النبي ﷺ العشر ، لمعاذ قال : "..... أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ (١).

وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ : (بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَي: مَنْ تَجِبُ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ شَرَعًا ، وَمَحَلُّ بَسْطِهِ كُتُبُ الْفِقْهِ.

مِنْ طَوْلِكَ: بَفَتْحِ أَوَّلِهِ أَي: فَضْلِ مَالِكَ ، وَفِي مَعْنَاهُ الْكَسْبُ بِقَدْرِ الْوُسْعِ ، وَالطَّاقَةِ عَلَى طَرِيقِ الْاِقْتِصَادِ ، وَالْوَسْطِ فِي الْمُعْتَادِ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا : مَفْعُولٌ لَهُ أَي: لِلتَّأْدِيبِ لِمَا لِلتَّعْذِيبِ، وَالْمَعْنَى إِذَا اسْتَحَقُّوا الْأَدْبَ بِالضَّرْبِ فَلَا تُسَامِحْهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)** عَلَى التَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ (وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ) أَي: أَنْذِرْهُمْ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ . وَنَوَاهِيهِ بِالنَّصِيحَةِ ، وَالتَّعْلِيمِ ،

(١) ونص الحديث : عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ ، قَالَ " : لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ ، وَلَا تَعَنَّ وَالدِّيكِ وَإِنْ أَمْرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ مُتَعَمِّدًا ؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَلَا تُشْرِبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطِ اللَّهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاتَّبِعْ ، أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ . (مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان - باب الكباير وعلامات النفاق ٢/١) .

وَبِالْحَمْلِ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ إِطْعَامِ الْفَقِيرِ وَإِحْسَانِ الْيَتِيمِ وَبِرِّ الْجِيرَانِ
وَعَيْرِ ذَلِكَ^(١).

وقال رسول الله ﷺ: " مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلِ أَفْضَلٍ مِنْ

أَدَبٍ حَسَنٍ"^(٢).

وعن ابن عباس عن الرسول ﷺ قال: " عَلَّقُوا السُّوْطَ حَيْثُ

يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ لَهُمْ " رواه الطبراني^(٣).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الكبائر وعلامات النفاق.

(٢) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير"، والترمذي في "السنن" (١٩٥٢)، والبيهقي في "السنن الكبير" (٨٤/٣) وضعفه، وكذا ضعفه الذهبي وهو الصواب، وصححه الحاكم في "المستدرک"

(٤/٢٦٣)؛ ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" رقم ٨١١٨.

(٣) الطبراني في الكبير من حديث عيسى وعبد الصمد ابني علي بن عبيد الله بن عباس عن أبيهما عن جدتهما ابن عباس به ، ومن طريق داود بن علي عن أبيه به بدون ، فإنه أدب لهم ، زاد في رواية : كي يرهب عنه الخادم . وهو من حديث داود عن البزار بلفظ : ضع السوط حيث يراه الخادم ، وقال : لا نعلمه عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد من حديث ابن عباس ، وحديث ابن عباس عند البخاري في الأدب المفرد بلفظ : علق سوطك حيث يراه أهلك ، وفيه ابن أبي ليلى وفيه ضعف ، وفي الباب عن ابن عمر عند أبي نعيم في ترجمة الحسن بن صالح من الحلية من روايته عن عبد الله بن دينار عنه بلفظ الترجمة ، وعن جابر رفعه : رحم الله رجلا علق في بيته سوطا يؤدب به أهله ، وفي سنده عباد بن كثير وهو ضعيف .

والحديث : حسن إسناده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨ / ١٠٦) .. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٢) .

وعن عشان الكاطبي قال: سمعت ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول لرجل:

أدب ابنك؛ فإنك مسئول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته؟، وإنه مسئول عن برك وطواعيته لك^(١).

وقال ابن المقفع: أَفْضَلُ مَا يُورِثُ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ: التَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْأَدَبُ

النَّافِعُ، وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ.^(٢)

وقال المناوي: لأن يؤدب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً

يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين ويصونه عن مخالطة المفسدين ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب ويسمعه السنن وأقاويل السلف ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه ويهدده ثم يضربه على نحو الصلاة وغير ذلك: خير له من أن يتصدق بصاع؛ لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها، وهذا يدوم بدوام بدوام والأدب غذاء النفوس وتربيتها للأخرة ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَاراً﴾^(٣).

(١) أخرجه الإمام البيهقي في "السنن الكبير" ٨٤/٣.

(٢) الأدب الصغير (ص ٤٤ - ٤٥).

(٣) سورة التحريم - الآية ٦.

فوقايتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم
أودهم بأنواع التأديب فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب
والحبس والعطية والنوال والبر فتأديب النفس الذكية الكريمة غير تأديب
النفس الكريهة اللئيمة . (١)

على العادة نجد الأولاد يقلدون آباءهم في الخير والشر ، وفي ذلك يقول

أحد الشعراء :

فشيمة أهل البيت الرقص

إذا كان رب البيت بالدف ضارب

وقال أحدهم:

فقلد شكل مشيته بنوه
بدأت به ونحن مقلدوه
فإن عدلت فنحن معدلوه
يجارى في الخطى من أدبوه
على ما كان عوده أبوه

مشى الطاووس يوماً باعوجاج
فقال : علام تختالون ؟ قالوا
فغير سيرك المعوج واعدل
أما تعرف أبانا كل فرع
وينشأ ناشئ الفتيان

وتبدأ التربية منذ نعومة الأظفار، فإذا كبر الطفل يفلت الزمام ، وفي ذلك

يقول أحدهم :

فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
ولا يلين إذا قومته الخشب

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

(١) فيض القدير (٥ / ٢٥٧) .

وأنا أقول وللمرأة دوراً كبيراً أكبر من دور الأب، في تربية الأولاد على الدين.. فهو منذ كان طفلاً رضيعاً وهو ينظر إلى أمه ويشرب من سلوكها فتجده يقلدها في كثير مما تفعله، بل إن أفعالها تؤثر فيه حتى قبل ولادته.. فإذا خرجت المرأة من بيتها وهي حامل متبرجة لتبدي زينتها أمام الرجال.. فنجد هذا الجنين عندما يخرج إلى الحياة يتطلع إلى معصية الله ﷻ (الزنا).. وكذلك لو أكلت الحرام.. فيخرج جنينها إلى الدنيا وعينه تتطلع إلى السرقة وأكل الحرام.. والعكس إذا خرجت المرأة من بيتها محتشمة في ثيابها وغضت طرفها وأكلت الحلال فكل ذلك يؤثر في جنينها ، ولقد سمعنا قصة أحد ملوك المسلمين أرسل ابنه على رأس جيش يغزو في سبيل الله ﷻ، وبعد أيام جاءه الخبر أن ابنه قد فر من الزحف فجلس حزينا.. فعندما رآته زوجته على هذا الحال سألته عن حاله ؟ فلم يخبرها.. فألحت عليه، فأخبرها: أن ابنها قد فر من الزحف.. والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر.. فقالت المرأة ما كان ابني ليفعل ذلك.. فلم يأبه الملك لقول زوجته، وبعد أيام قلائل جاءتة البشرية بانتصار ولده في الجهاد.. وعلم أن الخبر السابق لذلك كان كاذباً.. فأرسل إلى زوجته وأخبرها بانتصار ولدها.. وسألها عن قولها: ما كان ابني ليفعل ذلك، قالت: لأنني ما أرضعته إلا وأنا على وضوء.. فأنى لهذا الجسد الذي غُذِيَ بلبن طاهر من جسد طاهر، أن يعصي الله عز وجل !!! .

ويروي: أن الحسن البصري كانت أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ، تذهب لأم سلمة في الحاجة، فربما غابت فيبكي، وتشاغله أم سلمة بثديها تغلله به إلى أن تجئ أمه، فيدر عليه ثديها .. فيروي أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة التغذية بلبن أم المؤمنين. (١)

وذكر ابن الجوزي: عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال.. فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً، لعلك أن توفقي لخدمة سيدك (الله جل جلاله) والرضا بقضائه (٢).

أختي المسلمة:

اعلمي أن كل الصفات الطيبة، والأخلاق الحميدة، التي تتخلفين بها تنتقل إلى وليدك وهو في رحمك مع الدم الذي يصله من الحبل السري، وكذلك مع اللبن في الرضاعة.. فاحرصي على طاعة ربك وامتثال أوامره .
واعلمي أنك على ثغرة عظيمة.. فالله الله ! أن تؤتى البيوت من قبلك. والله الله ! أن يؤتى الإسلام من قبلك.. والله الله ! أن يؤتى أبناء المسلمين من قبلك.

(١) كتاب تاريخ الإسلام الذهبي - ترجمة الحسن البصري ٣ / ٢٣٤,

(٢) صفة الصفوة - ١٩/٤ .

النية

في تربية الأولاد

نُصح النية في تربية الأولاد.. فننوي أن يكون أولادنا أولياء الله، علماء عاملين.. دعاة إلى الله مخلصين.. مجاهدين في سبيل الله.. والنية تبدأ والجنين في بطن أمه مثل:

امرأة عمران:

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

وهي حنة بنت فاقوذ.. وكانت لا تلد حتى شاخت.. وكانت يوما في ظل شجرة فرأت طائراً يطعم فرخاً له، فاشتتهت الولد ودعت الله تعالى أن يهبها ولداً.. فاستجاب الله دعائها، فواقعها زوجها فحملت منه، فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً.. من أمر الدنيا إلى طاعة الله، مفرغاً للعبادة وخدمة بيت المقدس (المسجد الأقصى).. ﴿ فَلَمَّا

(١) سورة آل عمران - الآية ٣٥.

وَضَعَتْهَا ﴿ أَي عِنْدَمَا وَضَعَتْ مَرْيَمُ ﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴿، فَخَافَتْ أَنْ لَا يَقْبَلَهُ اللَّهُ ﷻ نَذْرَهَا حَيْثُ أَنْ
الْبِنْتُ كَمَا قَالَتْ ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ (١) أَي فِي الْقُوَّةِ وَالْجَلْدِ
فِي الْعِبَادَةِ، وَخِدْمَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ وَلَيْسَ فِي مَخَالَطَتِهِ لِلنَّاسِ فِي
الْمَسْجِدِ مَفْسُدَةٌ كَمَا تَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ.

وَلَكِنْ اللَّهُ ﷻ بِسَبَبِ نِيَّتِهَا الصَّالِحَةِ تَقْبَلُ نِيَّتَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ
لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿ (٢).

فَالنِّيَّةُ الْحَسَنَةُ كَانَتْ سَبَبًا لِعُنَايَةِ اللَّهِ ﷻ الْعَظْمَىٰ فِي تَرْبِيَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا

السلام . (٣)

(١) سورة آل عمران - الآية ٣٦.

(٢) سورة آل عمران - الآية ٣٧.

(٣) انظر قصص الأنبياء لأبن كثير.

والدة الشيخ / محمد عمر البالمبوري (رحمها الله) :

كانت امرأة مؤمنة تقية في قلبها معرفة الله جل وعلا، فعندما وضعت ابنها محمد عمر، نظرت إليه وإلى المصحف وقالت: يا رب ! ابني هذا يحفظ كتابك هذا.. وعندما كبر علمته القرآن.. وكانت تأتي له بكتاب قصص الأنبياء ليقرأ لها ثم تقول: يا بني! أنت الآن تقرأ لي وأنا عجوز ، أسأل الله ﷻ أن يجعلك تقرأ أمام الملايين من الناس .. وقد حقق الله ﷻ لها نيتها.

وصدق من قال :

إذا سقيت بماء المكرمات	هي الأخلاق تنبت كالنبات
ساق الفضيحة مثمرات	تقوم إذا تعهدتها المربي على
يهدبها كحوض الأمهات	ولم أرى للخلائق من محل
لتربية البنين أو البنات	فحوض الأم مدرسة تسامت
كمثل النبت ينبت في الفلاة	وليس النبت ينبت في جنان
تحل لسائلها المشكلات	وكانت أمنا في العلم بحراً
فكانت من أجل العالمات	وعلمها النبي أجل علم
كمثل ربيب سافلة الصفات	وليس ربيب عالية المزايا

وأيضاً:

فكيف نظن بالأبناء خيراً	إذا نشئوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى للأطفال كمال	إذا ارتضعوا ثدي الناقصات؟؟؟
لأخلاق الصبي بك انعكاس	كما انعكس الخيال على المرأة

وأيضاً:

الأم روض إذا تعهده الحيا	بالري أورق أيما إبراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى	شغلت مآثرهن مدى الآفاق

فكل شئ مداره علي النية .. فربما الإنسان يُربي حيوان فيكون له أجر ، وربما يُربي إنسان فلا يأخذ أجر كل حسب نيته، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله ، وتصديقا بوعده ، فإن شبعه ، وريه ، وروثه ، وبوله ، في ميزانه يوم القيامة " رواه البخاري (١) .

ولتحقيق هذه النوايا .. نبدأ بتعليم الأولاد كتاب الله ﷻ .. ثم تجويده ثم نلحقهم بالمدارس الدينية (مثل المعاهد الأزهرية _ ومعاهد القراءات

(١) رياض الصالحين - كتاب الجهاد - باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة _ ص

(ثم نزيد علي ذلك أن نحفظهم كُتب الحديث مثل .. رياض الصالحين
- كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .. كتاب مشكاة
المصابيح للخطيب التبريزي .. فما تيسر من ذلك نحفظه لهم .
ثم ندرس لهم كتب الفقه .. والسيرة النبوية ، وكتب التواريخ مثل
البداية والنهاية .. وكتب النحو والصرف .. وندرس لهم فقه الواقع ..
ولا ننقلهم عن علم حتى يتقنوه .



الصفات الإيمانية

التي يجب أن يربي عليها الطفل

تربية الأطفال علي التوحيد

وصية لقمان لابنه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وصية نوح لابنه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: " إن نبي الله نوحاً (ﷺ) لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصُّ عليك الوصية (٢): أمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين أمرك بـ"

(١) سورة لقمان - الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٢) وفي رواية عند الإمام أحمد (٢/ ٢٢٥) وغيره: إن نوحاً لما حضرته الوفاة دعا ابنه، فقال: " إني قاصر عليكما الوصية: أمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين .. " فذكر نحوه.

لا إله إلا الله "؛ فإن السماوات السبع، والأرضين السبع، لو وُضِعَتْ في كفة، ووُضِعَتْ " لا إله إلا الله " في كفة، رجحت بهن " لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، كُنَّ حلقة مبهمة، قَصَمْتُهُنَّ " لا إله إلا الله و " سبحان الله وبحمده " (١)؛ فإنها صلاة كل شيء وبها يُرزق الخلق وأنها عن الشرك، والكبر. (٢).

تربية الأطفال علي اليقين

أول ما نربي عليه أولادنا .. أن نعلمهم أول شعبة من شعب الإيمان وهي كلمة التوحيد ففي الحديث عن النبي ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها أمأطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " . متفق عليه . (٣).

(١) أي: وأمرك بـ " سبحان الله وبحمده. "

(٢) أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٢ / ١٦٩ - ١٧٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" حديث رقم (٥٤٨)، والحاكم في "المستدرک علی الصحیحین" (١ / ٤٩) وصحح إسناده العمادُ ابنُ كثير (رحمه الله) في " البداية والنهاية " . وانظر "مجمع الزوائد " للحافظ نور الدين الهيثمي (رحمه الله) (٤ / ٢١٩ - ٢٢٠).

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان ١ / ١٠ .

وذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى عن إسحاق بن عبد الله، عن جدته أم سليم رضي الله عنها أنها آمنت برسول الله ﷺ؛ قالت: فجاء أبو أنس - وكان غائباً - فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت، ولكن آمنت بهذا الرجل. قالت: فجعلت تلقن أنساً وتشير إليه: قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل، قال: فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليّ ابني، فتقول: لا أفسده، فلما كبر أتت به النبي ﷺ وقالت له: هذا أنس غلامك، فقبله النبي ﷺ. فلما بدأ الطفل حياته بنطق لا إله إلا الله محمد رسول الله نسأل الله أن يختم بها حياته آمين.

ونعلمهم الإيمان واليقين والتوحيد ومعرفة الله رب العالمين، بذكر قصص الأنبياء والصديقين، فعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازدنا به إيماناً " رواه ابن ماجه .

تربية ابن عباس رضي الله عنهما علي الإيمان واليقين:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: " يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله تجده تجاهك؛ إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك

إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا علي أن يضروك شيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي : احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة .. واعلم أن ما أخطئك لم يكن ليصيبك .. وما أصابك لم يكن ليخطئك .. واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .^(١)

عبادة بن الصامت يعطي ابنا درساً في اليقين:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه قال: دخلت على أبي وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه! أوصني، واجتهد لي فقال: أجلسوني، ثم قال: يا بني! إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله (تبارك وتعالى) حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قال: قلت: يا أبتاه! فكيف لي أن أعلم ما خير القدر، وما شره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أول ما خلق الله (تبارك وتعالى) القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة

(١) رياض الصالحين _ باب المراقبة ص ٧٣.

بما هو كائن إلى يوم القيامة. يا بني! إن مت ولست على ذلك دخلت النار(١).

ولما حضرت عبادة الوفاة، قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، يعني: الدار، ثم قال: اجمعوا لي موالي، وخدمي، وجيراني، ومن كان يدخل عليّ، فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو - والذي نفس عبادة بيده - القصاص يوم القيامة، وأخرج عليّ أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي. قالوا: نعم. فقال: اللهم اشهد. ثم قال: أما الآن فاحفظوا وصيتي: أخرج علي كل إنسان منكم أن يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضئوا فأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجده فيصلي ركعتين، ثم يستغفر لعبادة ولنفسه، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٢) ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تتبعوني

(١) المسند للإمام أحمد (٥ / ٣١٧)، وانظر "سنن أبي داود" (كتاب السنة - باب في القدر - حديث رقم (٤٧٠٠)، و"جامع الترمذي" (كتاب تفسير القرآن - باب: ومن سورة ن - حديث رقم (٣٣١٩)، و"الشريعة" للإمام الأجرّي (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدأ - حديث رقم (٣٨٤)، و"السنة" لابن أبي عاصم (باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى وما جرى به القلم - أحاديث (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١١)، و"الحلية" لأبي نعيم - ترجمة إبراهيم بن أبي عبلة.

بنار^(١). هكذا كانوا يهتمون بتربية أبنائهم ومواليهم وعبيدهم وجيرانهم علي الإيمان بالله واليوم الآخر حتي في أنفاسهم الأخيرة ليس أمامهم إلي ذلك.

تربية أم الحارث بن أسد المحاسبي (رحمها الله) لابنها علي الإيمان واليقين:

كانت أم الحارث بن أسد (رحمها الله) تريد أن تُربي ولدها " الحارث علي اليقين بالله ﷻ.. فإذا أراد الطعام تقول له: صلي، واسأل الله أن يرزقك الطعام فيقوم إلي الصلاة فتضع له الطعام تحت زنبيل، فإذا صلي يكشف الزنبيل فيجد الطعام.. فذهبت يوما إلي السوق، فتأخرت، فتوجهت إلي الله ﷻ وقالت: يا رب ! الآن ابني لا يجد الطعام فيخرب يقينه وتوجهت إلي الله أن يرزقه.. وعاد الحارث من الكتاب، فلم يجد أمه، فقام إلي الصلاة كما يفعل كل يوم ، وبعد أن انتهى من الصلاة، كشف الزنبيل فإذا بالطعام فأكل وشبع.. ثم عادت أمه، فسألته عن الطعام، فقال لها: فعلت مثل ما أفعل كل يوم فوجدت الطعام تحت الزنبيل، ولكن يا أماه ! طعام اليوم لم أذق مثله قط .. فحمدت الله عز وجل .

(١) كتاب الزهد للإمام هناد بن سري.

ابن الشهيد:

دخل أحد الصالحين مسجداً ليصلي فرأى صبياً لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره قائماً يصلي في خشوع تام .. تقدم الرجل الصالح وسأله: ابن من أنت ؟ فأجاب الصبي : ابن رجل مات شهيداً في إحدى المعارك. فقال الرجل الصالح : أترضى أن تكون لى ولداً وأكون لك أباً ؟ قال الصبي : هل تطعمنى إذا جعت ؟ فقال الرجل الصالح : نعم. قال الصبي : هل تسقيني إذا عطشت ؟ فقال الرجل الصالح: نعم. فقال الصبي: هل تكسونى إذا عريت ؟ فقال الرجل الصالح: نعم . فقال الصبي: هل تحيينى إذا مت ؟ فدهش الرجل الصالح ! وقال هذا ما ليس إليه سبيل!.

فأشاح الصبي بوجهه وقال: فاتركنى إذن للذى خلقتى ثم يرزقنى ثم يميتنى ثم يحيينى .. فانصرف الرجل وهو يقول: لعمرى من توكل على الله كفاه!!..

ترية الإمام السلمي علي المراقبة:

يقول لما أردت الحج استأذنت علي أمي فقالت لي: توجهت إلي بيت الله ، فلا يكتبن حافظاك عليك شيء تستحي منه غدا .

تربية الأطفال علي التقوى

كتب عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤمنين، إلى ابنه عبد الله (رضي الله عنهما) في غيبَةِ غابها: أما بعد: فإنه من اتقى الله وقَّاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جزَّاه. فاجعل التقوى ^(١) جلاءً بصرك، وعمادَ ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نيَّةَ له، ولا أجرَ لمن لا حسنةَ له، ولا خير لمن لا خشيةَ له، ولا جديد لمن لا خَلْقَ له ^(٢).

(١) أصل التقوى: وقوى - بكسر أوله وقد يفتح - من الوقاية، أبدلت الواو تاء كـ"تراث"، و"تخمة". وهي: ما يستر الرأس، فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه، بحسب الطاقة، من فعل ذلك فهو من المتقين. ا. هـ من "دليل الفالحين".

(٢) الأماي " لأبي علي القالي، و"العقد الفريد " لابن عبد ربه، و"مناقب عمر بن الخطاب " لابن الجوزي.

تربية الأطفال علي محبة الرسول (ﷺ)

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفیائه " (١)

فنغرس في قلوب أولادنا حب الله ورسوله ﷺ، وقد مر كيف كان حب الصبيان لرسول الله ﷺ، ونربيهم علي اتباع سنته ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، ونذكر لهم قصص الصحابة في ذلك: فعن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله ﷺ: " سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك " متفق عليه (٢).

(١) الجامع الصغير للسيوطي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب الأطعمة ٢ / ١٢١٠.

تربية الأطفال علي اتباع هديه (ﷺ)

فعن عمر بن أبي سلمة ، قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، فكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله ﷺ : " سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك " متفق عليه . (١)

فعن عمر بن أبي سلمة ، قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، فكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله ﷺ : " سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك " متفق عليه . (٢)

زجرهم عند مخالفة أمره ونهيه (ﷺ)

عن بلال بن عبدالله بن عمر ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنكم " فقال بلال : والله لنمنعهن ، فقال له عبدالله : أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقول أنت : لنمنعهن ! .

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الأظعمة ٢ / ١٢١٠ ،

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب الأظعمة ٢ / ١٢١٠ ،

وفي رواية سالم عن أبيه : قال: فأقبل عليه عبدالله فسيبه سباً ما سمعت سيبه مثله قط ، وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعن ! . رواه مسلم (١)

وعن مجاهد عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال : لا يمنعن رجل أهله أن يأتي المسجد فقال : ابن لعبدالله بن عمر : فاتنا نمنعن . فقال عبدالله : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا فوالله ما أكلمك أبداً ، قال فما كلمه عبدالله حتى مات . رواه أحمد وصححه الألباني . (٢)

وعن أبي سعيد عبدالله بن مغفل (رضى الله عنه) قال : نهى رسول الله ﷺ عن الخذف وقال : " إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وأنه يفتأ العين ويكثر السن . متفق عليه .

وفي روايه أن قريباً لابن مغفل خذف فنهاه وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال : " أنه لا تصيد صيدا " ثم عاد ، فقال : أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف ! لا أكلمك أبداً . (٣)

(١) مشكاة المصابيح - باب الجماعة وفضلها ٣٣٩/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) رياض الصالحين - باب المحافظة علي السنة وآدابها ص-١١٦ .

تربية الأطفال علي محبة أهل الإيمان

قال أنس بن مالك : كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونم
السورة من القرآن (السنة للخلال).

قال صالح بن الإمام أحمد: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو
متقشف لأنظر إليه، يحب أن أكون مثله (سير أعلام النبلاء للذهبي).

تربية الأطفال علي امثال أوامس الله عز وجل

وأمرها (الصلاة)

يأمرنا النبي ﷺ أن نربي أولادنا علي حب الصلاة ، منذ نعومة أظفارهما ،
، فعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده (رضي الله عنهم) قال : قال
رسول الله ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ،
واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع "
رواه أبو داود بإسناد حسن . (١)

(١) رياض الصالحين - باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة
الله تعالى ص، ١٦٦

وعن سبرة بن معبد الجهني (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ :
علموا الصبي الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين
" . رواه أبو داود والترمذي . ولفظ أبو داود : مروا الصبي بالصلاة إذا
بلغ سبع سنين . (١)

وروي يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع
الجماعة يوما ، فقال صالح بن كيسان : ماشغلك ؟ فقال كانت مرجلتي تسكن
شعري . فقال له : أقدمت ذلك علي الصلاة ؟ وكتب إلي أبيه ، وهو علي
مصر يعلمه بذلك . . فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتي حلق رأسه (٢)
فإذا كان الرجل في منزله وسمع الأذان ، فعليه أن يذهب فورا إلي المسجد
ويصطحب معه أولاده ، وبذلك يربي فيهم حب الصلاة ، ويعودهم علي الذهاب
إلي المسجد ، فالولد يراقب اهتمامات ولده ... وعلى الأم تحث أولادها على
الصلاة ، ففي الحديث " المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن
رعيتها " متفق عليه من حديث رواه ابن عمر . (٣)

الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) :

(٢) المرجع السابق .

(١) البداية والنهاية - باب ترجمة عمر بن عبد العزيز ٣٤١/٩

(٢) المرجع السابق .

تولت والدته القيام بشؤونه وتربيته بعد وفاة والده كما كانت أم الشافعي، وكانت تعاني الفقر، وهبها الله حسناً وجمالاً، تقدم لخطبتها عدد لا يحصى من الراغبين لكن نفسها أبت وتمنعت، ونذرت نفسها لولدها وعاشت لتسعه وتتولى تعليمه، كانت هي له قدوة ومثالاً يحتذى في الطاعة، تقوم من الليل وتصلي ما شاء الله لها أن تصلي، ثم تسخن الماء وتوقظه، وتوضئه وتذهب به إلى المسجد، ثم تجلس عند الباب تنتظره إلى أن يخرج .

تربية الأطفال علي حب القرآن

تقول إحدى المعلمات :

في يوم من الأيام طلبت من إحدى الصفوف الابتدائية أن يرسموا : منظر الربيع .

فجاءت تلميذة وقد رسمت مصحفا فتعجبت من رسمتها!!!!

فقلت: إرسمي الربيع وليس مصحفاً ألا تفهمين!!! وكانت إجابتها البريئة كصفحة على وجهي، قالت: القرآن ربيع قلبي، هكذا علمتني أمي.

سبحان الله! أي تربيته تلك .. وأي أم تلك التي أتقنت التربية.. (ربنا هب

لنا من أزواجنا و ذرياتنا قررة أعين) اللهم آمين.

تربية الأطفال علي حب الصحابة

(رضى الله عنهم)

في إحدى المدارس سأل المعلم طلاب الصف الأول: كل واحد يقول ماذا يريد لما يكبر؟؟ منهم من قال .. طيار .. طبيب .. شرطي.. كلهم إجابتهم كانت تدور حول ذلك.. إلا واحد منهم قال شيئاً غريباً.. ضحك منه التلاميذ.. قال: أريد أن أكون صحابياً.

تعجب المعلم من التلميذ.. قال لماذا صحابي؟ قال : ماما كل يوم قبل ما أنام تقول لي قصة صحابي.. الصحابي .. يحب الله .. و بطل .. أريد أن أصبح مثله.

سكت المعلم وهو يحاول منع دمعه من هذه الإجابة، وعلم أن خلف هذا الطفل أمّاً عظيمة لذلك صار هدفه عظيماً.

تربية الأطفال علي حفظ الس

وهذه أم سليم رضي الله عنها تأمر ابنها أنس أن يحفظ سر رسول الله ﷺ ، كما يروي ذلك لنا سيدنا أنس ؓ قال : أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا فبعثني في حاجته ، فأبطأت علي أمي ، فلما جئت ،

قالت : ما حبسك ؟ فقلت : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟
قلت : إنها سر . قالت : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا . رواه مسلم (١).

تربية الأطفال علي ترك الحرام

عن أبي هريرة ؓ قال : أخذ الحسن بن علي (رضي الله عنهما) تمرّة
من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : كُخ كُخ (٢) ، ارم
بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " متفق عليه . (٣)
وهكذا كان الصالحون يخافون علي أنفسهم وأولادهم من أكل الحرام ..
فهذا والد الامام البخاري (رحمه الله) كان تاجرا ، فلما مرض ، قال له : يا
بني ! لقد تركت لك خمسين الف درهم لا أجد فيها درهما فيه شبهة .

(١) رياض الصالحين - باب حفظ السر .

(٢) كلمة زجر للصبي عن المستقذارت وكان الحسن (رضي الله عنه) صبياً .

(٣) رياض الصالحين باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله
تعالى ، ونهيهم عن المخالفة ، وتأديبهم ، ونهيهم عن ارتكاب منهي عنه .

تربية الأطفال علي الصدق

توجيه النبي ﷺ لأمنه:

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعنتي أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها ، ؟ تعال أعطيك ، فقال ﷺ : " ما أردت أن تعطيه " ؟ قالت : أعطيه تمراً . فقال لها : " أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان (١) .

فلو كذبت المرأة أولادها في الحديث معهم .. حتى ولو كان الحديث في التسلية أو الضحك.. لعلمتهم الكذب وهي لا تشعر.

فيجب علي المرأة أن تراعي الصدق مع أولادها، فلو طُرق الباب وفتح الولد الباب فسأله الطارق عن أبيه، نعوذه أن يقول الصدق.

ويحكي: أن أحد طلبة العلم، أراد أن يذهب إلي بغداد لطلب العلم وكان صغيراً ، فأعطته أمه أربعين ديناراً ميراثاً من أبيه وقالت له : ضع يدك في يدي وعاهدني علي التزام الصدق فلا تكذب أبداً ، فعاهدها علي ذلك .. وخرج مع قافلة يريد بغداد، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص ونهبوا كل ما في القافلة.. ورأوا هذا الصبي رث الثياب، فقالوا له: هل معك شيء ؟ فقال :

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الآداب - باب الوعد ٣ / ١٣٦٨

معي أربعون ديناراً ، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا إلي كهف كان به كبير اللصوص، ينتظر ما يأتون به فلما رآهم قال : هل أخذتكم كل ما في القافلة ؟ قالوا: نعم ، إلا صبيا سألتناه عما معه، فقال: معي أربعون ديناراً، فتركناه احتقاراً لشأته، نظن أن به خبلا في عقله، فقال :عليّ به ، فلما حضر بين يديه ، قال : هل معك شيء ؟ فقال : نعم ، معي أربعون ديناراً ، قال: أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص: أمجنون أنت يا بني ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي علي الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي، فقال كبير اللصوص: لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله ؟ ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة .. وتاب علي يديه ومن معه جميعا .

تربية الأطفال علي الخوف من الله ﷻ

ففي وصايا النبي ﷺ العشر، لمعاذ قال : أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ

طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ . رواه أحمد. (١)

فإذا ميز الصبي نبداً أن نبين له قدرة الله عز وجل وعظمته، وشدة بطشه

وانتقامه ممن عصاه، ونبين له قصص الأنبياء وحال من اتبعهم، وكيف

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان - باب الكبائر وعلامات النفاق ٢/١ .

بطش الله عز وجل بمن خالفهم.. ونبين لهم أحوال الدار الآخرة، الجنة وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب.

تربية الأطفال علي حب العلم وطلبه

تربية أم سفيان الثوري لسفيان:

قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان : يا بني ! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي.. وقالت له: يا بني ! إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل تري في نفسك زيادة في حلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك^(١).

تربية أم ربيعة الرأي لربيعة:

هذه القصة العجيبة ذكرها غير واحد من أهل التاريخ والتراجم في حياة الإمام ربيعة بن فروخ (أبي عبد الرحمن) المدني المعروف بربيعة الرأي شيخ الإمام مالك بن أنس رحمهم الله.

ونحن ننقلها كما جاءت في تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر قال رحمه

الله:

روي عن مشيخة أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا، وربيعة حمل في بطن أمه،

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٩١/٣ .

وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ؛ فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا في يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله ! أتهم على منزلي ؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله ! أنت رجل دخلت على حرمتي ! فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشیخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي وكثر الضجيج. فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ ! لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هذه داري وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكيا. فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني ؟ ! قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقة وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشرف أهل المدينة وأحدق الناس به. فقالت امرأته: اخرج صلى في مسجد الرسول فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة فشك فيه أبو عبد الرحمن فقال: من هذا الرجل ؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني؛ فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في

حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقهاء، فقالت أمه: فأيهما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله ألا هذا، قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه قال: فوالله ما ضيعته. والله أعلم.

تربية الأطفال

علي الشجاعة ومجالسة الكبار للاستفادة

نحكي لهم قصص الأطفال الشجعان ، مثل:

(١) علي بن أبي طالب ونومه علي فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، والكفار محدقين بالدار.

(٢) عبد الله بن الزبير: في يوم من الأيام كان سيدنا عمر يمشي في شوارع المدينة وإذا بصبية يلعبون ، وما إن رأى سيدنا عمر حتى فروا جميعهم ماعدا صبي واحد ، فابتسم سيدنا عمر وقال للصبي: لماذا لم تفر معهم؟ فقال له الغلام: يا أمير المؤمنين لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك ، فأعجب به سيدنا عمر وقال: هذا الغلام ابن أبيه، الغلام هو عبد الله بن الزبير بن العوام.

(٣) قال سنان بن سلمة: كنا أغيلمة بالمدينة في أصول النخل نلتقط البطح الذي يسمونه الخلال ، فخرج إلينا عمر بن الخطاب ، ففترق الغلمان وثبت مكاني ، فلما غشيتني ، قلت: يا أمير المؤمنين ، إنما هذا ما ألقته

الرَّيْحُ ، قَالَ : " أَرِنِي أَنْظُرُ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ " ، فَنَظَرَ فِي حِجْرِي ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ .

(٤) حينما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز، وفدت الوفود للتهنئة، فتقدم غلام حديث السن، فقال عمر: لينطق من هو أكبر منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر: صدقت.

(٥) ولا بد أن نترك للطفل فرصة في المزاح مع الكبار، وعدم زجره، حتى لا نجرح شعوره، ونكسر نفسه، ويتعود على الانطواء والوحدة.. وعن هذا كله تحدثنا أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: " اتتوني بأم خالد " فأتني بها تحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها، قال: " أبلي اخلقي، ثم أبلي اخلقي " وكان فيها علم أخضراً وأصفر، فقال: " يا أم خالد ! هذا سناه " وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة)

بين كتفيه) فزبرني [فزجرني] أبي، قال رسول الله ﷺ: " دعها " رواه البخاري (١).

وأم خالد هذه اسمها " أمة " وكان والدها خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس ﷺ من السابقين إلى الإسلام ، وكان هو وامرأته من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، وهناك ولدت له امرأته " أمة " التي قضت شطرا من عهد طفولتها في الحبشة، ثم عادت مع أبويها إلى المدينة المنورة ، بعد أن هاجر إليها النبي ﷺ .. وروت أمة (رضى الله عنها)، كيف ودعهم النجاشي وهم يركبون السفينتين في طريقهم إلى المدينة فقالت: سمعت النجاشي يوم خرجنا يقول لأصحاب السفينتين: أقرئوا جميعا رسول الله ﷺ مني السلام، فقالت: فكنت فيمن أقرأ رسول الله ﷺ من النجاشي السلام.. وقد تزوجت أمة (رضى الله عنها) من الزبير بن العوام ﷺ.. فأنجبت منه خالد، وبه كانت تكنى.. وكان النبي ﷺ يكرمها.

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الفضائل والشمال ، باب أسماء النبي ﷺ وصفاته ٣ / ١٦١٠ .

تربية الأطفال علي حب الحياء والستر

أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رضي الله عنها) :

هذه البنت الصغيرة يتقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لخطبتها.. فقال علي: إنها صغيرة، فقليل لعمر: إنما يريد بذلك منعها، فكلمه عمر، فقال علي: أبعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك ، فبعث بها إليه فكشف عن ساقها ، فقالت له: أرسل (أي اترك ثوبي) فلولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك كذا في الكنز . (١)

فترغب البنات في حب الحجاب والستر، وأن ذلك يستوجب محبة الله ومحبة الناس واحترامهم .

وعند ابن سعد: أن علي قال لعمر: إنما حبست بناتي علي بني جعفر فقال : زوجنيها فو الله ! ما علي ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما لأرصد ، قال : قد فعلت .. فجاء عمر إلي المهاجرين، فقال: زفوني ! فزفوه، فقالوا: بمن تزوجت ؟ قال : ابنة علي ، إن النبي ﷺ قال : " كل نسب وسبب

(١) مصنف عبد الرزاق وسنن سعيد بن منصور (حياة الصحابة ٢ / ٦٧٠) .

سيقطع يوم القيامة إلا نسي وسبي وكنت قد صاهرت ، فأحببت هذا أيضا . كذا في الإصابة (١).

" لصكت وجهك " ما معناها إلا أنه أمير المؤمنين ! جراءة .. عفة .. حياء .. لأنها تربت في بيت النبوة فأبوها علي وأمها فاطمة الزهراء وجدها محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين كان أشد حياءً من العذراء في خدرها وأمها فاطمة، كانت تستحي أن يراها الناس وهي ميتة علي السرير (النعش) بدون غطاء .. وأم كلثوم بضعة من فاطمة وعلي !!

أختي هل تحبين أن تكون بناتك مثلها ؟

ابدئي بنفسك ورببها علي ذلك .. ثم ربي في بناتك هذه الأخلاق واطلبي

العون من الله .

وتقول عائشة (رضي الله عنها) تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست ستين ودخل علي وأنا بنت تسع سنين ، وكنت ألعب بالبنات (لعب) وكان لي صواحب (صديقات) يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن (يستترن) منه .

وفي لفظ : وعندي الجواري (البنات الصغار) فإذا دخل خرجن ، وإذا

خرج دخلن " (٢) لماذا يستترن مع صغرهن ؟

ما هو إلا حياءً واحتجاباً منه !!.

(١) حياة الصحابة ٢ / ٦٧١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب .. وأبو داود في كتاب الأدب .. والنسائي في كتاب النكاح .

الترية علي الزهد وحب الفضائل

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم، فكتب إليه عمر: بلغني إنك اشتريت فصا بألف درهم، فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن، واتخذ خاتما بدرهمين واجعل فيه حديداً صينياً، واكتب عليه رحم الله إمرءاً عرف قدر نفسه ،

الترية علي بر الآباء وطاعتهم

فنذكر لهم قصص البارين بالآباء مثل:

(١) قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته علي والده :

قال تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ

مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ
 آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ
 سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ
 وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ
 رَبِّي شَقِيًّا ﴿١﴾ خطاب مليء بالشفقة والرحمة لأبيه الكافر خوفا عليه

من عذاب الله عز وجل .

(٢) نبي الله إسماعيل (عليه السلام) وطاعته لأبيه:

لما هاجر إبراهيم عليه السلام من بلاد قومه ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ

إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (٢) سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا ﴿ رَبِّ هَبْ لِي

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣) ، فبشره الله بغلام حلیم وهو إسماعيل عليه السلام ﴿

فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (٤) فلما شب وصار يسعى في مصالحه ، رأى

إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يأمر بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء وحي،

(١) سورة مريم الآيات من ٤١ : ٤٨ .

(٢) سورة الصافات - الآية ٩٩ .

(٣) سورة الصافات - الآية ٩٩ .

(٤) سورة الصافات - الآية ١٠٠ .

فأخبره ﴿﴿﴾ لَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ

أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿﴿﴾ (١) فبادر الغلام الحليم ﴿﴿﴾ قَالَ يَا أُمَّتَ

أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿﴿﴾ (٢) غَايَةَ

السداد والطاعة للوالد ولرب العباد جل جلاله (٣).

(٣) نبي الله ورسوله يحيي (ﷺ):

ذكر الله بره بوالديه، وطاعته لهما أمراً ونهياً، وترك عقوقهما قولاً

وفعلاً، قال تعالى ﴿﴿﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿﴿﴾ (٤)

(٤) نبي الله ورسوله عيسي (ﷺ):

أنطقه الله عز وجل، في المهد بما يستقبل به حياته، ويعيش عليه، ﴿﴿﴾

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي

مُبَارَكًا أَيَّنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

* وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿﴿﴾ (٥).

(١) سورة الصافات - الآية ١٠١.

(٢) سورة الصافات - الآية ١٠١.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير.

(٤) سورة مريم الآية ١٤ .

(٥) سورة مريم الآيات من ٣٠ : ٣٢.

(٥) الرجل الذي دخل مع صاحبيه الغار:

عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلي غار فم الجبل، فاتحطت علي فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا إعمالا عملتموها لله سالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعي عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه قد نأى بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحب، فجئت بالحلاب، فقممت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نري منها السماء، ففرج الله لهم حتى يرون السماء^(١).

(٦) قال محمد بن المنكدر:

بات عمر (يعني أخاه) يُصلي وبت أغمز رجل أُمي، وما أحب أن ليلتي بليلته.. وكان يضع خده بالأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك علي خدي (تاريخ الإسلام).

(١) متفق عليه مشكاة المصابيح - كتاب الآداب - باب البر والصلة ١/١٣٨٠

نُبي في نفوس الأطفال علو الهمة

فمن العجز أن يزدري المرء بنفسه، فلا يقيم لها وزناً، وأن ينظر إلي من هو فوقه من الناس، نظر الحيوان الأعجم إلي الحيوان الناطق، فإن الرجل إذا صغرت نفسه في عينه يأبى لها من أعماله إلا ما يشاكل منزلتها عنده، فتراه صغيراً في مروءته وهمته، صغيراً في ميوله وأهوائه.. صغيراً في جميع شؤونه وأعماله، فإن عظمت نفسه عظم بجانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة.

أمثلة في علو الهمة:

(١) معاوية بن أبي سفيان:

قال المدائني عن صالح بن كيسان قال: رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه.

وقال الشافعي: قال أبو هريرة: رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه. فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فأماته الله، وهو معاوية بن أبي سفيان.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال: نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه. فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة. وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول:

محببٌ في أهله حلِيم		إنّ بني معرق كريمٌ
ولا ضجورٌ ولا سووم		ليس بفاحشٍ ولا لئيمٌ
لا يخلف الظن ولا يخيم		صخر بني فهرٍ به زعيمٌ

قال: فلما ولى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند: كيف رأيت صار ابنك تابعا لابني؟ فقالت: إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني. فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال: أخوه معاوية. قال: وصلت رحما يا أمير المؤمنين.

وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه: والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت.

وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا

قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك.

فلم يزل معاوية نائبا على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان.

وافتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها.

فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم.

فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت.

فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم، فانعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا.

فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية. والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو^(١).

وهكذا أخذت تثبت فيه هذه الهمة والتطلع إلي ما يتطلع به أبناء الملوك والعظماء، حتى نال الشرف والرياسة، مع صلاحه وتقواه وحلمه.

٢) محمد الفاتح:

كانت والدته تخرج به إلى صلاة الفجر، وتريه أسوار القسطنطينية، وتقول: أنت يا محمد من سيفتح هذه الأسوار فاسمك محمد كما قال رسول الله ﷺ، ثم تلوه الدهشة ويبادرها بالسؤال قائلاً: كيف سأفتح هذه الأسوار يا أمي؟ فترد عليه رد الأم المؤمنة الواثقة بنصر الله لمن اتبع رضوانه العالمة بركائز القوة ومكامنها: بالقرآن، والسلطان، والسلاح، وحب الناس.

ربته والدته حتى بلغ مبلغ الرجال، وشب كما يشب الفتيان، وحين بلغ من العمر نيفاً وعشرين توفي والده السلطان مراد الثاني، وجلس محمد منزوياً ينتحب ويبكي أباه، فدخلت عليه وهالها ما رأت، ثم قالت: أنت تبكي،

(١) البداية والنهاية/الجزء الثامن/وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله.

فماذا تفعل النساء.. ثم رفعت صوتها واحدت بصرها قائلة: قم للقسطنطينية، فهي بانتظارك، وأعداء أبيك في كل مكان.. فشمر الباكي عن ساعديه، وتولى عرش الدولة بعد أبيه، وبدأ بالسير قدماً خطوة تلو أخرى لتحقيق حلمه وحلم المسلمين .

علم محمد أن مضيق البسفور كان هو المعيل للقسطنطينية والمنفذ الرئيس للمساعدات من أوروبا، فأراد أن يبني قلعة هناك حتى يقطع تلك الامدادات، استغرق بناء القلعة شهوراً وسماها قلعة الروم، وبعد أن تم البناء أصبح من غير الممكن لأي سفينة أن تمر دون أن تأخذ الإذن من الدولة العثمانية.

تلا بناء القلعة، صناعة المدافع ومن ضمنها مدفع عملاق يسمى المدفع السلطاني، كان يزن (٧٠٠) طن، وتزن القذيفة الواحدة (١٥٠٠) كيلو جرام، وتسمع طلقاته من مسافات بعيدة ، ويجره مائة ثور يساعدها مائة من الرجال الأشداء.

ثم زحف بجيشه إلى القسطنطينية وحاصرها وتوالت قذائف المدافع على المدينة ليلاً ونهاراً حتى استسلم أهلها ، ودخلها محمد فاتحاً ، وسمي بعد دخولها بمحمد الفاتح ،

دخل محمد المدينة وصلى ركعتين شكراً لله ، ثم دخل كنيسة (ايا صوفيا) وأعطى أهلها الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم وحولها إلى جامع (ايا صوفيا) وأذن فيه بالصلاة لأول مرة، واتخذ من القسطنطينية عاصمة لدولته

، وأطلق عليها (اسلام بول) وهي تعني دار الاسلام لكنها حُرقت فيما بعد إلى استنبول .

سلك محمد الفاتح سلوك القائد الرحيم مع أهالي القسطنطينية، فدى الأسرى بنفسه، وعاملهم برحمة، ووافق على عودة الذين فروا خلال الحصار إلى منازلهم فكان نعم الأمير.

لم يتوقف طموح محمد الفاتح عند هذا الحد ، بل اتسعت لتشمل بلاد الصرب و"المورة" و"رومانيا" و"ألبانيا" وبلاد "البوسنة والهرسك" ورغب في فتح إيطاليا ليكون إمبراطوراً لروما، فاستولى على قلعة بالقرب من مدينة أوترانت الإيطالية، وفي طريقه إلى روما عاصمة إيطاليا فاجأه الموت.

وفرحت أوروبا قاطبة بهذا النبأ، وأمر بابا روما أن تقام الصلاة في الكنائس ابتهاجاً بنبأ وفاته.

أنشأ محمد الفاتح ٣٠٠ مسجد، منها في العاصمة "إستانبول" وحدها (١٩٢) مسجداً وجامعاً، بالإضافة إلى (٥٧) مدرسة، ومن أشهر آثاره المعمارية مسجد " السلطان محمد " ، وجامع " أبي أيوب الأنصاري"، وقصر " سراي طوب قبو " .

(٣) لقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده، وكان نجيباً: أي غاية تطلب في حياتك يا بني! وأي رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون .؟

فأجابه: أحب أن أكون مثلك فقال: ويحك يا بني ! لقد صغرت نفسك، وسقطت همتك، فلتبك علي عقلك البواكي ، لقد قدرت لنفسي يا بني في مبدأ نشأتي أن أكون كعلي أبي طالب فمازلت أكد وأكده، حتى بلغت المنزلة التي تراها، وبينني وبين عليّ (رضي الله عنه) ما تعلم من الشأو البعيد، والمدى الشاسع، فهل يسرك وقد طلبت منزلتي أن يكون ما بيني وبينك من المدي مثل ما بيني وبين عليّ بن أبي طالب !؟.

٤) واجتمع في الحجر عبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقالوا تمنوا:

فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة .

وقال عروة بن الزبير: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم .

وقال مصعب بن الزبير: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين .

وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

فقالوا ما تمنوا.. ولعل ابن عمر قد غفر له (١) .

٥) وكان الإمام النووي يحضر في اليوم ١٢ درساً، وكان رحمه الله يمشي بالطريق يكرر ما حفظه من العلم ويراجعه.

٦) وقرأ ابن حجر معجم الطبراني في جلسة بين الظهر والعصر.

٧) وعبد الله بن محمد فقيه العراق طالع المغني، ثلاث وعشرين مرة.

- ٨) نعيم المجرم جالس أبا هريرة ٢٠ سنة.
- ٩) عبد الله بن نافع جالس الإمام مالكاً ٣٥ سنة.
- ١٠) قال الشافعي : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.
- ١١) قال ثعلبة: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس اللغة نحو خمسين عاماً.
- ١٢) قال أبوزرعة: كان احمد يحفظ ألف ألف حديث ، يعني مليوناً .
- ١٣) قال البخاري: كتبت عن ألف شيخ، وعن كل واحد منهم عشرة آلاف حديث وأكثر.
- ١٤) قال جرير: جلست إلى الحسن سبع سنين لم أخرج منها يوماً واحداً.
- ١٥) وقرأ ابن حجر السنن لابن ماجة في أربعة مجالس وقرأ معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، وهذا الكتاب يشتمل على نحو ١٥٠٠ حديث.
- ١٦) قال أبو حاتم الرازي: مشيت على قدمي في الطلب ألف فرسخ.
- ١٧) قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم .
- ١٨) وعن ابن عباس قال : كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم، فأقبل على بابه حتى يخرج فأطلب منه الحديث.
- ١٩) قيل للإمام أحمد بن حنبل: متى يجد العبد طعم الراحة ؟
- قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

ورؤي يوما يحمل محبرة ويجري، فقيل له: ما زلت مع المحبرة ؟
قال: مع المحبرة الى المقبرة.

٢٠) وهذه قصة إيزابيلا بنت الملك خوان الثاني ملك قشتالة وإسبانيا: هذه المرأة أعجوبة من أعاجيب التاريخ فقد أفنت من عمرها أكثر من ثلاثين عاما في سبيل نصره دينها النصراني ومذهبها الكاثوليكي. لقد نسيت أنها امرأة فأقسمت وقطعت على نفسها عهدا ألا تستبدل قميصها حتى تسقط غرناطة على يديها، وبرت بقسمها فوحدت جهود ملوك النصارى ضد المسلمين، ورهنت مجوهراتها لدفع مرتبات الجنود، وكانت تشرف بنفسها على المعارك ضد المسلمين، وفعلا أسقطت ملك المسلمين بغرناطة والأندلس نهائيا في سنة ١٤٩٢ م.
وبقي قميصها الذي لم تنزعه مدة ٣٠ عاما شاهدا على علو همة هذه المرأة حتى أصبح يقال قميص إيزابيلا العتيق، كل هذه الهمة وهي تنصر دين باطل، فكيف بمن يقوم بنصرة دين الحق كيف تكون نصرته للحق؟.

أقوال في علو الهمة:

يقول ابن القيم الجوزية:

لا بُدُّ للسالك من همة تُسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه.

والهمة فعلة من الهم، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوصاً بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمة نهايتها .

فعلو همة المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه.

وجاء في رسائل الإصلاح للشيخ الخضر حسين علو الهمّة: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.

وجاء في صيد الخاطر لابن الجوزي: الهمّة خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى):

في بعض الآثار الإلهية قول الله تعالى : إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همته.

قال: والعامّة تقول: قيمة كلّ أمرىء ما يحسن.

والخاصة تقول " قيمة كل امرىء ما يطلب، يريد أن قيمة المرء همته ومطلبه.

قال الإمام المحروفي صاحب منائل السائرين :

الهمة: ما يملك الاتبعات للمقصود صرفاً، ولا يتمالك صاحبها، ولا يلتفت عنها .

قوله: يملك الاتبعات للمقصود، أي: يستولي عليه كاستيلاء الملك على المملوك، و " صرفاً " أي: خالصاً صرفاً .

يقول الشاعر محمد إقبال:

قلت للصقر وهو في الجو عال	إهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر في جناحي وعزمي	وعنان السماء مرعى خصيب

ويقول الشاعر أبو فراس الحمداني:

ونحن قوم لا توسط بيننا	لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون في المعالي نفوسنا	ومن يخطب الحسنا لم يغله المهر

قال ابن الجوزي في (لفته الكبد إلى نصيحة الولد):

وما تقفُ نفسٌ إلا لخساستها، وإلا فمتى علتُ الهمةُ فلا تقتنعُ بالدون، وقد عُرف بالدليل أن الهمةَ مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُتتْ سارتْ ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم، أو كسلاً فسل الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، فمن الذي أقبل عليه ولم يرَ كلَّ مراد؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرض من أغراضه؟.

وقال ابن الجوزي أيضاً (رحمه الله):

الهمة خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل .

وقال الإمام علي:

همم الرجال تزيل الجبال .. لو تعلقت همة أحدكم بالثريا لنالها.
 فتربي في الطفل علو الهمة، والنظر إلي العظماء ليكون عظيماً مثلهم..
 فطالب العلم أحوج الناس إلي علو الهمة، لأن حاجة الأمة إلي نبوغه أكثر
 من حاجتها إلي من سواه من الصانعين والمحترفين.. وهل الصانعون
 والمحترفون إلا حسنة من حسناته وأثر من آثاره، فالطفل في بلوغه الغاية
 التي بلغها النابغون من قبله لا يحتاج إلي خلق غير خلقه، وجو غير جوه،
 وسماء غير سماءه، وأرض غير أرضه، وعقل غير عقله، وأداة غير أدواته،
 ولكنه في حاجة إلي نفس عالية كنفوسهم، وهمة عالية كهممهم^(١)

نُبي في نفوس الأطفال حب النضحية

وذلك بذكرتضحيات الصحابة رضي الله عنهم لدين الله عجل.. وهكذا كان يفعل الصحابة
 الكرام مع أبناءهم، فعن زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي
رضي الله عنه، قال: كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن.
 وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني قال: كان
 أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه
 شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

(١) كتاب النظرات للمنفلوطي ١/٢٣٤ (بتصرف).

وعن الزهري قال: في علم المغازي خير الدنيا والاخرة^(١).
 لأن علم المغازي هو علم التضحية ، وعلم التضحية إذا تدارسناها يُربي
 في نفوسنا حُب التضحية وحب الشهادة في سبيل الله، ونذكر لهم شباب
 الصحابة الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله مثل :

عمير بن أبي وقاص:

ففي غزوة بدر عرض رسول الله ﷺ أصحابه ورد من استصغر منهم ،
 فرد عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب،
 وأسيد بن حضير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعمير بن أبي وقاص،
 فقال: ارجع، فبكى فأجازه، فقتل ببدر هو ابن ست عشرة سنة^(١)
 فقد أخرج بن عساكر عن سعد ؓ قال : رد رسول ﷺ عمير بن أبي
 وقاص عن مخرجه إلي بدر واستصغره ، فبكي عمير ؓ فأجازه ، قال سعد
 ؓ : فعقدت عليه حمالة سيفه، ولقد شهد بدرا وما في وجهه إلا شعرة
 واحدة امسحها بيدي . كذا في الكنز^(٢)

(١) روى الآثار الثلاثة الخطيب البغدادي في الجامع وابن عساكر في تاريخه (سبل الهدى

والرشاد في سيرة خير العباد ٢٠/٤)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٨/٤ .

(١) وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ١٨٨ ، حياة الصحابة باب الجهاد - خروج الصبيان

وقتلهم في الجهاد في سبيل الله - ١ / ٥٨٤ .

وأخرجه ابن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتواري ، فقلت : مالك يا أخي ؟ قال : إنني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده فبكي فأجازه فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ستة عشرة سنة . كذا في الإصابة^(١)

سعد بن خيثمة وأبيه رضي الله عنهما:

وعن سليمان بن أبان رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلي بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعا الخروج معه فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أن يخرج أحدهما ، فاستهما فقال خيثمة ابن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم ، فأقم مع نسائك ، فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إنني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فأستهما، فخرج سهم سعد فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي بدر فقتله عمرو بن عبد ود .^(٢)

وقد ذكر محمد بن عمر أن خيثمة قال يوم أحد: يا رسول الله لقد أخطأتني وقعة بدر، وكنت والله حريصا عليها، حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة في النوم في أحسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحق بنا ترافقتنا في الجنة، فقد وجدت ما

(٢) المرجع السابق.

(١) الحاكم في المستدرک کتاب معرفة الصحابة - باب مناقب سعد بن خيثمة - ٣ / ١٨٩،

وعدني ربي حقا، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة، فادع الله تعالى أن يرزقني الشهادة، ومرافقته في الجنة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل في أحد^(١).



التربية

علي الإيمان وأثرها الطيب

• أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

تربي علي عليه السلام في بيت النبوة (بمكة المكرمة) .. هذه التربية أكسبته محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما عرض عليه الإسلام، مع صغر سنه فقبل الإسلام فكان أول من أسلم من الصبيان .. وظهرت هذه الشجاعة في المواقف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقتل صناديد الكفر مثل: عمرو بن عبد ود في غزوة بدر .. ومرحب اليهودي في غزوة خيبر .. وأهلته لأن يتزوج خير نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (رضي الله عنها) وأبا الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة .. وكان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى .. ورابع الخلفاء الراشدين .
فلا عجب فقد تربي علي يد امرأتين عظيمتين وهما أمه فاطمة بنت أسد ثم علي يد أمه وأم المؤمنين جميعا خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها).

• أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ (رضي الله عنهما) :

تربى أسامة بن زيد ﷺ في حجر أمه " أم أيمن " وأبيه زيد بن حارثة واتصاله بببيت النبوة وأمهات المؤمنين، أهله ليكون أهلاً لحب النبي ﷺ له ، ولأن يوليه ﷺ أميراً علي جيش فيه كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وفيهم عمر بن الخطاب ﷺ وكان عمر ﷺ لا يلقي أسامة إلا قال له: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! توفي رسول الله ﷺ وأنت علي أمير . (١)

قال الذهبي: لما أمره النبي ﷺ علي جيش الشام كان عمره ثماني عشرة سنة .

• التربية علي الإيمان جعلت البنات تخافن علي أبيهن :

عن الهيثم بن خلف الدوري أن محمد بن سويد الطحان حدثه قال : كنا عند عاصم بن علي ومعنا أبو عبيد، وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يضرب فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل، فنكلمه ؟ قال: فما يجيبه أحد ثم قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك يا أبا الحسين، فقال: يا غلام، خفي ، فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين ! أبلغ إلي بناتي فأوصيهم، فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط ، ثم جاء فقال: إني ذهبت إليهن، فبكين، قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط: يا أبانا إنه بلغنا أن

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٠٠ .

هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه علي أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله! ولا تجبه فو الله! لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت.

• التريية علي الإيمان: جعلت البنات يخفن من أكل الحرام:

قالت بنات رجل لأبيهن: يا أبه! لا تطعمنا إلا من حلال، فإن الصبر علي الجوع أيسر من الصبر علي النار. (١)

وكان ليحيي بن معاذ ابنة صغيرة السن، فطلبت من أبيها شيئاً، فقال لها: يا بنيتي! اطلبي ذاك من الله! أو ما أستحي من الله أن أطلب منه شيئاً يؤكل ؟!!!! (٢)

• التريية علي الإيمان: وأثرها في التضحية بالنفس من أجل

هداية البشرية: فنذكر لهم قصة الغلام والساحر، التي رواها الإمام

مسلم في صحيحه، عن صُهَيْب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمُهُ السَّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٦١.

(٢) المرجع لسابق ٤/ ٢٦٠.

يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ
كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ
فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا
خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ
حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ
حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ
أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ
إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ
فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ
الرَّاهِبُ أَيُّ بَنِيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا
أَرَى وَإِنَّكَ سُبُّتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ
يُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ
جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا
لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا

يَشْفِي اللَّهَ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَأَمَّنَ بِاللَّهِ
فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي
قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى
الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيُّ بَنِيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ
سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَأَ
أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهَ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ
عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى
فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى
وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ
فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ
ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ
مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ
الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ

فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ
فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قَرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ
بِمَا شِئْتَ فَاكْفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى
الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ
فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ قَالَ
وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى
جِدْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كِبِدِ
الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ
ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كِبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ
قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ

فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدُغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ
 آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ
 فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ قَدْ
 آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ
 النَّيْرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ^(١) فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ
 اقْتَحِمْ ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ
 أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

رواه مسلم^(٢)

وفي هذه القصة من الفوائد العظيمة منها :

- (١) التربية بالقصاص.
- (٢) أهمية وعي التاريخ.
- (٣) أثر القصة في تقريب الفهم.

(١) (فَأَحْمُوهُ) بِهَمْزَةٍ قَطَعَتْ بَعْدَهَا حَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَنَقَلَ الْقَاضِي اتَّفَاقَ النُّسخِ عَلَى هَذَا . وَوَقَعَ فِي بَعْضِ نُسَخِ بِلَادِنَا : (فَأَقْحَمُوهُ) بِالْقَافِ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ ، وَمَعْنَاهُ اطْرَحُوا فِيهَا كُرْهًا . وَمَعْنَى الرَّوَايَةِ الْأُولَى أَرْمُوهُ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ حَمَيْتُ الْحَدِيدَةَ وَغَيْرَهَا إِذَا أَدْخَلْتَهَا النَّارَ لِيُحْمَى .

(٢) صحيح مسلم « كتاب الزهد والرقائق » باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام _ رقم ٣٠٠٥ .

- (٤) أهل الطغيان والفساد لا يملكون الحجج العقلية والقدرة الإدارية على إدارة الناس فيلجؤون إلى السحر والشعوذة.
- (٥) اهتمام أهل السوء والفساد بمن يخلفهم في أعمالهم.
- (٦) من هذه القصة يتبين لنا كيف نهتم بالنشء ونعتني بأصحاب المواهب من الصغر وتنمية مواهبهم وقدراتهم العقلية والفكرية والإرادية.
- (٧) أهمية تهيئة من يراد لأمر عظيم من الصغر واستثمار جميع قدراته فيما يراد منه.
- (٨) قوة تلبيس السحرة وأعاونهم على الناس، فلم يزل الشك عند الغلام رغم تعليم الراهب له حتى عرضت له الدابة وقال تلك المقالة.
- (٩) إن إرادة الله فوق كل إرادة، وقدرة الله فوق كل قدرة، وأمر الله فوق كل أمر لا راداً لقضائه ولا معقب لحكمه إذا قال للشيء: كن فيكون، يري العباد ضعفهم وعجزهم مهما تجبروا وطغوا وبغوا، لقد اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذي يثبت به دعائم ملكه، وأراد الله تعالى أن يكون الداعي الصالح الذي يدمر ملكه ويهدي الناس إلى الدين الحق، وفي ذلك آية للمعتبرين، فالله يهيئ لدينه رجالاً ينبتون من بيوت الطواغيت الكفرة ليكونوا الدعاة الهداة البررة. انظر: صحيح القصص النبوي للأشقر.
- (١٠) الكذب للمصلحة الشرعية وخوف الفتنة.
- (١١) تربية العالم لتلميذه وإعداده وتهيئته لتحمل أعباء الدعوة: ((وإنك ستبتلى))
استشرافاً للمستقبل من خلال التحديات وتهيئة النفس وترتيب الحسابات لذلك.

(١٢) الأصل البلاء للمؤمنين: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) .

(١٣) الحفاظ الأمني على شيخه: ((فإذا ابتليت فلا تدل علي)) .

(١٤) عدم تمنى الراهب الفتنة أو التعرض لها مع قوة صبره وتحمله.

(١٥) التواضع والاعتراف بالحق مهما كان صاحبه والتعالي على الحسد والكبر، فهذا الراهب مع أنه معلم الغلام ومربيه ومخرجه من الظلمات إلى النور، ومع ذلك لما علم أنه أفضل منه جهر بذلك أمام تلميذه الصغير: ((أنت اليوم أفضل مني)) .

(١٦) استغلال المهنة الطبية في الدعوة ، مع الحرص على نفع الناس وحل مشكلاتهم.

(١٧) الدعوة إلى دين الله لا تعرف سناً معيناً وانظر فعل الغلام.

(١٨) إجراء الآيات كرامة للعبد التقي النقي.

(١٩) الطغيان ليس له حد، بل يصل بصاحبه الضعيف إلى ادعاء الربوبية.

(٢٠) أصبحت سير أولئك الطغاة المجرمين أضحوكةً يضحك منها اليوم الصغير والكبير.

(٢١) قد يضعف الإنسان ويدل على أصحابه من جراء التعذيب، فلا يغض هذا من

مكانته، كما فعل جليس الملك والغلام مع صبريهما وتقديم أنفسهما فداء لدين

الله.

- (٢٢) الاعتراف بالفضل لأهله وبيان عجز الإنسان وفاخته إلى معونة ربه: ((إنما يشفي الله)) .
- (٢٣) محاولة دغدغة عواطف الغلام واستمالاته إلى الباطل وحرفه عن الصراط المستقيم: ((أي بني قد بلغ من سحرك ...)) .
- (٢٤) ليس لدى أهل الطغيان القدرة على إفحام الخصم فيلجئون إلى القوة والتعذيب وهذا من سنتهم وسبيلهم.
- (٢٥) صبر العالم وتحمله للبلاء وتقديم دمه فداء لدينه.
- (٢٦) الإيمان لا يوازيه أي رتبة أو مكانة أو دنيا، ولهذا قدم جليس الملك دنياه فداء لدينه.
- (٢٧) الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب استخف صاحبه بكل عقوبة كما فعل الغلام، حين تفنن الملك في قتله.
- (٢٨) المحن تولد المنح، لقد مات الراهب والوزير والغلام كما مات الملك وأعوانه، لكن أين منازلهم؟! وأيهم ترك أسوة وسيرة يقتدي بها وينال أجرها؟!
- (٢٩) اهتمام الملك بأمر الغلام ليكون سنداً له نظراً لفرط ذكائه، ولكنه إذا خالف أمره ولم يرجع عن دينه فالقتل جزاؤه، ولا قيمة للطاقت البشرية والثروة الفكرية عند الطغاة.
- (٣٠) إرجاع الأمر في الأمن والخوف إلى الله تعالى: ((كفانيهم الله)) وذلك قمة اليقين.

(٣١) دعاء الله في كل حال وطلب نصرته وعدم الاعتماد على النفس وإظهار الفقر والفاقة والحاجة إلى القوي العزيز: ((اللهم اكفنيهم بما شئت)) وإيصال أمرهم إلى الله يفعل بهم ما يشاء وعدم اختيار العقوبة والاقتراح على الله.

(٣٢) يلاحظ أن الغلام لم يفر بعد أن أنجاه الله تعالى كل مرة من عقوبة الملك، وذلك لأنه لم يكن ينشد السلامة لنفسه، بل كان يهدف إلى إظهار دين الله وإعلاء كلمته، ولعل الناس كانوا يتابعون قصته في مجالسهم وينتظرون النتيجة في معركة الغلام مع السلطان المتجبر مدعي الربوبية، وكيف يواجه الغلام الملك غير هيب ولا وجل، مع ما عرف عن السلطان من سفك الدماء.

(١).

(٣٣) الاعتزاز بدين الله: ((حتى تفعل ما أمرك به)).

(٣٤) أهمية الدعوة إلى توحيد الله حتى احتاجت إلى تقديم النفس فداء في دعوة الناس إلى الله جل وعلا.

(٣٥) الاحتيال في الدعوة إلى توحيد الله.

(٣٦) الصدق والإخلاص يحطم دم المؤمن أصول الوثنية في قلوب الناس.

(٣٧) مهما بدا بنیان الكفر ضخماً عظيماً فإنه كانتفاخ البالون سرعان ما يتحطم

بأول وخزة، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ

جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ ، فبعد هذا التلبيس

الطويل على المجتمع وتضليله وتربيته على الخنوع والخضوع لمدعي الربوبية سرعان ما انتهى كل ذلك بموقف واحد، كمثل ظلمة عظيمة انقشعت بشمعة صغيرة.

(٣٨) دم المؤمن ينبغي أن لا يضيع هدراً فحياته دعوة وموته دعوة وقطرات دمه دعوة.

(٣٩) البطانة السيئة وأثرها السيئ على السلطان: ((رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر ك قد آمن الناس)).

(٤٠) أهل الطغيان لا يعرفون الحوار ولا المناظرة ولا المجادلة، وإنما حججهم هي البطش والعقوبة، ولا بأس في إبادة الشعب إبقاء لمذهب السلطان، وتغطية لدعاويه الباطلة.

(٤١) ماذا فعل هؤلاء حتى يعاقبوا تلك العقوبة النكراء، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا

مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٢) فكان السبب أنهم

اختاروا لأنفسهم عقيدة الإيمان والتوحيد، أين حرية الرأي والتفكير عندكم يا أهل الكفر والفساد؟.

(١) سورة التوبة _ الآية ١٠٩.

(٢) سورة: البروج - الآية: ٨.

(٤٢) آية من آيات الله في نطق الغلام، ونصرة المؤمن وتأيد الله له وبعث من يثبته على الخير إذا علم منه الصدق والإخلاص: ((اصبري فإنك على الحق)).

ولقد انتصر هذا المجتمع وعلوا فاستهانوا بكل العقوبات وسخروا من الإحراق والعذاب، وبقيت سيرهم مثلاً أعلى فكم من الأمم انتصرت بسببهم، ثم ما يعايشونه الآن من النعيم: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (١).



نماذج

من أدب أولاد الصحابة

• سمرة بن جندب رضي الله عنه :

قال: لقد كنت علي عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجلاً هم أسن مني، وقد صليت وراء رسول الله ﷺ علي امرأة ماتت في نفاسها، فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها". رواه مسلم (١).

انظر إلي هذا الأدب الجم عند الأولاد الصغار تجاه الكبار.. ياليت الشباب يعقلون ذلك، ويتأدبون أمام الكبار.

• عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) :

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ ! فقال عمر إنه من حيث علمتم ! فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه

دعاني يومئذ . إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١)

فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أذكك، تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا. قال: فما تقول: قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وذلك علامة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢)

فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول. رواه البخاري . (٣)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي في آخر الليل ، فقامت وراءه فأخذني ، فأقامني حذاءه – بجواره – فلما أقبل علي صلواته انخست (٤) فلما انصرفت قال: " مالك أقمك حذائي

(١) سورة النصر – الآية ١ .

(٢) سورة النصر – الآية ٣ .

(٣) رياض الصالحين – باب الحث علي الازدياد من الخير في أواخر العمر ص ٩٥ .

(٤) أي : رجعت إلي الوراء .

فتحنس " ؟ قلت : ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله ، فأعجبه ، فدعا الله أن يزيدني فهماً وعلماً . (١)

انظر إلي فهمه وأدبه ، وهو ما يزال صغيراً في ذلك الوقت دون العاشرة أو أزيد بقليل .

• عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :-

كان يجلس في مجلس من مجالس النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقه وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله قال : فقال : " هي النخلة " قال : فذكرت ذلك لعمر ، قال لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا . رواه مسلم

وفي رواية ثانية لمسلم أيضا : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " يوماً لأصحابه أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن " فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادي ، قال ابن عمر : وألقي في نفسي أو

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٣٤/٣ .

روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: " هي النخلة " .

وفي رواية ثالثة لمسلم أيضا:

قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا . (١) .



(١) صحيح مسلم شرح النووي ١٧/١٥٤ .

الهمة العالية

لشباب سلف الأمة

• الزبير بن العوام رضي الله عنه :

قال عروة : أسلم الزبير ابن ثمان سنين .. ونفحت نفحة من الشيطان ، أن رسول الله ﷺ أخذ بأعلى مكة ، فخرج الزبير وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة بيده السيف ، فمن رآه عجب ، وقال : الغلام معه السيف ، حتى أتى النبي ﷺ فقال : " مالك يا زبير ؟ " فأخبره ، وقال : أتيت أضرب بسيف من أخذك . (١)

وهذا ابنه عبد الله بن الزبير "رضي الله عنهما" يأمره أبيه أن يبيع النبي ﷺ وهو في سن صغير ، ليغرس فيه الشجاعة وحب الدين ، ولعله يحظى بنظرة من رسول الله ﷺ ، فعن عروة عن أبيه قال : خرجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حين هاجرت إلي رسول ﷺ وهي حامل بعبد الله بن الزبير فنفسته فأنت به النبي ﷺ ليحنكه ، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره وأتى بتمر فمصها ثم مضغها ثم وضعها في فيه ، فحنكه بها ، فكان أول

(١) سير أعلام النبلاء ٤/١ .

شيء دخل بطنه ريق النبي ﷺ قالت : ثم مسح رسول الله ﷺ وسماه عبد الله ، ثم جاء بعد وهو ابن سبع سنين أو ابن ثمان سنين ليبيع النبي ﷺ أمره الزبير بذلك فتبسم النبي ﷺ حين رآه مقبلاً وبايعه وكان أول من ولد في الإسلام بالمدينة مقدم رسول الله ﷺ وكانت اليهود تقول قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ذكر ، فكبر أصحاب رسول الله ﷺ حين ولد عبد الله . (١)

وانظروا إلي رجاحة عقله وهو ما يزال صغيراً ، فقد أتى النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، يقول : فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلي الدم فحسوته ، فلما رجعت إلي النبي ﷺ قال : : " ما صنعت يا عبد الله ؟ " قال : جعلته في مكان ظننت أنه خاف عن الناس ، قال : " فلعلك شربته " ، قلت : نعم ، قال : " ومن أمرك أن تشرب الدم، ويل لك من الناس ، وويل للناس منك " . رواه الحاكم . (٢)

فأبوه الزبير بن العوام (حواري رسول الله ﷺ ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) ، وجدته صافية عمه

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٤٨،/٣

(٢) في مستدرکه ٥٥٤/٣ .

النبي ﷺ ، وخالته أم المؤمنين عائشة (الصديقة بنت الصديق) .. فمن في وسط هؤلاء كيف يكون حاله ؟

• علي بن أبي طالب ﷺ :-

أسلم وهو ابن ثمان سنين.. ونام علي فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ليؤدي عنه الأمانات، وهو ابن ثمان عشر سنة قال له رسول الله ﷺ : " نعم علي فراشي وتسجى بردي هذا الحضرمي، فم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم " .

هذه الشجاعة بسبب التربية علي الإيمان واليقين في بيت النبوة علي يد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

• أسامة بن زيد ﷺ حب رسول الله ﷺ وابن حبه:

استعمله النبي ﷺ علي جيش لغزو الروم بالشام وفي الجيش عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، في رجال من كبار المهاجرين والأنصار.

وكان عمره ثمان عشرة سنة.. وطعن في أمارته بعض الصحابة وكان أشدهم في ذلك قول عياش بن ربيعة ﷺ: يستعمل هذا الغلام علي المهاجرين الأولين، وبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب غضباً شديداً، وقد عصب علي

رأسه بعصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ! ثم قال : " أما بعد: أيها الناس ! فما مقاله بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ فو الله ! لئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله ! إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان أبيه من أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ ، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم "

وكان من آخر كلامه ﷺ " أنفذوا بعث أسامة.. وكان عمر إذا رآه بعد ذلك يقول: مرحباً بأميري .

وما ذلك إلا من آثار التربية فأبوه زيد وأمه أم أيمن " بركة الحبشية صاحبة الرسول ﷺ.

• زيد بن ثابت (رضي الله عنه) :

قدم رسول الله ﷺ المدينة وعمره إحدى عشرة سنة .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب بي إليه فأعجب بي، فقليل: " يا رسول الله ! هذا غلام من بني النجار ، معه مما أنزله الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك رسول الله ﷺ فقال : " يا زيد تعلم كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي " فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم وأجيب عنه . رواه أحمد وأبو داود .

- وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ .
- وكان يكتب له الرسائل .
- وكان يكتب لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) في خلافتهما.
- وكان عمر يستخلفه علي المدينة إذا حج وكذلك عثمان.
- وكان مع عمر حين قدم الشام .
- وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك .
- وكان علي بيت المال لعثمان (رضي الله عنه) .
- شهد أحد وما بعدها من مشاهد.. وقيل: أول مشاهدته الخندق.
- وهو أحد فقهاء الصحابة.. وأعلم الصحابة بعلم المواريث قال ﷺ : " وأفرضهم زيد " . رواه الحاكم. (١).
- وكان من أفكه الناس في منزله .. وأوقرهم إذا جلس مع القوم .. كل هذه الفضائل مع صغر سنه حيث تربى في بيئة الإيمان . (٢)

(١) ونص الحديث : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا إن لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

• عمرو بن سلمة رضي الله عنه :

كان يؤم قومه في الصلاة وهو ابن ست أو سبع سنين . . وتركه ليحكي لنا كيف وصل إلي هذا المقام ، فعن عمرو بن سلمة قال كنا بماء ممر الناس ، يمر بنا الركبان ، نسألهم ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : أوحى إليه ، كذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام ، فكأنما يغري^(١) في صدري ، وكانت العرب تَلَوُّمُ^(٢) بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة الفتح ، بادر كل قوم بإسلامهم ، وبادر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم ، قال جئكم والله من عند النبي حقا ، فقال : " صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت ، تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا إستم قارئكم ؟ فاشترؤا ، فقطعوا لي قميصا ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . رواه البخاري^(٣) .

(١) أي يلصق به كأنه ألصق بالغراء .

(٢) أي تنتظر .

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب الصلاة - باب الإمامة ١/٣٥٢ .

• عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه):

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: يا غلام هل من لبن قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقا أبا بكر ثم قال للضرع: أقلص فقلص قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول قال: فمسح رأسي وقال: يرحمك الله فإنك عليم معلم.

وعن حماد بن سلمة عن عاصم بإسناده قال: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها فشرب وشرب أبو بكر وشربت قال: ثم أتيته بعد ذلك قلت: علمني من هذا القرآن قال: إنك غلام معلم قال: فأخذت من فيه سبعين سورة .

• عمر بن عبد العزيز (رحمه الله):

قال الزبير بن بكار: حدثني العتبي، قال: إن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، قال: إن أباه ولي مصر وهو حديثي السن يشك في بلوغه، فأراد إخراجه معه، فقال: يا أبة ! أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ ترحلني إلى المدينة، فأقعد إلي فقهاء أهلها، وأتأدب بآدابهم، فوجهه إلي المدينة، فقع مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم

، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فخلطه بولده ، وقدمه علي كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها أخت الخلفاء والخليفة زوجها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلي يومنا هذا سواها (١) .

أبنائي الأعزاء: انظروا إلي فكر عمر وعقله، كيف فكر أن يذهب إلي مدينة الرسول ﷺ لينهل من علمائها، وهو في ذلك الحين ما زال صغيراً، وله تعلق بوالديه، وأبيه أمير، وإلي أين يذهب ؟ إنها مصر!! التي تهف إليها النفوس ، وكيف جالس الشيوخ وتجنب الصبيان .. إنها لهمة عالية ونفس تواقفة إلي المعالي !! .

• **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه :-

قال ابن عباس رضي الله عنه : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم " أي حفظت القرآن .. وكان دائما يجلس مع خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوجة الحبيب محمد ﷺ . (٢)

(١) البداية والنهاية ٣٤١/٩

(٢) رواه البخاري ٤٧٤٨/٤ .

• الإمام الشافعي (رحمه الله) :

يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين . (١)

من الذي رياه ؟ ؟ إنها أمه .

يقول: كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن لها ما تعطين للمعلم، وكان المعلم قد رضي عني أن أقوم إذا غاب وأخفف عنه. (٢)

• الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) :

قالت أم سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني إذا كتبت عشرة أحاديث، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفكك .

ولد سنه سبعة وتسعين، وكان أبوه من ثقات المحدثين وطلب سفيان العلم وهو مراهق، وكان يتوقد ذكاء، صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب. (٣)

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١ .

(٣) تاريخ الإسلام ٤/ ٥٥٢ .

• الإمام الأوزاعي (رحمه الله) :

كان يتيما في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد ليتعلم علم الدين .. حتى بلغ من العلم مبلغا عظيماً.

• القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رحمه الله) :

ولد في خلافة عثمان .. نشأ بعد قتل أبيه في حجر عمته أم المؤمنين (عائشة) " رضي الله عنها " فسمع منها ومن ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وصالح بن خوات وفاطمة بنت قيس .. وطائفة .
قال عنه يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضله علي القاسم بن محمد .

وعن أبي الزناد قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد ..
وقال : ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم (١) .

نال كل ذلك بالتربية علي الإيمان واليقين والعلم في الصغر حتى أصبح عالم المدينة .. وذلك برعاية عمته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) "

• الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :-

مات أبوه شاباً فوليته أمه، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة .
(١)

• الإمام أبو نعيم الأصبهاني :-

وهو صاحب كتاب حلية الأولياء .. وقد أعطاه العلماء إجازة في العلم
وهو ابن ست سنوات.

• الإمام الصابوني المفسر المحدث:

كان عديم النظر، سيف السنة، ودامغ البدعة، حافظاً محدثاً، وجلس
للوخط وهو عنده من العمر تسع سنوات وحضره أئمة الوقت. (٢)

• الإمام تقي الدين أبو عبد الله اليونيني الكنبلي :

مات أبوه ونشأ يتيماً مع والدته .. فأسلمته للمعلمين والمؤدبين – ثم
حفظ القرآن .. ثم حفظ الجمع بين الصحيحين لحميدي . (١)

(١) سير أعلام النبلاء ١١/١٧٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٠ .

• الإمام ابن تيمية (رحمه الله) :

وهو عنده ثماني سنوات كان يمرغ رأسه في التراب أثناء السحر ويقول يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني.. هكذا وهو سنه صغير.

وما كتبت هؤلاء العمالقة إلا ليقندي بهم أبناءنا.. وتعلو همهم.

• الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) :

كان أول مجلس يتكلم فيه ابن الجوزي، علي المنبر يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشر سنة وكان يوماً مشهوداً حرز الجمع يومئذ خمسين ألفاً (٢).

• كافر الأخشيدي (رحمه الله) :

كان (كافر الأخشيدي)، العبد الذي حكم مصر في عهد المماليك، وصاحباً له، عبيد سوديين مملوكين، هذا من قبل أن يصبح ملكاً، فتمنى صاحبه مرةً أن يُباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء. وتمنى (كافر) أن يملك

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٤٠

(٢) البداية والنهاية - ٢٥٤/١٢

مصر، فمضت الأيام، وإذا بالأول يُباع لطبّاح، وكافور يُباع لقائد، فأظهر كافور كفاءةً واقتداراً عاليين، فلما مات مولاه (سيده الذي اشتراه)، قام مقامه.

وفي ذات يوم، مرّ كافورُ الملكُ بصاحبه المباع لطبّاح، فقال لمن معه: لقد قعدت بهذا همته، فكان كما ترون، وطارت بي همتي فأصبحتُ كما ترون! ولو جمعتني وإياه همّة واحدة لجمعنا عملٌ واحدٌ تحت سقفِ هذا المطبخ! فقبل:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسهُ	****	فكن طالباً في الناسِ أعلى المراتبِ
---------------------------------	------	------------------------------------

_ فأنا حيثُ أضعُ نفسي لا حيثُ يضعني الناس، فكلّما ارتفعت بي همتي نلتُ من المراتبِ أعلاها. قال الشاعر:

نفسُ عصامٍ سوّدت ^(١) عصاماً	****	وعلمته الكـرّ والإقداما
--	------	-------------------------

_ كثيراً ما تكون الأمنيات التي تحملها النفوس الكبيرة سبباً لارتقاء المناصب العالية، فهم يجعلون من أمنياتهم أهدافاً ويسعون للوصول إليها.



(١) و(سوّدت) يعني جعلته سيّداً في قومه.

النبوغ

في بيت واحد، من بيوت المسلمين نبغ ثلاثة إخوة في العلم:

- ١) نصر الدين بن الأثير.. عُرف بالأدب.. ومن كتبه (المثل السائر).
 - ٢) محمد مجد الدين بن الأثير.. ونبغ في علم الحديث.. ومن كتبه (النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول في أحاديث الرسول) .
 - ٣) علي عز الدين بن الأثير.. وقد نبغ في علم التاريخ.. وهو صاحب كتاب (الكامل في التاريخ) .
- وكان الله عز وجل حقق فيهم نية والديهم، فقد ظهرت نواياهم من خلال أسمائهم (نصر الدين .. مجد الدين ..عز الدين) .. هل فهمتم ؟



وختاماً

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا وجميع المسلمين بقراءة هذه الحياة الطيبة التي عاشها سلف هذه الأمة، وأن يحيينا علي ما أحياهم عليه ، وأن يفيض علي أجسامنا وأرواحنا بما أفاض عليهم ، من الإيمان والتقوى والسعادة والبركة والطمأنينة وانسراح الصدر ، والإجابة إلي دار الخلود (الجنة) ، والتجافي عن دار الغرور (الدنيا) ، والاستعداد للموت قبل نزوله .
وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتنا .

وما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

بِحَمْدِ اللَّهِ

المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) مختصر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير - الصابوني - طبعة دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- (٣) صفوة التفاسير - الصابوني - مكتبة الغزالي - دمشق .
- (٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة
- (٥) أسباب النزول للسيوطي .
- (٦) روائع البيان - تفسير آيات الأحكام للصابوني - طبعة مكتبة الغزالي - دمشق سوريا .
- (٧) رياض الصالحين للنووي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .
- (٨) مشكاة المصابيح - للخطيب التبريزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ .
- (٩) صحيح البخاري - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٠) صحيح مسلم شرح النووي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة .

- (١١) سنن النسائي - طبعة دار الحديث بالقاهرة .
- (١٢) سنن الترمذي - طبعة دار ابن الهيثم بالقاهرة .
- (١٣) مستدرک الحاكم - طبعة بيروت - لبنان .
- (١٤) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي - مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة
- (١٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى الدمشقي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٦) البداية والنهاية لابن كثير - طبعة دار ابن رجب .
- (١٧) تاريخ الإسلام للذهبي - طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .
- (١٨) سير أعلام النبلاء للذهبي .
- (١٩) زاد المعاد لابن القيم - طبعة دار القلم للتراث بالقاهرة .
- (٢٠) حياة الصحابة للكأندهلوي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- (٢١) صفة الصفوة - لابن الجوزي - دار ابن الهيثم بالقاهرة .
- (٢٢) الرحيق المختوم للمباركفوري - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية - طنطا - مصر .
- (٢٣) أسد الغابة لابن الأثير .
- (٢٤) الطبقات الكبرى لابن سعد .
- (٢٥) السفور والحجاب د. عبدالودود شلبي - هدية مجلة الأزهر .

- (٢٦) لباس المرأة المسلمة لابن تيمية .
- (٢٧) تحرير المرأة من أوهام المتجاهلين د. محمود عماره - هدية مجلة الأزهر رجب ١٤٢٦ هـ .
- (٢٨) أداب الزفاف في السنة المطهرة للألباني - المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
- (٢٩) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان للصقلي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (٣٠) كتاب النظرات للمنفلوطي - مكتبة النهضة بغداد .
- (٣١) كتاب حديث القرآن عن الرجل والمرأة - لفضيلة الشيخ / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف .
- (٣٢) الإسلام عقيدة ومنهج - للشيخ محمد متولي الشعراوي - مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .
- (٣٣) الفقه الواضح - د. محمد بكر إسماعيل - طبعة دار المنار بالقاهرة.
- (٣٤) المستطرف في كل فن مستظرف - مكتبة الإيمان بالمنصورة .
- (٣٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .



فهرس الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	إهداء
٩	مقصد خلق الإنسان
١٠	أول من آمن بالله ورسوله (أم المؤمنين خديجة بنت خويلد)
١١	سيرتها
١٨	آيات ورد في الرجال والنساء
٢٢	تكريم الله للمرأة
٣٢	المرأة والمساواة
٤٧	_ المساواة في التكليف
٤٩	_ المساواة في الموالاة
٤٩	_ المساواة في الدماء
٤٩	_ المساواة في الحدود والعقوبات
٥١	_ المساواة في جزاء الآخرة
٥٤	_ الأحكام التي يتساوى فيها الرجل والمرأة
٥٤	_ أحكام تخص الرجل

٩٥	_ يقين ابنة حاتم الأصم (رحمها الله)
٩٨	_ يقين امرأة مظلومة
٩٩	_ قصة مؤثرة في اليقين علي الله (عز وجل)
١٠١	من روائع الحب لرسول الله ﷺ
١٠١	_ صورة من حب الرجال لرسول الله ﷺ
١٠٣	_ صور من حب النساء لرسول الله ﷺ
١٠٣	(١) حب أم المؤمنين (صفية بنت حيي بن أخطب)
١٠٥	(٢) حب أم حبيبة (رمله بنت أبي سفيان) لرسول الله ﷺ
١٠٥	ومن دلائل حب أم حبيبة للنبي ﷺ أيضا
١٠٧	(٣) هند بنت عتبة (زوجة أبي سفيان رضي الله
١٠٨	عنها)
١٠٨	_ وفي ميدان أحد يظهر حب النساء لرسول الله ﷺ :
١٠٩	(١) امرأة من بني دينار (رضي الله عنها)
١١٠	(٢) أم سعد بن معذ (الذي اهتز له عرش الرحمن)
١١٢	(٣) إبرهة (خادمة النجاشي ملك الحبشة)
١١٣	كل نساء الصحابة يحبين رسول الله
١١٥	_ ومن روائع المواساة التي تدل علي حب النساء للنبي ﷺ

١١٦	_ قصة عمر والعجوز
١١٦	حب الصبيان لرسول الله ﷺ
١١٨	(١) معاذ ومعوذ:
١٢٠	(٢) حب طلحة بن البراء لرسول الله ﷺ
	(٣) حب صبية من أهل البحرين لرسول الله ﷺ
١٢١	امثال أمر رسول الله ﷺ
١٢١	(١) صفية بنت عبد المطلب
١٢٢	(٢) زوجتي النبي ﷺ (أم حبيبه، وزينب بنت جحش) رضي الله
١٢٣	عنهما):
١٢٤	(٣) أم المؤمنين (أم حبيبة):
١٢٦	(٤) أم حميد (رضي الله عنها) :
١٢٧	(٥) فاطمة بنت قيس رضي الله عنها
١٢٧	حب البنات لرسول الله ﷺ وامثالهم لأمره ﷺ
١٢٨	(١) قصة زواج جليبيب
١٢٩	(٢) المرأة التي خطبها المغيرة بن شعبة
١٢٩	نصرة الرسول ﷺ
١٣٢	(١) ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية، أسلمت بمكة

	(٢) عاتكة بنت عبد المطلب
١٣٥	الفرح برسول الله ﷺ
١٣٥	فرح الأنصار
١٣٧	أحلي وصف لرسول الله ﷺ
١٣٧	_ وصف أم معبد لرسول الله ﷺ
١٣٩	_ وصف الربيع بنت معوذ لرسول الله ﷺ
١٤٠	عاقبات:
١٤٠	_ هاجر عليها السلام
١٤٢	_ ملكة سبأ (بلقيس)
١٥٠	_ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)
١٥١	_ أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها)
١٥٥	_ أم المؤمنين سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)
١٥٦	_ أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها)
١٥٩	_ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (رضي الله عنها)
١٦٣	_ أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين)
١٦٨	_ أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية
١٧٠	_ أم سليم (رضي الله عنها)

- ١٧٣ _ هند بنت عتبة (رضي الله عنها)
- ١٧٤ _ ســـــــــــــــــعيره وكنيتها أم زفر (رضي الله عنها)
- ١٧٥ _ أم أيمن (رضي الله عنها)
- ١٧٨ _ زبيدة والمأمون
- ١٨٣ _ زوجة أبي حمزة
- ١٨٤ _ جارية سليمان بن عبد الملك
- ١٨٤ _ فتاة أراد أبيها أن يزوجه ابن عمها
- ١٨٥ _ جارية عاقلة
- ١٨٥ _ زوجة شعيب بن حرب
- ١٨٦ _ عائشة أم أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس
- ١٨٧ _ عـــــــــــــــــوز بني إسرائيل
- ١٩١ _ زوجة شريح القاضي
- ١٩٥ _ تنازع رجل وامرأته أمام القاضي
- ١٩٦ _ المرأة الحكيمة وابنها
- ١٩٨ _ معينات علي الخير:
- ١٩٩ _ أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)
- ١٩٩ _ أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

٢٠١	_ زوجة أبي الهيثم بن التيهان (رضي الله عنها)
٢٠٣	_ فاطمة بنت النبي ﷺ (ورضي الله عنها)
٢٠٤	_ أم المؤمنين (أم سلمه رضي الله عنها)
٢٠٥	_ أم كلثوم بنت الصديق (رضي الله عنها)
٢٠٥	_ الشفاء بنت عبد الله (رضي الله عنها)
٢٠٦	_ عمرة امرأة حبيب العجمي
٢٠٦	_ سلمى مولاة رسول الله ﷺ
٢٠٧	_ ربيعة بنت عبد الله الثقفية
٢٠٨	_ صاحب اللقطة وزوجته
٢٠٩	_ نساء يشجعن الرجال في اليرموك
٢٠٩	_ رجل من بني إسرائيل وامرأته
٢١١	نساء يراقبن الله جل جلاله :
٢١١	_ ابنة بائعة اللبن:
٢١٣	_ امرأة مؤمنة خرج زوجها في الجهاد
٢١٤	_ المرأة البدوية
٢١٤	_ قصة أخري
٢١٦	ورعات :

٢١٦	– ورع أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها)
٢٢٠	– ورع أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها)
٢٢٢	– ورع المرأة الدمشقية (رحمها الله تعالى)
٢٢٣	– ورع أخت بشر الحافي (رحمها الله)
٢٢٤	– قمة الروعة في الورع ورع ضرتين
٢٢٦	– ورع امرأة من آل بيت النبوة رضوان الله عليهم
٢٢٧	– ورع أم الدحداح (رضي الله عنها)
٢٢٩	نساء مخلصات :
٢٢٩	– المرأة التي سقت الكلب
٢٣١	– زبيدة والبئر
٢٣٥	– المرأة والملك والمسجد
٢٣٧	عفيفات:
٢٣٧	– مريم عليها السلام
٢٤٤	– أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر
٢٥٣	– المرأة وصاحب الغار
٢٥٥	– المرأة والكفل
٢٥٦	– أم حكيم بنت الحارث

٢٥٧	حفصة بنت سيرين
٢٦٠	رحيمات
٢٦٢	سفعاء الخدين
٢٦٣	تائبات:
٢٦٣	_ امرأة العزيز
٢٧٠	_ المرأة وعبيد بن عمير
٢٧٢	خائفات:
٢٧٢	_ أم المؤمنين عائشة
٢٧٤	_ أم المؤمنين أم حبيبة
٢٧٥	_ المرأة الغامدية
٢٧٦	_ آسية بنت الفرغ الجرهمية
٢٧٦	_ آمنة بنت خلف الأسدية
٢٧٧	_ حفصة بنت سيرين
٢٧٨	نساء عابدات:
٢٧٨	_ مريم عليها السلام
٢٧٩	_ أم سليمان نبي الله
٢٧٩	_ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

٣٠٤	وفيات لأزواجهن:
٣٠٤	_ امرأة نبي الله أيوب (عليه السلام)
٣٠٦	_ نائلة زوجة عثمان بن عفان (رضي الله عنهما)
٣١٢	_ أم الدرداء (رضي الله عنهما)
٣١٢	_ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
٣١٥	_ سعدي الوفية
٣٢٤	صابرات:
٣٢٤	_ أم سليم (رضي الله عنها)
٣٢٦	_ أم سعد بن معاذ (رضي الله عنهما)
٣٢٨	_ أم كلثوم بنت عقبة
٣٣٠	_ العجوز المؤمنة
٣٣٠	_ أعرابية مؤمنة
٣٣٢	مُحبات للإِنفاق في سبيل الله:
٣٣٢	_ أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)
٣٣٣	_ أم المؤمنين سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)
٣٣٣	_ أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها)
٣٣٥	_ أم الدحداح (رضي الله عنها)

٣٣٧	_ خَيْرَةُ امْرَأَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ
٣٣٩	داعيات إلى الله ﷻ:
٣٣٩	_ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)
٣٣٩	_ أم شريك رضي الله عنها (رضي الله
٣٤٢	_ أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)
٣٤٣	_ أم سليم (رضي الله عنها)
٣٤٣	_ سفانة بنت حاتم الطائي
٣٤٧	_ فاطمة بنت الخطاب
٣٤٨	مضحيات:
٣٤٨	_ آسية بنت مزاحم (عليها السلام)
٣٥١	_ أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)
٣٥٩	_ زينب بنت رسول الله (ﷺ)
٣٦٢	_ الشهيدة ليلة العرس أم حكيم بنت الحارث بن هشام
٣٦٧	_ أم شريك (رضي الله عنها)
٣٦٨	_ أم سليم (رضي الله عنها)
٣٦٩	_ أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها)
٣٧٠	_ أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها)

٣٧٢	_ سمية بنت الخياط أول شهيدة في الإسلام
٣٧٦	_ أم الشهداء عفراء بنت بن عبيد بن ثعلبة
٣٧٨	_ الشهيدة أم الشهداء (رحمهم الله تعالى)
٣٧٩	_ الخنساء (رضي الله عنها)
٣٨١	_ صاحبة الذابتين
٣٨٢	_ امرأة وبنوها
٣٨٢	_ عصمت الدين خاتون
٣٩٠	_ جهاد (وإسلاماه) زوجة محمود سيف الدين قطز
٣٩٤	مهاجرات:
٣٩٦	_ مهاجرات الحبشة
٣٩٧	_ أبنائهن بالحبشة
٣٩٨	_ الهجرة إلى المدينة
٤٠١	مواقف بطولية من صنع النساء
٤٠١	_ تضحياتهن وثباتهن على الإيمان (المرأة المؤمنة والأخدود)
٤٠٢	_ ماشطة بنت فرعون
٤٠٣	_ آسية بنت مزاحم عليها السلام
٤٠٤	_ فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها)

٤٠٦	_ سمية بنت الخياط
٤٠٦	_ جارية بنت عمرو بن مؤمل
٤٠٦	_ قصة الغلام وابن قدامة المقدسي رحمه الله
٤١٤	يبايعن النبي صلى الله عليه وسلم:
٤١٤	_ معنى البيعة
٤١٦	_ أحاديث بيعة النساء
٤٢٤	_ المبايعات
٤٢٤	_ الفرق بين بيعة الرجل والمرأة:
٤٢٤	أولاً: الأمور التي تتساوى فيها المرأة مع الرجل في أمر البيعة
٤٢٥	ثانياً: الأمور التي اختلفت فيها المرأة عن الرجل في أمر البيعة
٤٢٥	_ الاختلاف في الكيفية
٤٢٦	_ الاختلاف في المضمون
٤٢٧	ثالثاً: الأمور المشتركة بين الرجال والنساء في البيعة
٤٢٨	رابعاً: أمور اختلفت بها الرجال عن النساء:
٤٢٩	حب النساء للجهاد والخروج في سبيل الله

٤٣٤	حب الشهادة في سبيل الله:
٤٣٤	_ أم حرام بنت ملحان (رضى الله عنها)
٤٣٥	_ أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية
٤٣٧	أين الملتقى؟
٤٣٨	أجر الخارج في سبيل الله
٤٣٩	ثواب المرأة إذا خلفت زوجها
٤٤١	حرمة نساء المجاهدين
٤٤٢	وافدة النساء
٤٤٤	المرأة والشوري:
٤٤٤	_ نماذج من الشورى مع النساء :
٤٤٤	(١) مشاورة النبي ﷺ لأم سلمة (رضى الله عنها) يوم الحديبية
٤٤٦	(٢) بنت شعيب عليه السلام
٤٤٦	(٣) آسية بنت مزاحم (رضى الله عنها)
٤٤٨	الحث علي التعليم في البيت
٤٤٩	التعليم في البيت يأتي بالنور في حياتنا
٤٥٢	تربية الأولاد
٤٥٩	النية في تربية الأولاد:

٤٥٩	_ امرأة عمران
٤٦١	_ والددة الشيخ محمد عمر البالمبوري
٤٦٤	الصفات الإيمانية التي يجب أن يتربى عليها الطفل:
٤٦٤	_ تربية الأطفال علي التوحيد:
٤٦٤	وصية لقمان لابنه
٤٦٤	وصية نوح لابنه
٤٦٥	تربية الأطفال علي اليقين:
٤٦٦	١_ تربية ابن عباس <small>رضي الله عنه</small> علي الإيمان واليقين
٤٦٧	٢_ عبادة بن الصامت يعطي أبناءه درسا في اليقين
_	٣_ تربية أم الحارث بن أسد المحاسبي لابنها علي الإيمان
٤٦٩	واليقين
٤٧٠	٤_ ابن الشهيد
٤٧٠	٥_ تربية الإمام السلمي علي المراقبة
٤٧١	_ تربية الأطفال علي التقوي
٤٧٢	_ تربية الأطفال علي محبة الرسول <small>ﷺ</small>)
٤٧٣	تربية الأطفال علي اتباع هديه <small>ﷺ</small>)
٤٧٣	زجرهم عند مخالفة أمره ونهيه <small>ﷺ</small>)

- ٤٧٥ _ تربية الأطفال علي محبة أهل الإيمان
- ٤٧٥ _ تربية الأطفال علي امتثال أوامر الله ﷻ وأهمها الصلاة
- ٤٧٧ _ تربية الأطفال علي حب القرآن
- ٤٧٨ _ تربية الأطفال علي حب الصحابة (رضى الله عنهم)
- ٤٧٨ _ تربية الأطفال علي حفظ الســــر
- ٤٧٩ _ تربية الأطفال علي ترك الحرام
- ٤٨٠ _ تربية الأطفال علي الصدق :
- ٤٨٠ _ توجيه النبي ﷺ لأُمَّته
- ٤٨١ _ تربية الأطفال علي الخوف من الله ﷻ
- ٤٨٢ _ تربية الأطفال علي حب العلم وطلبه :
- ٤٨٢ _ تربية أم سفيان الثوري لسفيان
- ٤٨٢ _ تربية أم ربيعة الرأي لربيعة
- ٤٨٤ _ تربية الأطفال علي الشجاعة ومجالسة الكبار
- ٤٨٧ _ التربية علي حب الحياء والستر :
- ٤٨٧ _ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رضى الله عنها)
- ٤٨٩ _ التربية علي الزهد وحب الفضائل
- ٤٨٩ _ التربية علي بر الآباء وطاعتهم :

- ٤٨٩ فنذكر لهم قصص البارين بالآباء مثل:
- ٤٨٩ (٢) قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته علي والده
- ٤٩٠ (٢) نبي الله إسماعيل (عليه السلام) وطاعته لأبيه
- ٤٩١ (٣) نبي الله ورسوله يحيي (عليه السلام)
- ٤٩١ (٤) نبي الله ورسوله عيسي (عليه السلام)
- ٤٩٢ (٥) الرجل الذي دخل مع صاحبيه الغار
- ٤٩٢ (٦) قال محمد بن المنكدر
- ٤٩٣ _ نُرَبِّي فِي نَفُوسِ الْأَطْفَالِ عُلُوَّ الْهَمَّةِ
- ٤٩٣ أمثلة في علو الهمة
- ٤٩٣ (١) معاوية بن أبي سفيان
- ٤٩٦ (٢) محمد الفاتح
- ٥٠١ أقوال في علو الهمة
- ٥٠١ قول ابن القيم الجوزية
- ٥٠٢ قول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى)
- ٥٠٢ قول الإمام الهروي صاحب منازل السائرين
- ٥٠٣ قول الشاعر محمد إقبال
- ٥٠٣ قول الشاعر أبو فراس الحمداني

٥٠٣	قول ابن الجوزي في (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد):
٥٠٣	قول ابن الجوزي أيضا (رحمه الله)
٥٠٤	قول الإمام علي
٥٠٤	_ نربي في نفوس الأطفال حب التضحية
٥٠٨	التربية علي الإيمان وأثرها الطيب
٥٠٨	_ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ
٥٠٩	_ أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ (رضي الله عنهما)
٥٠٩	_ التربية علي الإيمان جعلت البنات تخافن علي أبيهن
٥١٠	_ التربية علي الإيمان جعلت البنات يخفن من أكل الحرام
٥١٠	_ التربية علي الإيمان: وأثرها في التضحية بالنفس
٥٢١	نماذج من أدب أولاد الصحابة
٥٢١	_ سمرة بن جندب ؑ
٥٢١	_ عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)
٥٢٣	_ عبد الله بن عمر بن الخطاب ؑ
٥٢٥	الهمة العالية لشباب سلف الأمة
٥٢٥	_ الزبير بن العوام ؑ
٥٢٧	_ علي بن أبي طالب ؑ

- ٥٢٧ _ أسامة بن زيد رضي الله عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه
- ٥٢٨ _ زيد بن ثابت (رضي الله عنه)
- ٥٣٠ _ عمرو بن سلمة رضي الله عنه
- ٥٣١ _ عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)
- ٥٣١ _ عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)
- ٥٣٣ _ عبد الله بن عباس
- ٥٣٣ _ الإمام الشافعي (رحمه الله)
- ٥٣٣ _ الإمام سفيان الثوري (رحمه الله)
- ٥٣٤ _ الإمام الأوزاعي (رحمه الله)
- ٥٣٤ _ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رحمه الله)
- ٥٣٥ _ الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه
- ٥٣٥ _ الإمام أبو نعيم الأصبهاني
- ٥٣٥ _ الإمام الصابوني المفسر المحدث:
- ٥٣٥ _ الإمام تقي الدين أبو عبد الله اليونيني الحنبلي
- ٥٣٦ _ الإمام ابن تيمية (رحمه الله) :
- ٥٣٦ _ الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) :
- ٥٣٦ _ كافور الأخشيدي (رحمه الله)
- ٥٣٨ _ النبوغ

٥٣٩	وختاماً
٥٤٠	المراجع
٥٤٣	الفهرس

Emam2030@gmail.com.

تليفون المؤلف

٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨ — ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦ — ٠٥٠ / ٦٨٢٤٥٣٦

بِسْمِ اللَّهِ

ترقبوا صدور الجزء الثاني

من كتاب صلاح البيوت